

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية
الطائف الدراسية

التاريخ والآثار

الطائف الدراسية الأولى

القاهرة

المهين على رمايا المشركين والآداب والعلوم والجهت والقيمة

الخلقات الدلائل

البسائر والاشارة

الحكمة الدراية الأولى

٤ - ٩ من فبراير سنة ١٩٦١

المتابعة

يحتوى هذا الكتاب على مجموعة الكلمات والدراسات التي
ألقيت في الحلقة الدراسية الأولى للتاريخ والآثار التي أقامها
المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية
في المسدة من ٤ - ٩ من فبراير سنة ١٩٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

رأت لجنة التاريخ والآثار ، بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، الدعوة إلى عقد اجتماع مشترك لأعضاء لجنة التاريخ والآثار بإقليمى الجمهورية ، وذلك للتعارف والتمهيد لعقد مؤتمر لرجال التاريخ والآثار فى البلاد العربية ، وعرض هذا الرأى على لجنة التاريخ والآثار بالإقليم الشمالى فوافقت عليه ، وأقرته شعبة العلوم الاجتماعية بالمجلس ثم وافق مكتب المجلس على أن تعقد حلقة الدراسات التاريخية والأثرية بالقاهرة فى المدة من ٤ - ٩ فبراير سنة ١٩٦١

وقد رثى أن يعد كل عضو بحثاً مكتوباً عن الموقف الراهن للموضوع الذى يعنى به ، وشكلت لجنة فرعية لتلقى البحوث وإعداد تنظيم انعقاد الحلقة وكانت حفلة الافتتاح بمقر الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والإحصاء والتشريع ، وأما بقية اجتماعات الحلقة فقد عقدت بمقر الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .

ولم تقتصر أعمال الحلقة على إلقاء البحوث ومناقشتها بل نظمت زيارات للمتاحف والمناطق الأثرية ، وكان افتتاح تلك الرحلات فى اليوم الأول ٤ من فبراير عقب حفل الافتتاح حيث انتقل الأعضاء إلى زيارة الجامع الطولونى أقدم الجوامع التى احتفظت بطابعها وتفصيلها بمصر . وبعد أن تجول الأعضاء فى أنحائه وشاهدوا روائع العمارة وشاهدوا كذلك مدى الدقة

والرعاية في إصلاحه . انتقلوا إلى متحف جاير أندرسون ، ذلك المتحف الملاصق للجامع الطولوني والمقام في دارين أثريتين تعطيان فكرة عن طرز دور القاهرة في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين . وقد شاهدوا في هذا المتحف الطرف الأثرية المتنوعة والمفروشات التي تعطى فكرة عن أثاث الدور في هذين العصرين ..

وما أن انتهت الزيارة حتى لبوا دعوة زملائهم أعضاء لجنة التاريخ والآثار بالإقليم الجنوبي إلى زيارة نيل مصر وتناول الغداء على ضفافه .

وكان للسيد الجليل المؤرخ الكبير محمد شفيق غربال رئيس الجمعية المصرية للدراسات التاريخية وعضو لجنة التاريخ والآثار الفضل في تقديم مقر الجمعية لأجتماع اللجان بقة أيام اجتماع الحلقة في المساء . وكانت استضافة كريمة هيئت فيها سبل الراحة والتكريم لأعضاء الحلقة ، وأتيحت الفرصة لأعضاء الجمعية وغيرهم للاستماع إلى محاضرات ومناقشات أعضاء الحلقة . ثم خصصت الساعة العاشرة من صباح يوم الثلاثاء ٧ من فبراير لزيارة المتحف المصري وقد استقبل الأعضاء السادة أمناء المتحف وطاقوا بهم في أنحائه .

وكان يوم الأربعاء ٨ من فبراير حافلا بالزيارات ففي الساعة العاشرة صباحا اجتمع الأعضاء في دار المكتب وقد استقبلهم مدير الدار وطاق بهم في أنحائها وأهدى للسادة الأعضاء مجموعة من النشرات التي أصدرتها الدار . وعقب الفراغ من زيارة الدار انتقل الأعضاء إلى زيارة متحف الفن الإسلامي واستقبلهم مدير الدار والأمناء وطاقوا بهم في أنحائه . وكانت زيارة ممتعة تعلمت فيها الآثاريون وتناقشوا في عدة موضوعات .

وبما أنه انتهت زيارة متحف الفن الإسلامي حتى انتقل الأعضاء إلى المتحف القبطي . وكان في استقبالهم مدير المتحف ، وقد شاهدوا مقتنيات المتحف التي تمثل الفنون القبطية والإسلامية كما زاروا أيضا الحصن الروماني ..

ونخصص يوم الخميس من ٩ فبراير لزيارة سقارة ومنطقة الأهرام ، وفي هذا اليوم تناول الأعضاء الغداء في سقارة بدعوة من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، وكان رائد تلك الزيارة الزميل الدكتور أحمد فخرى حيث تنقل بهم بين آثار سقارة شارحا لهم دقائقها وتاريخها واختتمت الزيارة بمشاهدة أهرام الجيزة ومراكب الشمس .

ونخصص يوم الجمعة ١٠ من فبراير لزيارة الفيوم بعد الانتهاء من أيام الحلقة وفي هذا اليوم تناول الأعضاء الغداء في نادى المجلس البلدى بدعوة من المجلس الأعلى للفنون ، وكانت زيارة ممتعة للفيوم ومناظرها الطبيعية وآثارها .

وعقب جلسة الختام والموافقة على القرارات دعت الجمعية التاريخية المصرية السادة الأعضاء إلى حفلة شاي تسامر فيها الأعضاء مع زملائهم أعضاء الجمعية وتعارفوا ووزعت عليهم بعض نشرات الجمعية .

والحمد لله فقد كانت حلقة موفقة تعارف فيها الأعضاء وتناقشوا مناقشات مفيدة وأدلوأ بآرائهم التى تعود بالنفع على التاريخ والآثار .

فى الوقت الذى يعدّ فيه نشر دراسات وقرارات تلك الحلقة ،
فجعنا وفجع العالم العربى والإسلامى يوم ٢٠ من أكتوبر
سنة ١٩٦١ نبأ مروع هو وفاة الأستاذ محمد شفيق غربال ،
وكان لهذا النبأ هزة عنيفة فى الأوساط العلمية . فقد كان
رحمه الله عالما محققا ودارسا مدققا تتلمذ عليه مؤرخو
هذا الجيل وكان له فضل الإسهام المنتج فى الأوساط والمجامع
العلمية . وبفقده فقد العالم العربى والإسلامى ذخيرة لا تعوض
رحمه الله رحمة واسعة .

المَجْمُوعَةُ ٤٢

المحتوى

الصفحة

كلمات الافتتاح

- كلمة الأستاذ أحمد نجيب هاشم وزير التربية والتعليم للإقليم المصرى ورئيس شعبة العلوم الاجتماعية بالمجلس ٥
- كلمة الأستاذ عبد الرحمن الرافعى المقرر العام للجنة التاريخ والآثار بالمجلس ٩
- كلمة الدكتور نور الدين حاطوم مقرر لجنة التاريخ بالإقليم السورى ١٥
- لوحات الصور التى أخذت للسادة أعضاء الحلقة

البحوث التى أُلقيت فى الحلقة

- ١ - منهج دراسة تاريخ الشرق الأدنى القديم ومنهج تاريخ الحضارة للدكتور أحمد فخري ٢١
- ٢ - مشروع إنقاذ آثار النوبة وآخر البحوث التى تجرى فيها للدكتور عبد المنعم أبو بكر ٣٧
- ٣ - الألقاب الفخرية فى مصر فى عهد البطالمة للدكتور إبراهيم نصحي ٥٣
- ٤ - التأثيرات المعمارية بين آثار سوريا ومصر للأستاذ حسن عبد الوهاب ٨٣
- ٥ - رعاية الآثار الإسلامية للدكتور جمال محرز ١٠٧
- ٦ - ترميم الآثار للمهندس محمد عبد الفتاح حلمي ١١٥
- ٧ - المعاجم التاريخية والأثرية للأستاذ عمر رضا كحالة ١٢٥
- ٨ - الملابس فى العصر الأموى وقاموس دوزى للدكتور نبيه عاقل ١٣١
- ٩ - المتاحف فى الإقليم السورى للأستاذ بشير زهدى ١٣٩
- ١٠ - وجوب العودة للتأليف التاريخى على أساس الخطط للأستاذ محمد شفيق غربال ١٤٩
- ١١ - دراسات فى التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للدكتور محمد مصطفى زيادة ١٥٥
- ١٢ - المستشرقون والتاريخ العربى للدكتور محمد كامل عياد ١٦٩
- ١٣ - البحوث الأندلسية للأستاذ محمد عبدالله عنان ١٧٧

الصحيحة:

- ١٤ - العراق بين الممالك والأثرية للأستاذ محمد أحمد دهمان ... ١٨٥
- ١٥ - حول تاريخ بلاد الشام في القرن العاشر الهجري ، (السادس عشر الميلادي) لآنسة ليلى الصباغ ... ١٩٥
- ١٦ - أهمية الوثائق وتاريخ الإقليم السوري للدكتور نادر العطار ... ٢٠٥
- ١٧ - أزمة الدراسات التاريخية والأثرية في الإقليم السوري للدكتور نور الدين طاحوم ... ٢١٥
- ١٨ - استكمال التأهيل العلمي لمدرسي التاريخ للدكتور علاء الدين الخاني ... ٢٢٧

التوصيات التي أقرتها الحلقة

- ولا - التوصيات الخاصة بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ٢٥١
- ثانياً - التوصيات الخاصة بوزارة التربية والتعليم ٢٥٢
- ثالثاً - التوصيات الخاصة بالمجلس الأعلى للجامعات ٢٥٤
- رابعاً - التوصيات الخاصة بوزارة الثقافة والإرشاد القومي ٢٥٥

اللوحات الخاصة بالبحوث .

- ١ - اللوحات الخاصة ببحث « التأثيرات الممارية بين آثار سوريا ومصر »
للأستاذ حسن عبد الوهاب .
- ٢ - اللوحات الخاصة ببحث « ترميم الآثار »
لمهندس محمد عبد الفتاح حلمي .

قائمة اللوحات

أولا - الصور التي أخذت لأعضاء الحلقة .

السادة أعضاء الحلقة في زيارة الجامع الطولوني
بعض الأعضاء في زيارة المتحف القبطي
بعض الأعضاء في حفلة الغداء
الجلسة الختامية

ثانيا - الصور الخاصة ببحث « التأثيرات المعمارية بين آثار سورية ومصر » للأستاذ حسن عبد الوهاب .

- ١- شبايك جصية من قصر الخير الغربي ببادية الشام (جنوبي غربي تدمر) سنة ١٠٩ هـ ٧٢٧ م
- ٢- شباك جصى بالجامع الطولوني بمصر سنة ٢٦٥ هـ ٨٧٨ م
- ٣- شباك جصى بالجامع الطولوني بمصر « « «
- ٤- محراب طولوني بالجامع الأموي بدمشق (القرن الثالث الهجرى . القرن التاسع الميلادى)
- ٥- محراب خشبى متنقل من مشهد السيدة رقية بمصر (سنة ٥٢٧ هـ ١١٣٢ م)
- ٦- تفاصيل من المحراب الخشبي بالمدرسة الحلوية بحلب ، وعليه اسم صانعه ، أبو الحسن محمد ابن الحراني (سنة ٦٤٣ هـ . ١٢٤٥ م)
- ٧- قبة مدرسة نور الدين الشهيد بدمشق (سنة ٥٦٧ هـ . ١١٧٣ م)
- ٨- قبة صلاح الدين بدمشق (سنة ٥٩٢ هـ . ١١٩٥ م)
- ٩- قبة عبد الرحمن ، بالدحاح بدمشق (العصر الأيوبي)
- ١٠- تفاصيل من تابوت صلاح الدين بدمشق (سنة ٥٩٢ هـ . ١١٩٥ م)
- ١١- تابوت الإمام الشافعى بمصر (سنة ٥٧٤ هـ . ١١٧٨ م)
- ١٢- تفاصيل من تابوت المشهد الحسينى بالقاهرة ، بمتحف الفن الإسلامى (حوالى سنة ٥٧٥ هـ . ١١٧٩ م)
- ١٣- قبة الإمام الشافعى (سنة ٦٠٨ هـ . ١٢١١ م)
- ١٤- تفاصيل من تابوت أم الملك الكامل بقبة الإمام الشافعى (سنة ٦٠٨ هـ . ١٢١١ م)
- ١٥- باب مدفن السادات الثعالبة (سنة ٦١٣ هـ . ١٢١٦ م)

- ١٦- مدخل المدارس الصالحية: الصالح نجم الدين بالقاهرة (سنة ٦٤١ هـ . ١٢٤٣ م)
- ١٧- قبة الصالح نجم الدين بالقاهرة (سنة ٦٤٨ هـ . ١٢٥٠ م)
- ١٨- قبة شجر الدر بالقاهرة (سنة ٦٤٨ هـ . ١٢٥٠ م)
- ١٩- زخارف جصية بقبة الخلفاء النجاشيين بمصر (حوالي سنة ٦٤٠ هـ . ١٢٤٣ م)
- ٢٠- قبة ومنارة أبو الفتح أسد الفائزى بالقاهرة (أواخر العصر الأيوبي)
- ٢١- مصراع باب المدرسة الشاذليونية (الشيخ معروف) بحلب (سنة ٥٨٩ هـ . ١١٩٣ م)
- ٢٢- مصراع باب خان خير بك بحلب (سنة ٩٢٨ هـ . ١٥١٤ م)
- ٢٣- باب المدرسة السلطانية بحلب (سنة ٦١٣ - ٦٢٥ هـ . ١٢١٦ - ١٢٢٧ م)
- ٢٤- العقد الغريب بمطبخ العجمي بحلب (القرن الثالث عشر الميلادي)
- ٢٥- محراب مدرسة الفردوس بحلب (سنة ٦٣٣ هـ . ١٢٣٥ م)
- ٢٦- باب رباط أزدسر . مصطفى باشا حاكم اليمن بشارع القادرية بالإمام الشافعي بمصر (حوالي سنة ٦٦٦ هـ . ١٢٦٧ م)
- ٢٧- الإيوان الغربي ببيمارستان أرغون الكامل بحلب (سنة ٧٥٥ هـ . ١٣٥٥ م)
- ٢٨- التيجان العربية فوق العمدة في بيمارستان أرغون الكامل بحلب (سنة ٧٥٥ هـ - ١٣٥٥ م)
- ٢٩- العقود حول صحن الجامع الأموي بدمشق (سنة ٨٦ هـ . ٧٠٥ م)
- ٣٠- العقود حول صحن مسجد الناصر محمد بن قلاوون بقائمة الجبل بمصر (سنة ٧٣٥ هـ . ١٣٣٥ م)
- ٣١- كسوة رخامية في باب مسجد أصلم السلحدار بمصر (سنة ٧٤٥ هـ . ١٣٤٥ م)
- ٣٢- كسوة رخامية في باب مسجد برقوق بمصر (سنة ٧٨٨ هـ . ١٣٨٦ م)
- ٣٣- كسوة رخامية في باب التربة الأرغونية بدمشق
- ٣٤- طراز مكتوب بالخط الكوفي والنسخي برقة القبة البحرية بمناقاة فرج بن برقوق بالقرافة الشرقية بالقاهرة (سنة ٨١٣ هـ . ١٤٠٠ م)
- ٣٥- طراز مكتوب بالخط الكوفي والنسخي بالمدرسة الجقمقية بدمشق (٨٢٤ هـ . ١٤٢١ م)
- ٣٦- طراز مكتوب بالخط الكوفي بمدرسة السلطان حسن بمصر (سنة ٧٥٧ - ٧٦٤ هـ)
- ٣٧- طراز مكتوب بالخط الكوفي في مسجد يلينا بدمشق (سنة ٧٤٧ هـ . ١٣٤٧ م)
- ٣٨- مدخل مسجد القسطنطينية (المدرسة الصاحبية) بحلب (سنة ٧٥٠ هـ . ١٣٥٠ م)
- ٣٩- عقد مدخل مسجد الظاهر بيبرس البندقداري بالقاهرة (سنة ٦٦٧ هـ . ١٢٦٩ م)
- ٤٠- منبر الجامع الكبير بحلب (أوائل القرن الثامن الهجري)
- ٤١- منبر مسجد حديق القهرمالة بمصر (سنة ٧٤٠ هـ . ١٣٤٠ م)
- ٤٢- منبر المسجد الكبير بمهارة (القرن الخامس عشر الميلادي)
- ٤٣- منبر مسجد كفرى بردى بمصر (سنة ٨٤٤ هـ . ١٤٤٠ م)
- ٤٤- محراب ومنبر مسجد سنان باشا بدمشق (سنة ٩٩٥ هـ . ١٥٨٦ م)

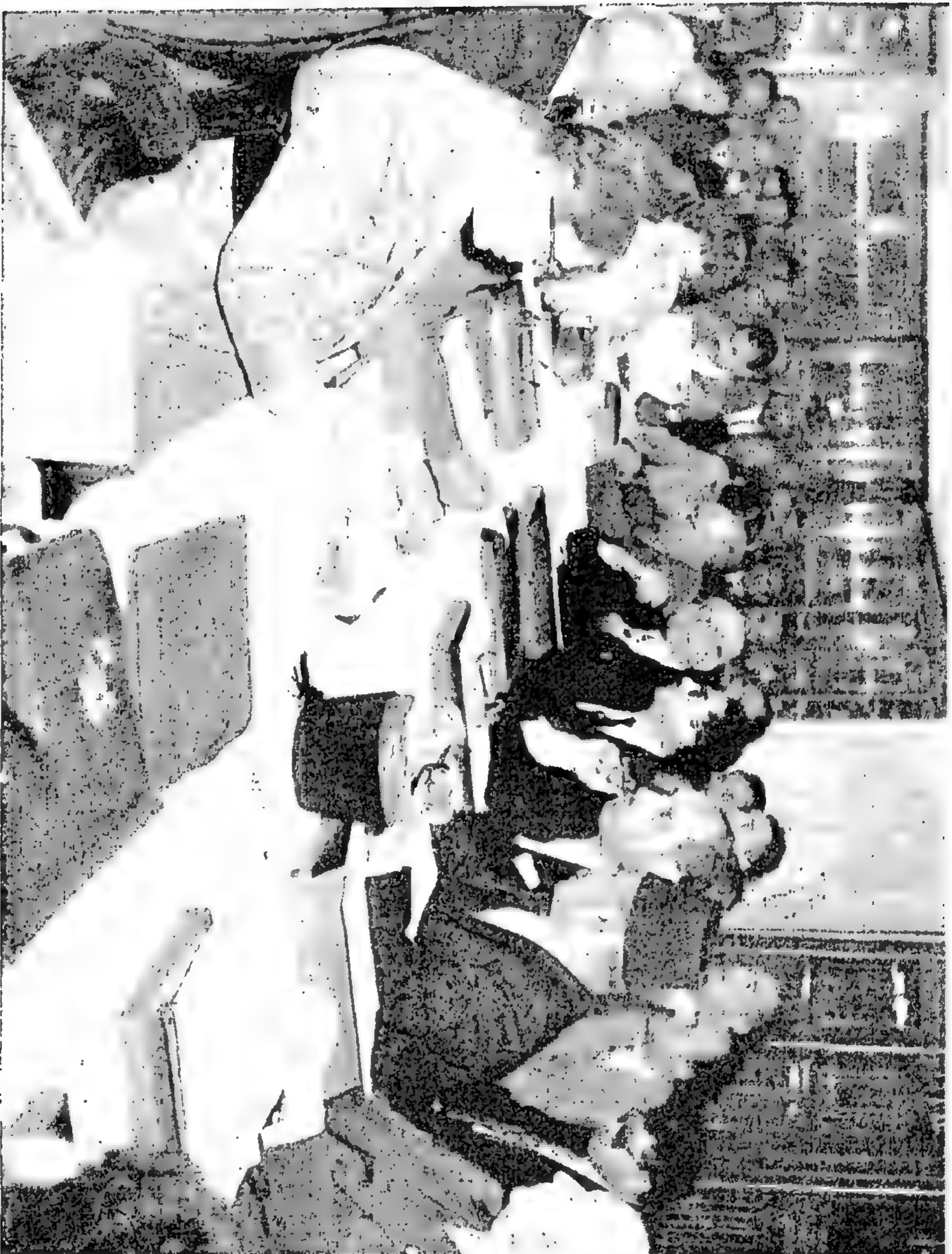
- ٤٥ - محراب ومنبر مسجد الملكة صفية بمصر (سنة ١٠١٩ هـ . ١٦١٠ م)
- ٤٦ - قاشاني دمشق بمسجد سنان باشا بدمشق (سنة ٩٩٥ هـ . ١٥٨٦ م)
- ٤٧ - قاشاني تركي بمدفن إبراهيم آغا بمسجد آق سنقر بمصر (سنة ١٠٦٢ هـ . ١٦٥١ م)
- ٤٨ - قبة المنوق بالقرافة القبليّة بمصر (نهاية القرن الثالث عشر الميلادي)
- ٤٩ - قبة خان أسعد باشا العظم بدمشق (سنة ١١٦٦ هـ . ١٧٥٢ م)
- ٥٠ - منارة الجامع الكبير بمصر النعمان
- ٥١ - منارة الجامع الكبير بحلب
- ٥٢ - منارة المدرسة السفاحية بحلب (سنة ٨٢٨ هـ . ١٤٢٤ م)
- ٥٣ - منارة المولوية بحلب (سنة ١٢٧٨ هـ . ١٨٦١ م)
- ٥٣ - منارة مسجد الموازين بحلب (سنة ٧٩٧ هـ . ١٣٩٤ م)
- ٥٤ - منارة الجامع الطولوني بمصر (سنة ٦٩٦ هـ . ١٢٩٦ م)
- ٥٥ - منارة الجامع العتيق بإسنا (سنة ٤٧٠ هـ . ١٠٧٧ م)
- ٥٦ - منارة مدارس الصالح نجم الدين بالقاهرة (سنة ٦٤١ هـ)
- ٥٧ - منارة مدرسة منقر السعدي حسن صلقه (سنة ٧٢١ هـ)
- ٥٨ - منارة خائفه قوصون (سنة ٧٣٦ هـ)
- ٥٩ - منارة مدرسة الجاي اليوسفي (سنة ٧٧٤ هـ)
- ٦٠ - منارة مسجد آسبغا (سنة ٧٧٢ هـ)
- ٦١ - منارة مسجد القاضي يحيى بشارع الأزهر (سنة ٨٤٨ هـ . ١٤٤٤ م)
- ٦٢ - منارة مسجد المؤيد شيخ فوق باب زويلة (سنة ٨٢٣ هـ . ١٤٢٠ م)
- ٦٣ - منارة السلطان قايتباي بالأزهر (سنة ٨٧٣ هـ . ١٤٦٨ م)
- ٦٤ - منارة مسجد تميم نجم الرصافي (ثم رصاص) بحارة السيد زينب (قبل سنة ٨٧٦ هـ)
- ٦٥ - منارة مسجد قايتباي بقلعة الكيش (سنة ٨٨٠ هـ . ١٤٧٥ م)
- ٦٦ - منارة مدرسة جاثم البهلوان بالسروجية (سنة ٨٨٣ هـ . ١٤٧٨ م)
- ٦٧ - قبة زين الدين يوسف (سنة ٦٩٧ هـ . ١٢٩٨ م)
- ٦٨ - قبة الخائفه البندقارية (سنة ٦٨٢ هـ . ١٢٨٥ م)
- ٦٩ - قبة تنكزيفه بصحراء السيوطي (القرافة القبليّة) (سنة ٧٦٤ هـ . ١٣٦٤ م)
- ٧٠ - قبة الأشرف برسباي بالقرافة الشرقية (سنة ٨٣٥ هـ . ١٤٣١ م)
- ٧١ - قبة الأمير برسباي البجاسي بالقرافة الشرقية (سنة ٨٦١ هـ . ١٤٥٣ م)
- ٧٢ - قبة قانصوه أبو سعيد بالقرافة الشرقية (سنة ٩٠٤ هـ . ١٤٩٩ م)
- ٧٣ - قبة المدرسة الجوهريّة بالجامع الأزهر (قبل سنة ٨٤٤ هـ . ١٤٤٠ م)
- ٧٤ - قبة مسجد قانيباي أمير اخور بميدان صلاح الدين (سنة ٩٠٨ هـ . ١٥٠٣ م)

ثالثاً - الصور الخاصة ببحث « ترميم الآثار » للمهندس عبد الفتاح حلمي

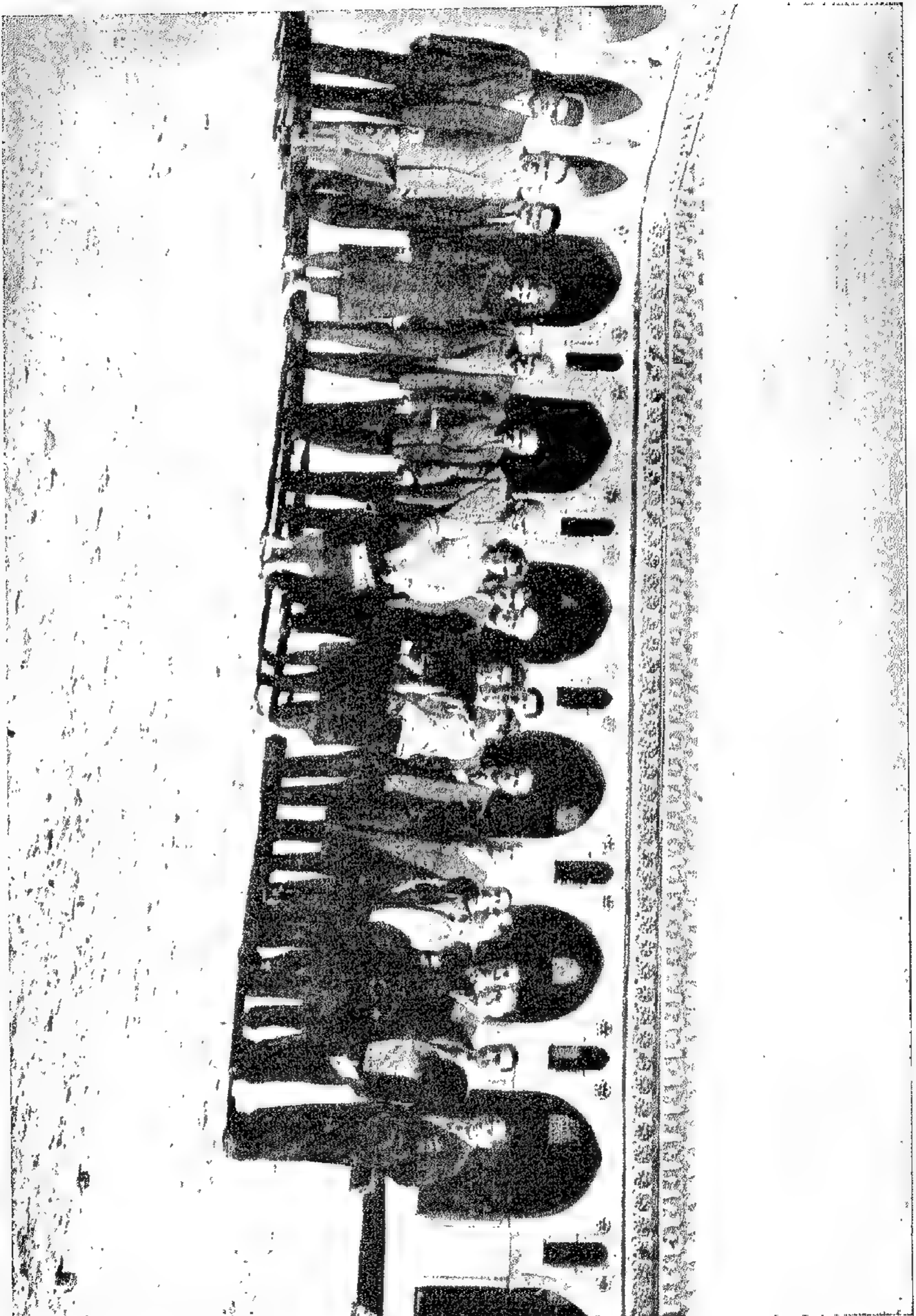
- ١ - واجهة مسجد الصالح طلائع قبل الإصلاح
- ٢ - واجهة مسجد الصالح طلائع بعد الإصلاح
- ٣ - داخل مسجد الصالح طلائع قبل الإصلاح
- ٤ - داخل مسجد الصالح طلائع بعد الإصلاح
- ٥ - داخل مسجد المارداني (الصحن) قبل الإصلاح
- ٦ - صحن جامع المارداني بعد الإصلاح
- ٧ - داخل مسجد المارداني (المحراب والمنبر) قبل الإصلاح
- ٨ - داخل مسجد المارداني بعد الإصلاح
- ٩ - خانقاه فرج بن برقوق بالقرافة الشرقية قبل الإصلاح
- ١٠ - خانقاه فرج بن برقوق بعد الإصلاح
- ١١ - داخل خانقاه فرج بن برقوق قبل الإصلاح
- ١٢ - داخل خانقاه فرج بن برقوق بعد الإصلاح
- ١٣ - داخل وكالة النوري قبل الإصلاح
- ١٤ - داخل وكالة النوري بعد الإصلاح
- ١٥ - واجهة مسجد الأشرف برسباي بالخانكة قبل الإصلاح
- ١٦ - واجهة مسجد الأشرف برسباي بالخانكة بعد الإصلاح
- ١٧ - داخل مسجد الأشرف برسباي بالخانكة قبل الإصلاح
- ١٨ - داخل مسجد الأشرف برسباي بالخانكة بعد الإصلاح
- ١٩ - منزلا الكريتلية وآمنة بنت سالم قبل الإصلاح
- ٢٠ - منزلا الكريتلية وآمنة بنت سالم بعد الإصلاح
- ٢١ - منارة مدرسة صرغتمش قبل فكها
- ٢٢ - منارة مدرسة صرغتمش بعد إعادة تركيبها
- ٢٣ - مسجد محمد علي وقت الإصلاح
- ٢٤ - مسجد محمد علي بعد الإصلاح



بعض حضرات الأعضاء في حفلة النداء



الملك فيصل



السادة أعضاء الخلقة في زيارة الجامع الطرلوفى



بعض الأعضاء في زيارة المتحف القبطي

البشارة والاشارة

الحلقة الدراسية الأولى

لله شاف احمد نجيب هاشم

باسم الله أفتتح هذه الحلقة وأسأله التوفيق .

سيداتي و سادتي

أحييكم أطيب تحية ، وأشكر لكم تلبية الدعوة لحضور حلقة الدراسات التاريخية والأثرية هذه التي أعدها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .

وإذا كانت هذه الحلقة توجه اليوم عنايتها الأولى إلى دراسة التاريخ القديم والحديث للجمهورية العربية المتحدة ، وآثارها الخالدة ، فلني أرجو أن يمتد غداً نطاق الحلقات القادمة فتشمل دراساتها تاريخ البلاد العربية جميعاً فأصلها واحد ، وتاريخها واحد ، ولغتها واحدة ، تربطها بعضها ببعض أواصر قوية من الأمانى المشتركة ، ووشائج متينة من المصالح المتبادلة . ولاشك في أن هذه الدراسات نتيجة حتمية للوعى القومى العربى الذى يزداد على مر الأيام قوة وازدهارا . ولست فى حاجة إلى أن أذكر لحضراتكم أن الدراسات التاريخية والأثرية من الوسائل الفعالة لتقوية الروح القومية فى النفوس والهوض بالشعوب الطموحة الوثابة إلى مكانها من العزة والكرامة .

ونحن ، خلال هذه الحقبة الحاسمة من تاريخنا المجيد أشد ما نكون احتياجاً إلى التعمق فى دراسة هذا التاريخ ، قديمه ووسيطه وحديثه ، والتعريف به . وسترون خلال دراساتكم المثمرة هذه أنه سوف تتشعب بكم الاتجاهات ، وتتسع دوائر النقاش وحلقات الجدل ، ولكن سيتم ذلك

في روح من أصالة الرأي ونضوج الفكر ، فالعناصر الحاكمة على الشرق العربي في نهضته الكبرى كثيرة قوية ترصد به ، وتضيق عليه الخناق ، وتلمس ثغرة تنفذ منها لتضرب ضرباتها الخبيثة الماكرة . ومكاننا في الشرق العربي وواجبنا المقدس يحتمان علينا اليقظة المستمرة والسهر الدائم على الاحتفاظ بتراثنا الخالد وأعمالنا المحيطة وأمجادنا الغراء حتى تكون حافزا لنا في بناء مستقبل مشرق لا يقل روعة وجلالا عن ماضينا العظيم . وستجدون أن ميادين البحوث التاريخية والأثرية الخاصة بالأمصار العربية متسعة ومجالاتها فسيحة الرحاب ، فبلادنا منبع الحضارة البشرية ، وقد حملت مشعل التقدم الإنساني منذ آلاف السنين ، وسارت في مقدمة ركب الحضارة بين أمم العالم طرأ ، ولقد كانت الصلات التي ربطتنا وسائر أعضاء الأمة العربية مستمرة متصلة الحلقات في مختلف العصور وتباين الأحداث .

ويمكنني أن أؤكد لحضراتكم أيها السادة أنه سيكون لدراساتكم في هذه الحلقة المباركة أثر عميق في الدفع القومي والتوجيه العلمي - وإني واثق أنكم ستصلون بدراساتكم إلى نتائج طيبة تكافئكم على جهودكم ومناقشاتكم المثمرة وتنير لنا السبيل خلال الأعاصير الجامحة والأحداث العاصفة التي تكاد تورد العالم اليوم موارد التهلكة .

وانتهز هذه الفرصة فأهنيء هؤلاء السادة الدارسين المؤمنين برسالتكم المتطلعين إلى ثمار أعمالكم ودراساتكم فسوف ينتفعون في مختلف النواحي بما ستقومون به من بحوث خلال جلسات هذه الحلقات التي حرصت على أن يحضرها عدد من المشرفين على تدريس التاريخ في مدارسنا ومعاهدنا .

ويجمل بي أن أذكر في هذا المقام أنني سعدت حين دخلت إلى هذه القاعة بقاء أستاذي المؤرخ الكبير محمد شفيق غربال وتحدث لي عن هذه الحلقة وموضوعاتها فأشار أنه من مخاسن الصدف أن تعقد في وقت نسمع فيه كلمة حق في قضية تهتم العرب جميعاً ؛ كلمة تخرج من فم عالم جليل

«الشان عزيز المكانة هو المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي ؛ فقد جاهر برأيه في شجاعة وإيمان ، وأوضح للعالم كله حق العرب في فلسطين أرضهم المغتصبة ووطنهم المسلوب .

إنها ومضة من ومضات التاريخ الصادق ، وإشراقة من الضياء نذكرها في افتتاح هذه الحلقة اعترافاً بحسن الصنيع وتقديراً لصراحة المؤرخين المدققين .

أكرر شكرى لكم وأشكر لكل من أسهم في الإعداد لهذه الحلقة بوأتمنى لكم التوفيق والسداد .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الشيخ محمد الرحمن الرافعي

المقرر العام للجنة التاريخ والآثار

السيد وزير التربية والتعليم .

سيداتي . سادتي الأعزاء .

أحييكم أطيب تحية . وأشكر للسيد رئيس المجلس الأعلى إقامة هذه الحلقة ..
حلقة الدراسات التاريخية والأثرية ، وأشكر لكم تلبية الدعوة لحضورها .
إن هذه الحلقة قد أعدها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم
الاجتماعية وخصصها للدراسات التاريخية والأثرية . هذه الدراسات التي
تعنى أول ما تعنى بتاريخ الجمهورية العربية المتحدة الحديث والقديم ،
وآثارها ، وتعنى بتاريخ البلاد العربية كلها ، ثم بتاريخ الإنسانية والدول
والشعوب بوجه عام .

إن الثقافة القومية والعلمية أحوج ما تكون لهذه الحلقات والندوات . التي
نرجو مع الزمن أن تتحول إلى مؤتمرات دورية ، وهذه الندوات والمؤتمرات
فضلا عن فوائدها العلمية — جديدة بأن تحبب إلى المواطنين تاريخ بلادهم ،
وتطالع الشعب العربي بالعديد من الحقائق عن ماضيه المجيد وحاضره السعيد ..
والدراسات التاريخية والأثرية بوجه عام من الوسائل الفعالة لرفع مستوى
الوعي القومي وتقوية الروح الوطنية في النفوس ، هذا إلى مزاياها العلمية
والتحليلية المحققة .

والشرق العربي في نهضته الحديثة يتطلب تعرف تاريخه القديم والحديث ،
فهو في حاجة إلى من يبصره بأمجاده القديمة ، فمنها تتولد أمجاده الحديثة ..
وأمجاده في المستقبل .

وإذا كان الشرق قد تخللت تاريخه في بعض الفترات هجعة أو نكسة .
فإنها كهجعة النائم ؛ لم تلبث أن أعقبتها اليقظة ثم النهضة ، وقد استيقظ الشرق
العربي في القرن التاسع عشر ، واستمرت يقظته ثم نهضته في القرن العشرين ، وأخذ
يستعيد أمجاده القديمة ويضم إليها أمجاداً حديثة ، ولا غرو فالأمة كالفرد في
حياته وتطوره ، كلاهما كائن حي ينمو ويتطور . مع هذا الفارق بينهما . وهو
أن الفرد مصيره إلى زوال . أما الأمة فهي باقية خالدة لا تنتهي حياتها أبداً . بل
تتجدد في أشخاص الأبناء والأحفاد والذرائع والأجيال . وعلى الأجيال
المتعاقبة أن تعرف تاريخ الأجيال السابقة . فمنها يتكون الوطن الأكبر الذي
يربطهم ويؤلف بينهم جميعاً .

وهم كأفراد الأسرة الواحدة . يعرف كل واحد منهم سيرة آبائه وأجداده
بواحد واحد . ويحرص على إعزاز الأسرة التي أنجبته ، وكما يحب المرء سيرة
أسلافه . كذلك يعتز المواطن بتاريخ أسلافه في الوطن ويشعر بأنه استمرار
لهذا التاريخ وجزء منه .

والمرء إذا أحب أبويه . فإنه يحب قصة حياتهما ، ويتعرف تاريخ
ميلادهما . والمكان الذي ولدا فيه ، وظروف حياتهما ، وأدوارها ومراحلها ،
وما نالاه من حظ وتوفيق . أو صادفها من عقبات ومتاعب . وكذلك الزوج
إذا أحب زوجته وشريكه حياته يحب دائماً أن يعرف قصتها في الحياة ،
أين ولدت ، وفي أي سنة رأت نور الحياة ، والمعاهد التي تعلمت فيها ،
وكيف كان تثقيفها وتعليمها ، بل يحب أن يعرف أيضاً طرفاً من حياة
أبويها وذويها .

وكذلك المواطن إذا أحب وطنه يجعل من أول واجباته أن يعرف
قصة هذا الوطن وتاريخه . في سرائره وضرائه . وفي أفراحه وأحزانه ، فإن
هذه المعرفة هي الشرارة الأولى للشعلة الوطنية .

وإذا كان القصص وسيلة من وسائل نشر المبادئ الصالحة والمعاني
السامية والعواطف النبيلة . فأجدر بالتاريخ — وهو قصة واقعية — أن يكون

وسيلة للنهوض بالعقول والأفكار. ونضج القرائح . والسمو بأخلاق الجيل
ومعنوياته . وتوجيه المواطن إلى المثل العليا في الحياة القومية .

والشعب العربي كلما ازداد معرفة بتاريخ بلاده ازداد حبها ،
وإذا أحبها أخلص لها ، وكلما أخلص المواطنون لبلادهم بذلوا كل ما في
مقدورهم لإسعادها ورفع شأنها ، وهذا هو معنى الوطنية ، ومن هنا قالوا
إن التاريخ مدرسة للوطنية .

إن التاريخ العربي حقل واسع المدى فسيح الجنبات للدراسات التاريخية
والأثرية . والشعب العربي كائن حي تعاقبت عليه العصور والدهور. وهو أبداً
سائر إلى الأمام ، ينشد المثل العليا ويحمل للإنسانية معاني الاعتدال والحضارة
والرغبة الصادقة في المحبة والسلام .

إن الحقل واسع والميدان فسيح ، والبحوث التاريخية والأثرية فيه
متشعبة النواحي ، وحسبنا للتويه بذلك أن الحضارة البشرية قد بدأت
في الشرق العربي .

ظهرت الحضارة أول ما ظهرت في وادي النيل ، نشأت على ضفافه
منذ نحو سبعة آلاف سنة قبل الميلاد ، ونمت وازدهرت على تعاقب الأجيال
والقرون ، والمصريون القدماء بينهم وبين العرب صلات ووشائج متناهية
في القدم ، وقد وفد كثير منهم إلى مصر القديمة على أثر هجرات من
الجزيرة العربية ، وهم ينتسبون إلى الأرومة السامية ، ولذلك قالوا إن
لأصول المصريين الأقدمين والعرب والفينيقيين والكنعانيين روابط تشد
بعضها إلى بعض ، فالمصريون عرب من قديم الأزل ، وقد امتدت
جروبهم من فجر التاريخ القديم إلى التاريخ المتوسط إلى التاريخ
الحديث .

وتاريخ الرسائل الروحية مرتبط أيضاً بتاريخ الشرق العربي ، فهو
موطن الرسائل التي هي من أركان الحضارة البشرية .

فإبراهيم الخليل ، أبو الأنبياء قد نشأ عربياً في جنوب العراق ،
منذ نحو ألفي سنة قبل الميلاد ، ودعا إلى التوحيد . ورحل إلى فلسطين
فصر ثم إلى الحجاز . بيكة وبني الكعبة في مكة مع ابنه إسماعيل .

« إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً

وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم »

« وإذا يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم »

وفي جبل سيناء كلم الله موسى تكليماً .

وفي فلسطين نشأ السيد المسيح . الذي أصابه من اضطهاد الرومان
والإسرائيليين ما أصابه . وعلى يده ظهرت المسيحية السمحة . الداعية إلى
الإخاء والسلام . لا إلى البغى والعدوان .

وفي ظلال البيت الحرام نشأ محمد عليه الصلاة والسلام . ونزل عليه
الوحي ، ودعا إلى رسالة الإسلام ، رسالة التوحيد والإيمان ، فتصدى
له قومه وحاربوه ، وهاجر إلى المدينة في السنة الأولى للهجرة (٦٢٢
ميلادية) . وبهجرتة يبدأ التاريخ الهجري .

وفي السنة الثامنة للهجرة (٦٣٠م) سار لفتح مكة بعد أن نقض أهلها
عهد (الحديبية) فتم له فتحها . وكان لهذا الفتح أثره وفضله في توحيد
كلمة العرب .

وانتشرت الدعوة أول ما انتشرت بين سكان الجزيرة العربية . وتوحدت
كلمة العرب في عهد الرسول أولاً ، ثم في عهد الخلفاء الراشدين .

واستخلص العرب أرض العراق من أيدي الفرس ، وبلاد الشام من
أيدي الروم البيزنطيين (الرومان) . ومصر من أيدي البيزنطيين أيضاً .

واستقبلت الشعوب دخول العرب هذه البلاد . لا كفزاة فاتحين .
بل كمنقذين لهم من اضطهاد الفرس والروم البيزنطيين ، وخاصة لأن

هذه الشعوب بحكم موقعها أقرب إلى العرب نسباً وأصولاً وروابط اقتصادية وثقافية وروحية . بل كان معظمهم عرباً من قبل . فلا غرو أن انضموا إلى المجموعة العربية راضين مختارين . وزاد تعلقهم بها ما رأوه من عدل الخلفاء الراشدين وولاتهم . ومساواتهم بين الناس . ورفقهم بالأهلين .

ثم انتقلت الخلافة إلى بنى أمية . واتخذ معاوية بن أبي سفيان دمشق عاصمة للدولة العربية . وصارت دمشق من يومئذ أى فى القرن الأول للهجرة (السابع الميلادى) عاصمة الدولة العربية . بل عاصمة العروبة وقلبها الخفاق . وفى عهد الدولة الأموية اتسعت رقعة العروبة بانضمام شمال إفريقيا إلى الدولة العربية . وانتقلت إلى القارة الأوروبية بفتح الأندلس على يد طارق بن زياد فى عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك .

سادنى :

ستسمعون فى الحلقة الحالية إلى بحوث جديدة فى مواضيع شتى من تاريخ الشرق ، وهى بحوث عميقة استغرقت شهوراً فى إعدادها ، وسنين طويلة فى التمهيد لها ودراستها . ولأصحابها الأجلاء الفضل الكبير فى تدوينها وإخراجها فى ثوبها القشيب .

وستلقى هذه البحوث فى جلسات متوالية لهذه الحلقة . ويعقب كل موضوع مناقشة لتجاية بعض النقط لمن يريد المناقشة ، أو لاستنباط النتائج منها . يعقبها إصدار قرارات وتوصيات . وميزة هذه البحوث أنها علمية وعملية . اقترنت بالعديد من الاقتراحات لتحقيق ما ورد فيها من مختلف الرغبات .

وستطبع المحاضرات والتوصيات فى كتاب مستقل إن شاء الله يتولى المجلس الأعلى لإخراجه وتوزيعه .

وسيوالى أعضاء لجنة التاريخ والآثار بالإقليم الشمالى والإقليم الجنوبى
إعداد موضوعات أخرى للحلقات أو المؤتمرات القادمة بعون الله .
وشكراً للسيد رئيس المجلس الأعلى . وشكراً لكم أيها السادة .
والسلام عليكم ورحمة الله .

الدكتور نور الدين حاتم

السيد وزير التربية والتعليم .

سيداتي آنساتي سادتي .

يشرفني باسم إخواني أعضاء لجنة التاريخ والآثار في الإقليم السوري .
أن أقدم بجزيل الشكر إلى سيادة الوزير ، رئيس المجلس الأعلى على
هذه الفرصة الثمينة التي أتاحتها لنا للاجتماع إلى هذه النخبة المختارة من
رجال التاريخ والآثار في إقليمنا المصري العزيز ، ولأنها لمناسبة سعيدة أن
نتحدث فيها مع إخواننا في مختلف الموضوعات التاريخية والأثرية التي
تهمنا وتشغلنا معاً ، لاسيما وأن الجمهورية العربية المتحدة تجتاز مرحلة
حاسمة في تاريخها الحديث وتريد أن تنشئ الحياة الجديدة على أسس
مستمدة من تاريخنا العريق ومن واقع حياتنا الحاضرة ، ومن أجدر من
المؤرخين والآثارين ، في عهد البناء والإنشاء بتناول ماضيها الحافل بالدرس
والتحقيق والكشف عن حقائقه وربطه بحاضرنا الذي نريد له مستقبلاً أفضل
وعالمياً أمثل .

إن الصلات الوشيقة التي تربط الشام بمصر قديمة قدم التاريخ ، ومتنوعة .
كل النوع ، وغير قاصرة على ناحية معينة من النواحي ، ولنا لنلمس آثارها
الفكرية في تبادل العلماء والفقهاء والقضاة وما إلى ذلك من قيم عليا قربت
الإقليمين وربطت بين أبنائهما بروابط متينة ظلت على الدهر تعمل عملها
في الأفتدة والقلوب فتطبعها بطابع الإخاء والحب والولاء .

وما لقائنا اليوم إلا ظاهرة من هذه الظاهرات التي كانت تجمع العاملين
في حقل الفكر منذ القديم بين رجال الإقليمين . ولأنه ليسعدنا حقاً أن يكون

هذا اللقاء بين مؤرخي البلدين في هذا الشهر المبارك . شهر شباط (فبراير)
الذي تمت فيه وحدة سورية ومصر بقيام الجمهورية العربية المتحدة .

وإذا دعت أعمال لجنتي التاريخ والآثار في القاهرة ودمشق إلى ضرورة
لقائنا الودي وتعاوننا الأخوي في حلقة الدراسات التاريخية والأثرية التي
ندشن أعمالها اليوم لتبادل الرأي في القضايا التي تهتم تاريخنا وإقليمنا
ومؤرخينا ، ولتنظيم الجهد العلمي والإفادة من الكفايات والاختصاصات ،
فما لا شك فيه أن هنالك أموراً عديدة تشغل المؤرخين العرب في كل البلاد
العربية وتستحق البحث والدرس والعناية . وما نعتقد إلا أن حلقتنا الدراسية
هذه ستمهد إلى مؤتمر عام يضم المؤرخين العرب من كل بلد عربي للبحث
في القضايا التاريخية على صعيد أوسع وأعم .

إن العالم العربي اليوم في نهضة عامة شاملة مهما اختلفت مظاهر هذه
النهضة قوة وضعفاً بين بلد وآخر : وإن من شروط كل نهضة قومية
الحرص على المقومات الأساسية في الأمة ودوام استمرارها وخلودها . وإن
من حق المؤرخين العرب أن يسهموا في هذه النهضة إسهاماً فعالاً . فلقد
آن أن نعي تاريخنا ونسجله بأيدينا وبنظرتنا العربية المستنيرة بنور العلم
الحديث وطرقه القويمة في البحث والدرس والتأليف . وإن من واجبنا أن
نعمل على كل ما يساعد السير في هذا الاتجاه . فلقد تأثر تاريخنا العربي
بمؤثرات مختلفة شوهت حقائقه وفسرته تفاسير خاطئة إن لم تكن مغرضة
.. وإن من واجب المؤرخ العربي الكشف عن حقيقتنا التاريخية الأصيلة التي ترد
الهم وتدفع الباطل والريب .

وإن لنا في حلقتنا هذه ما يشجع على تناول القضايا التاريخية والأثرية
التي تهتم تاريخ الإقليمين بصورة خاصة والتاريخ العربي والإسلامي بصورة
عامة في سبيل الوصول إلى الكشف عن كثير من الحقائق التي ما زالت مجهولة
أو غامضة عبر تاريخنا المديد .

ونعتقد أن وعى الأمة لتاريخها وعياً أكيدا يتساق خير تساق مع استمرار هذا التاريخ وتماسكه وارتباط حلقاته . ولنا وطيد الأمل في أن تأتي أعمال حركتنا التاريخية والأثرية بما يعرف المواطن العربى بحقيقة تاريخه ليعرف منها حقيقة أمته بين الأمم وليسعى جاهداً إلى اللحاق بالركب الحضارى ومسايرته بكل ما أوتى من علم وإيمان وعزم .

والله الموفق .

البحر

عظيم

التي القيت في الحلقة

الدكتور أحمد فخرى

مَنْهَجُ دُرِّ السِّنِّ نَائِجُ الشَّقِّ الْأَنْفِ الْقَدِيرِ
وَمَنْهَجُ تَارِيخِ الْجَضَارَةِ

مَنْهَجُ كَلَامِ تَارِيخِ الشَّرْقِ الْأَدْنَى الْقَدِيمِ وَمَنْهَجُ تَارِيخِ الْحَضَارَةِ

إذا تصفحنا مناهج الدراسة في الجامعات في أكثر بلاد العالم على اختلاف مشاربها نجد بين مناهج الدراسة في كليات الآداب مادتى تاريخ الحضارة وتاريخ أو حضارات بلاد الشرق الأدنى القديم لأن أولاهما ضرورة لتثقيف الطالب لأنها تهدف إلى دراسة تاريخ الإنسان بوجه عام منذ نشأته وأصول الحضارات المختلفة وتوزيع الأجناس ، وتطور المدينيات التي ظهرت في هذا العالم منذ أقدم العصور حتى قبيل العصر الحاضر وأثر بعضها على بعض . أما تاريخ الشرق الأدنى القديم فهو يعنى بدراسة ما يظهر من مدينيات هامة في بلاد الشرق الأدنى ، ومهما اختلفت تلك المناهج في التفصيل فلأنها تشمل مصر والعراق وإيران ، وحيثما أو ما ظهر في بلاد الشام من مدينيات وبخاصة في فلسطين وعلى الشاطئ اللبناني . ولا حاجة إلى القول بأن بعض الجامعات المهمة بالدراسات الشرقية تقدم بعض مناهج مفصلة لبعض الحضارات ولغاتها القديمة ، ولكنى لا أقصد إلا الجامعات التي تقدم منهج مادة تاريخ الحضارة أو مادة تاريخ الشرق الأدنى القديم ، كدراسة عامة لتثقيف طلبة كليات الآداب بصفة عامة أو طلبة أقسام التاريخ والجغرافيا والاجتماع والدراسات القديمة واللغات الشرقية بصفة خاصة .

وهناك نقطة أخرى . لقد عُنيت أيضاً الجامعات الكبرى في أوروبا وأمريكا بدراسة مدنيات الشرق الأقصى وأقصد بها ما ظهر في بلاد الهند وبلاد جنوبي شرق آسيا (سيام وبورما وكبوديا وكوريا وإندونيسيا وغيرها) واليمن واليابان ، ولكن جامعاتنا ومعاهدنا في الجمهورية العربية المتحدة لم تكن حتى الآن بهذه الدراسات ولم تتخذ أى خطوة للبدء بها ، رغم أهمية هذه المدنيات للدراسة التقدم الإنساني .

ولست في حاجة إلى التنويه بأهمية مثل هذه الدراسات فقد انتهى ذلك العصر الذي كان يستطيع فيه أى إنسان أن يدرس تاريخ أو حضارة أى شعب من الشعوب دون إلمامه ولو إلماماً عابراً بما كان يجرى في الحضارات الأخرى المعاصرة . فما من حضارة أو مدنية من المدنيات إلا وكانت على صلة بغيرها ، فأخذت وأعطت ، ولهذا يجب علينا قبل كل شيء أن نبدأ بدراسة عامة للحضارات القديمة وبعد ذلك يستطيع الطالب أن يتخصص في الحضارة التي يريد .

ويجتاز العالم في أيامنا الحالية فترة تقارب كبيرة بين الشعوب ساعدت عليها وسائل الانتقال والاتصال التي تطورت تطوراً كبيراً في السنين الأخيرة ، ولهذا أصبح من الواجبات الأساسية الملقاة على عاتقنا أن نعد أبناءنا في الجامعات لمقابلة هذا التطور الجديد في صلات الشعوب فإن معرفة تاريخ أى شعب ودراسة حضارته وديانته تساعد كثيراً على فهم هذا الشعب وتفسير لنا اتجاهاته في تفكيره ، وبالتالي تساعد على التقارب بين الشعوب والتفاهم بينها وهو ما ينشده كل محب للسلام .

المناهج الحالية في الجامعات

والآن دعنا نلقى نظرة على مناهج الدراسة بكلية الآداب في جامعاتنا الأربع وهي جامعات القاهرة والإسكندرية ودمشق وعين شمس لنعرف نصيب دراسة تاريخ الشرق القديم في كل منها وما الذي نستطيع أن نحققه من هذه المناهج .

ففي كلية الآداب بجامعة القاهرة لا يدرس تاريخ الشرق القديم إلا لمدة فصل دراسي واحد بين المواد التي تدرس لكل من قسم التاريخ وقسم الجغرافيا وقسم الوثائق والمكتبات وقسم اللغات الشرقية ، كما تدرس أيضاً هذه المادة لطلبة السنة الثانية بقسم الآثار ، أما تاريخ الحضارة فلا يدرس في آداب القاهرة إلا لطلبة السنة الأولى بقسم الآثار فقط ولمدة فصل دراسي واحد ، ومعنى ذلك أن الوقت الذي تستغرقه دراسة جميع حضارات بلاد الشرق القديم في الأقسام القليلة التي أمكنها أن تفهم أهميته لا يتجاوز عشرة أسابيع فقط في جميع سنوات الدراسة أي نحو أربعين ساعة دراسية فقط ولا داعي إلى التعقيب الكثير على ذلك بل يجب أن نكون صريحين ونعترف بأن هذه الساعات لا تكفي للدراسة حضارة واحدة من تلك الحضارات إذا أردنا أن تكون دراسة مثمرة .

ولنترك الآن جامعة القاهرة إلى جامعة عين شمس فنجد أنه يوجد في قسم اللغات الشرقية وآدابها درسان أسبوعياً لمادة حضارة الشرق القديم لفصل دراسي واحد في السنة الأولى فقط كما نجد في مناهج قسم التاريخ أنه توجد مادة معالم تاريخ الشرق القديم أربع ساعات أسبوعياً لمدة فصل دراسي واحد في السنة الأولى وفي كلية البنات يدرس تاريخ الشرق الأدنى القديم ٣ ساعات أسبوعياً في الفصل الدراسي الأول فقط ، أما في جامعة الإسكندرية فإن تاريخ الشرق الأدنى القديم يدرس في الفصل الدراسي الأول لطلبة السنة الثانية ٤ ساعات أسبوعياً ، وكذلك يدرس

في السنة الثالثة ٤ ساعات في كل من الفصلين الدراسيين ، كما يدرس
لفصل دراسي واحد في السنة الرابعة . أما في جامعة دمشق فنجد أن
مادة تاريخ الحضارة تدرس في الفصلين الدراسيين في السنة الأولى لمدة
ساعتين كما ندرس مادة الشرق القديم في السنة الثانية في الفصلين الدراسيين
٤ ساعات أسبوعياً .

من ذلك العرض السريع نرى أن دراسة تاريخ الشرق القديم تكاد تكون
مهملة في جامعتي القاهرة وعين شمس إذ أنها لا تدرس إلا لمدة فصل دراسي
واحد في السنة الأولى ، وأنه معني بها بعض الشيء في جامعتي الإسكندرية
ودمشق ولكن هاتين الجامعتين تقتصران على تدريس هذه المادة في قسم
التاريخ فقط . ومما يحزن النفس حقاً أننا هنا في بلاد الشرق العربي لا نهتم
بدراسة هذه الحضارات ويتخرج أبناؤنا من الجامعات المختلفة وهم لا يكادون
يعرفون شيئاً على الإطلاق عن أصول الحضارات التي نشأت في موطنهم
وكانت الأساس الذي قام عليه صرح التقدم الإنساني ، إذ أن خريجي جميع
الكليات العملية لا صلة لهم بتلك الدراسات ، بل وخريجو الكليات النظرية
أيضاً اللهم إلا قسماً واحداً من أقسام كليات الآداب وهو قسم التاريخ . فإذا
رجعنا إلى أبعد من ذلك وتساءلنا عن نصيب دراسة تاريخ الشرق القديم
في مرحلة الدراسة الثانوية فإننا نجد نفس الإهمال ، لأن هذه المادة لا تدرس
إلا للتلاميذ الذين اختاروا التاريخ كمادة تخصص لهم ، وعلى هؤلاء الطلبة
أن يقرءوا كتاباً معيناً في تلك المادة .

فإذا انتقلنا خطوة أخرى وتساءلنا عن الكتب التي ألقت أو ترجمت لتقابل
احتياجات الطلبة في هذه المادة فإننا لا نجد إلا العدد الضئيل غير الوافي الذي
لا يمكننا أن نصفه بأنه يكفي لسد حاجة الطالب الشرقي .

لقد أحسست كثيراً بهذا النقص منذ ثلاث سنوات وساءنى أن يتخرج طالب قسم التاريخ بجامعة القاهرة دون أن يلم إلماً كافياً - ولو إلى حد محدود - بحضارة بلاده هو قبل أى شىء آخر ، فلهذا قسمت المنهج إلى أربعة أقسام جعلت القسم الأول منه عرضاً تاريخياً لكل من حضارتى مصر والعراق والمقارنة بينهما وذكر مميزات كل منهما وأثره على الآخر ، وجعلت القسم الثانى منه عن تاريخ سورية القديم والدور الذى لعبته مدنها المختلفة فى حضارات العالم ، والقسم الثالث عن حضارات جنوبى الجزيرة العربية أى عن حضارات اليمن قبل الإسلام ، والجزء الرابع عن إيران فى أقدم عصورها حتى ظهور الأخمينيين ، لقد أردت بهذا المنهج أن أسد شيئاً من النقص لأن احتياجات الطالب العربى فى الجمهورية العربية المتحدة تحتم عليه قبل كل شىء أن يلم بالحضارات التى تتصل به اتصالاً مباشراً ولها أثر مباشر أيضاً على تراثه الثقافى والاجتماعى ، وقد اضطررت لجعله مختصراً ليتلاءم مع الوقت المحدد وهو فصل دراسى واحد .

هذه هي المصاعب التي تواجهها وهي تلخص فيما يأتي : -

١ - عدم العناية بتدريس كل من مادتي تاريخ الحضارة وتاريخ الشرق القديم مع أنهما مادتان ضروريتان لثقافة كل طالب في أى قسم من أقسام كليات الآداب ، بل وضرورية أيضاً للكثير من الكليات النظرية وبخاصة مادة تاريخ الحضارة ، ولهذا تتحتم زيادة الفصول الدراسية المقررة لها حتى يمكن إعطاء منهج فيه شئ من العمق وبعض التفاصيل الضرورية .

٢ - وضع منهج يتلاءم مع احتياجات الطالب العربى لى يلم بتاريخ وحضارة بلاده وماقدمته هذه البلاد للمدنية الإنسانية . وليس معنى ذلك أن نهمل الإلمام بالحضارات الأخرى بل يتحتم علينا الإلمام بها إلى جانب دراسة الحضارات التى ظهرت فى العالم العربى ، أى فى وادى النيل وبلاد ما بين النهرين وبلاد الشام والجزيرة العربية وشمال إفريقيا .

٣ - إذا فحصنا المادة العلمية التى تعطى فى كل من الجامعات الأربع واطلعنا على المذكرات أو المراجع نجد اختلافاً كبيراً فيما بينها ، بل إن بعض الجامعات يكتفى بتدريس حضارة واحدة فقط وإهمال الحضارات الأخرى إهمالاً تاماً على اعتبار أنها إحدى حضارات الشرق الأدنى القديم . بل وصل الأمر فى إحدى الجامعات إلى أن المادة التى أعطيت للطلبة لم تكن لها صلة بتاريخ الشرق القديم بل اقتصر على تاريخ مصر فى صدر الإسلام . لأن القائمين بالأمر لم يجدوا من يقوم بتدريس هذه المادة فطلبوا من أحد الزملاء تدريسها فأبى أن يدرس مادة غير مختص فيها فطلبوا منه تدريس ما يشاء حتى لا يبقى الطلبة بدون دروس .

فلهذا أتقدم بعرض هذه المشكلات في اجتماعنا الحاضر متقدماً
بالاقتراحات الآتية : -

١- التقدم إلى المجلس باقتراح بمطالبة جميع كليات الآداب في جامعاتنا
ومعاهدنا العالية بإدخال مادة تاريخ الحضارة في مناهجها لتدريسها مدة
فترتين دراسيتين في السنة الأولى لتثقيف الطلبة تثقيفاً عاماً وتدرّس
حضارات الشرق القديم للفترتين الدراسيتين في السنة الثانية لأقسام التاريخ
والجغرافيا والآثار والفلسفة والاجتماع واللغات الشرقية واللغة العربية ومن
يشاء من الأقسام الأخرى ، وتدرّسها أيضاً في السنة الثالثة لأقسام التاريخ
والآثار واللغات الشرقية أربع ساعات أسبوعياً .

٢ - وضع مناهج موحدة تسد حاجة الطالب العربي ، ووضع مؤلفات
باللغة العربية يشترك في تأليفها المختصون في هذه الدراسات ليستعين بها من
يشاء من الأساتذة :

•

وإني أقدم مع هذا منهجين أحدهما لمادة تاريخ الحضارة والثاني لمادة
تاريخ الشرق القديم لمناقشتها وإدخال التعديلات اللازمة عليهما - علماً
بأنه يكفي أن يكون كل كتاب منهما ٥٧٠-٦٢٠ صفحة من القطع المتوسط
يماني ذلك العدد الكافي من الخرائط والرسوم والصور الفوتوغرافية اللازمة .

منهج حضارات الشرق الأدنى القديم

١ - مقدمة عن الشرق الأدنى القديم :

حدود بلاد الشرق الأدنى - أهم مراكز حضاراته -
الطبيعة الجغرافية للمنطقة - طرق التجارة والهجرات
بين بلاده .

٢ - مصر ، منذ البداية حتى ظهور الدولة الحديثة :

نشأة الحضارة في وادي النيل - الهجرات المختلفة إلى
مصر - مصادر التاريخ المصري - حضارات عصر
ما قبل الأسرات - العصر العتيق - مختصر تاريخ الدولة
القديمة - الصلة بين مصر وجاراتها - الملك ونظام
الدولة - الدين - الأهرام والمعابد - الحياة المنزلية -
الصناعات المختلفة - الثورة الاجتماعية - عصر الفترة
الأولى - الصراع بين أهناسيا وطيبة - الدولة الوسطى -
تاريخها السياسي - الصلات التجارية والثقافية بين مصر
وغربي آسيا - الصلات التجارية والثقافية بين مصر وبلاد
كوش - عصر الفترة الثانية - الهكسوس في مصر -

٣ - بلاد الرافدين حتى سقوط أسرة حمورابي :

جغرافية بلاد الرافدين وأثرها على تاريخه - أقدم
الحضارات - عصر تل العبيد - عصر الوركاء - عصر

جمحدة نصر — السومريون — أسرات ما قبل الطوفان —
بعض المدن السومرية وأهم ما عثر عليه فيها — الأكديون —
سرجون — الجوتيون — جوديا وعصره — البابليون —
حمورابي وعصره — قانون حمورابي — الشعوب الهندو-
أوروبية — الكاسيون — الديانة — الأساطير — الآداب —
العمارة — الزقورات — الفنون .

٤ — مصر في عهد الدولة الحديثة :

أخمس مؤسس الأسرة الثامنة عشرة — تحتمس الأول.
وحروبه في الشرق والجنوب — ختشنسوت — تحتمس
الثالث في آسيا — أمنحوتب الثالث — إخناتون وعصره —
رسائل العمارنة — غربى آسيا ومدنيته — الأسرة التاسعة.
عشرة — سيتي الأول — رمسيس الثاني وحروبه — ظهور
الأسرة العشرين رمسيس الثالث وحروبه مع شعوب
البحر — نهاية الدولة الحديثة — الحياة الاجتماعية —
الفنون — معابد الدولة الحديثة — الأدب — الطب —
التحنيط — الفلك — الصناعات المختلفة .

٥ — سورية وفلسطين وغربى آسيا :

مملكة ماري — الهجرات الهندو أوروبية — الميتانيون —
الحوريون — الكاسيون — الحيثيون — عيلام أوجاريت —
الكنعانيون — الأموريون — الفينيقيون — العبرانيون —
الآراميون .

٦ - الآشوريون :

نظرة عامة في حالة بلاد الشرق القديم عند ظهور دولة
أشور - تيجلات پلسر الأول - آشور ناصر بال -
شلمنصر الثالث - تيجلات پلسر الثالث وحروبهم - سرجون
الثاني - سنحريب - أسرحدون - آشور باينبال - الجيش
والفنون الحربية في دولة آشور - العمارة - الفنون - الأدب .

•

٧ - مصر منذ نهاية الدولة الحديثة حتى ظهور الإسكندر :

أسرة الكهنة - اضمحلال نفوذ مصر في آسيا - الأسرة الثانية
والعشرون - تأسيس مملكة كوش في نبتا - بعنخي في
مصر - الصراع بين مصر وأشور - الأسرة السادسة
والعشرون - الصلات التجارية والثقافية بين مصر واليونان -
الفرس في مصر - الإسكندر الأكبر .

•

٨ - الكلدانيون والآخمينيون :

سقوط نينوى - نبوخذ نصر ومدينة بابل - ملوك
الكلدان - مدينة بابل وقصورها ومعابدها - الميديون -
ظهور الفرس واستيلاء قورش على بابل - الامبراطورية
الفارسية - الصراع بين الفرس واليونان - دارا الثالث
والإسكندر الأكبر - الديانة الفارسية - الفنون الفارسية
في أيام الآخمينيين

•

٩ - بلاد العرب قبل الإسلام :

شبه الجزيرة العربية وموقعها الجغرافي - جغرافية بلاد العرب - أقدم الصلات والهجرات العربية من شبه الجزيرة إلى البلاد المحاورة - حضارة السبئيين في اليمن - ملوك سبأ - معابد مأرب - سد مأرب - المعينيون - معابد المعينيين - الحميريون - الأحباش في اليمن - المسيحية واليهودية في بلاد اليمن - الثموديون - اللحيانيون - الأنباط - ديانات العرب قبل الإسلام - بعض نواحي الحياة الاجتماعية - الفنون

*

١٠ - فضل حضارات بلاد الشرق القديم على الحضارات الأخرى :

الشرق مهد المدنيات - تطور حياة الإنسان في أرجائه - الزراعة - الكتابة - الأبجدية - نظم الحكم - الديانات - الأدب - الطب - الكيمياء - الفلك - العلوم الرياضية - القوانين - المعادن - الصناعات المختلفة ... الخ .

منهج تاريخ الحضارة

١ - تطور الحضارة الإنسانية :

نشأة الإنسان - حياته في العصر الحجري القديم - الإنسان
في مراحل التقدم - أجناس العالم المختلفة ومناطق انتشارها.
المجتمع والفرد .

•

٢ - مصر :

أصل حضارتها - طبيعة أرضها - الهجرات المختلفة إلى
وادي النيل - مختصر تاريخ مصر على مدى العصور -
الدولة والموظفون - الحياة المنزلية - الصناعات المختلفة -
الدين والمعابد - الأدب - الفنون - فضل الحضارة
المصرية على العالم .

•

٣ - بلاد الرافدين :

بلاد الرافدين في أقدم العصور - طبيعتها الجغرافية -
السومريون - بابل - آشور - الكلدانيون - الديانات
القديمة - القانون - الأدب - الفنون - فضل حضارات
بلاد الرافدين على حضارات العالم .

•

٤ - بلاد غربي آسيا :

نظرة عامة في تاريخ المنطقة وصلتها بحضارتى مصر وبلاد
الرافدين - مملكة ماري - الشعوب الهندو أوروبية -
الميتانيون - الكاسيون - الحوريون - خيتا وحضارتها -
مدن الشاطئ السورى - رأس شمرة - بجيبل -
الفيلقيون - بلاد أمورو - الكنعانيون - العبرانيون -
الآراميون - إيران - الإمبراطورية الفارسية .

*

٥ - شبه الجزيرة العربية والهجرات السامية :

الجزيرة العربية - طبيعتها وموقعها - أقدم الهجرات
المعروفة - السبئيون - المعينيون - الحميريون - الأنباط
التموديون - اللحيانيون .

*

٦ - الحضارات الإفريقية :

طبيعة القارة الإفريقية - طرق الهجرات - شمال إفريقيا -
وادي النيل الكوشيون - إثيوبيا - حضارات شرق
إفريقيا - وسط إفريقيا - غرب إفريقيا .

*

٧ - حضارات الشرق الأقصى :

وادي السند - الصين - اليابان - جنوبى شرق آسيا .

*

٨ - حوض البحر الأبيض المتوسط :

كريت - بلاد اليونان - الشعوب الجرمانية - الرومان -
ظهور المسيحية .

•

٩ - حضارات القارة الأمريكية :

الهجرات الأولى - حضارات أمريكا الشمالية - المايا -
الازتك - الإنكا - اكتشاف الأمريكتين - استيطان
القارة الأمريكية .

•

١٠ - العصور الوسطى :

الإسلام - الدول الإسلامية - أوروبا - الكنيسة -
الحروب الصليبية - عصر النهضة الأوروبية .

•

١١ - بين أوروبا والبلاد الشرقية :

عصر الاكتشافات - البرتغاليون - الهند - الصين -
الترك والبلاد الإسلامية .

•

١٢ - القرن الثامن عشر :

الدول الأوروبية الناهضة - التجارة - الدول الاستعمارية
وأطباعها - الهند - الصين - البلاد العربية .

الدكتور عبد المنعم أبو بكر

— ٢ —

مَشْرِوعُ إِنْفِتَاحِ آثَارِ النَّوْبِيَّةِ
وَأَخْرَاجِ الْأَحْشَاءِ الَّتِي تَجْرِي فِيهَا

مَشْرُوعُ إِنْقَاذِ آثَارِ النُوبَةِ وَأَعْرَاقِهَا الَّتِي تَجْرِفُ بِهَا

يعتقد كثير من الناس أن مشروع إنقاذ آثار بلاد النوبة يقترن بالتفكير في بناء السد العالي ، ولكن الحقيقة أن هذا المشروع بدأ منذ أن فكر المصريون في إنشاء سد أسوان أي منذ عام ١٨٩٨ . وسارعت مصلحة الآثار في ذلك الحين بإرسال البعثات للتنقيب عما في باطن الأرض ولتقوية المعابد المشيدة والتي ستغمرها مياه الخزان ، واستمرت أعمال البحث والتقوية قبل التعلية الأولى للسد (١٩٠٧ - ١٩١٢) ثم التعلية الثانية (١٩٢٩ - ١٩٣٤) ، وهكذا استطاعت المصلحة من تأدية واجبها نحو إنقاذ جميع المناطق الأثرية التي غمرتها مياه سد أسوان والتي تقع تحت منسوب المياه الذي يرتفع إلى ١٢١ متر فوق سطح البحر .

وليس من شك في أن آثار بلاد النوبة ومشروع إنقاذها ما كان ليأخذ هذه الصورة من الأهمية إلا بعد التفكير في إنشاء السد العالي الذي سيجعل منسوب المياه يرتفع طوال العام إلى ما يقرب من ١٨٠ متر فوق سطح البحر ، ومعنى هذا أن المناطق الواقعة إلى الجنوب منه ستختفي إلى الأبد ، وهكذا أصبحنا نواجه مشكلة ضخمة يجب أن نبحث لها عن حل يتناولها من أساسها ويعالجها من جميع نواحيها . وسارعت مصلحة الآثار بإيفاد بعثة من

علماء الآثار المصريين إلى بلاد النوبة بدأت عملها في ديسمبر سنة ١٩٥٤ الذي يتلخص في بحث الأهداف الآتية :

- ١ - حصر جميع الأماكن الأثرية في بلاد النوبة التي ستغمرها المياه .
- ٢ - حصر الأماكن التي يجب أن تسجل آثارها تسجيلاً علمياً وهندسياً.
- ٣ - حصر الأماكن التي يجب أن تجرى فيها أعمال الحفر والتنقيب .
- ٤ - النظر في احتمال إنقاذ بعض الآثار القائمة سواء بنقلها كاملة أو بنقل أجزاء منها .
- ٥ - إعداد برنامج للعمل تحدد مدته والاعتمادات اللازمة له .

وقامت البعثة بمهمتها وقدمت تقريرها الذي نشر في يونية سنة ١٩٥٥ بلغات ثلاث هي العربية والإنجليزية والفرنسية تحت عنوان :

« تقرير عن آثار النوبة المعرضة لأن تغمرها مياه السد العالي »

•

وفي نفس الوقت أي في عام ١٩٥٥ أنشئ مركز لتسجيل الآثار بالاتفاق مع منظمة اليونسكو على أن تقوم هذه المنظمة بإمداده بالمعونة المادية والفنية ، وبدأ هذا المركز عمله فوراً في تسجيل آثار معبد أبي سمبل .

مرت الأيام تباعاً ووضع لنا تماماً أن طاقتنا الفنية والعلمية والمادية لا تساعدنا على القيام بمشروع الإنقاذ الذي يشمل نقل المعابد والمقاصير والمقابر وحمايتها ، كما يشمل أيضاً القيام بأعمال التنقيب العلمي ، ولهذا وجدت حكومة الجمهورية العربية المتحدة نفسها مضطرة إلى الالتجاء إلى منظمة دولية كمنظمة اليونسكو للحصول على هذه المساعدات العلمية والفنية والمادية ، وفي ٦ إبريل عام ١٩٥٩ أرسلت وزارة الثقافة والإرشاد القومي خطاباً إلى هذه المنظمة تطلب هذه المساعدات بحيث تشمل :-

- ١ - إيفاد بعثات علمية للتنقيب بالمناطق الأثرية .

- ٢ - تصوير بلاد النوبة بطريقة « الفوتوجرامترى » للحصول على خرائط دقيقة تحدد المناطق الأثرية غير المعروفة وإجراء التنقيبات فيها .
- ٣ - إيفاد بعثات للدراسات الجيولوجية والأتنولوجية .
- ٤ - استكمال تسجيل المعابد والمقابر والمقاصير والنقوش المنحوتة في الصخر على طول شاطئ النيل .
- ٥ - نقل المعابد المشيدة ثم إعادة تشييدها خارج المنطقة التي ستغمرها المياه ..
- ٦ - نشر بعض أجزاء من المعابد المنحوتة في الصخر وإعادة بنائها في مكان يبعد عن المنطقة التي ستغمرها المياه .
- ٧ - حماية المعابد المنحوتة في الصخر والتي يتعذر نقلها من أماكنها مثل معبدى أبى سمبل .

ووعدت الحكومة في كتابها السالف الذكر بتقديم كل التسهيلات للبعثات الأجنبية سواء في الإقامة أو بإعفاء مرتباتهم والمبالغ التي سيصرفونها على أعمال الحفر من الضرائب ، كما وعدت بأنها ستمنح هذه البعثات مالا يقل عن نصف الآثار المكتشفة لكي تحتفظ بها في متاحفها الأثرية الخاصة بها كما أبدت الحكومة استعدادها بمنح الهيئات التي ستسهم إسهاماً فعالاً في تحقيق هذا المشروع بعض الآثار الهامة التي توجد في مخازن الآثار بالإقليم الجنوبي ، وكذلك بعض معابد بلاد النوبة وهي :

- ١ - معبد الدر .
- ٢ - معبد الليسيه .
- ٣ - معبد دندور .
- ٤ - معبد دابود .
- ٥ - معبد طاقة .

استجابت منظمة اليونسكو لطلب حكومة الجمهورية العربية المتحدة وعرض مديرها الخطاب السالف الذكر على المجلس التنفيذي للمنظمة في دورته الرابعة والخمسين التي عقدت في باريس في شهر يونية عام ١٩٥٩ ، ونالت الفكرة التأييد الجماعي من مندوبى الدول الممثلة في المجلس ، وكان القرار أن يترك المجلس لمدير عام اليونسكو طريقة وضع خطة دولية لإنقاذ آثار بلاد النوبة ومعابدها ، على أن تعرض هذه الخطة على المجلس في دورته الخامسة والخمسين في شهر ديسمبر سنة ١٩٥٩ .

وهكذا انتقل مشروع إنقاذ آثار بلاد النوبة إلى المجال الدولى وأصبحت رسالته من الرسائل التي تضطلع بها دول العالم أجمع ، ولاغربة في ذلك إذ أن المحافظة على التراث البشرى القديم مهمة يجب أن يضطلع بها العالم بأجمعه ، وحضارة المصريين القدماء هي من أهم حضارات الإنسان القديم ، ولذلك يجب أن توضع رسالة إنقاذ مخلفاتها أمانة في يد العالم المتعلمين .

ونستطيع الآن ونحن في مستهل عام ١٩٦١ أن نقول إن جميع النواحي العلمية والهندسية الخاصة بإنقاذ آثار بلاد النوبة سواء منها مازال مطمورا في باطن الأرض أو المشيد والمنقور في التلال الصخرية ، نستطيع أن نقول إن كل هذه النواحي قد درست دراسة تامة في اللجنة الاستشارية الدولية التي كونتها وزارة الثقافة والإرشاد القومى بقرارها الوزارى رقم ٦٣ الصادر في فبراير سنة ١٩٦٠ وعقدت هذه اللجنة جلسيتين الأولى في ٢٣ مايو سنة ١٩٦٠ والثانية في ٨ يناير سنة ١٩٦١ ، وفيما يلي توصيات هذه اللجنة : —

أولا :

بعثة جرس ومسح للمناطق لتحديد الأماكن التي لاتزال تحوى آثارا وتحتاج إلى عملية تنقيب علمى . ولقد بدأت هذه البعثة عملها منذ أواخر ديسمبر سنة ١٩٦٠ ويشرف عليها الأستاذ والتر إمري أستاذ الدراسات المصرية بجامعة لندن ، كما قامت مصلحة الآثار بتزويد هذه البعثة بعائمة

كبيرة وجرار لتسهيل مهمتها ولضمان تحركها من الجنوب إلى الشمال
مبتدئة من ادندان إلى الشمال .

ثانياً :

بعثة لتحديد مناطق عصور ما قبل التاريخ ، إذ كان الأستاذ
مصطفى عامر قد سبق أن قدم تقريراً ضافياً في هذا الموضوع طالب فيه
بتوجيه الجهود نحو هذه الناحية التي لم يسبق لأحد أن قام بدراستها من
قبل ولذلك فقد طالب بما يأتي :

أ- القيام ببحوث دقيقة في مدرجات نهر النيل وفي الوديان الجافة ،
وكذلك أن يجري بحث منظم لرواسب العصر الحجري القديم الأعلى .

ب- القيام بالكشف عن بقايا الإنسان الأول الذي عاش في بلاد النوبة
إبان العصر الباليوليثي .

ج- القيام بالتنقيب العلمي في المناطق الأثرية التي ترجع إلى العصر
الحجري الحديث .

د- القيام بجمع ودراسة الرسوم المنقوشة فوق الصخور العالية سواء المهادية
لشاطيء النيل أو في الوديان الجانبية .

هـ - وطلبت اللجنة الاستشارية إلى الدكتور « برسو » ، أحد أعضائها
والمختص في دراسات ما قبل التاريخ ، العمل على تجهيز بعثة كاملة من
متخصصين من بلاد مختلفة على أن تقوم هذه البعثة في أقرب فرصة
بعملها ببلاد النوبة تحت إشراف مصلحة الآثار .

ثالثاً :

بعثة لتسجيل النقوش التاريخية (Epigraphy) ، ولقد رأت اللجنة أن هناك بعض الصعوبات في تكوين بعثة دولية (أى من علماء ينتسبون إلى جنسيات مختلفة) إذ أن العروض التي قدمت للقيام بهذه الناحية العلمية كانت عروضاً برغبات معلقة لم يحاول أصحابها تنفيذها ، ولذلك عاهدت إلى سكرتير اللجنة المسيو كريستوف حث أصحاب العروض على تنفيذ ما وعدوا به وتكوين بعثة على وجه السرعة لبدء تسجيل النقوش تحت إشراف مركز تسجيل الآثار .

رابعاً :

وزعت مناطق التنقيب العلمى في بلاد النوبة بين الهيئات التالية :

أ- المعهد الشرقى لجامعة شيكاغو

يقوم بالحفر في المناطق الممتدة على شاطئ النيل شرقاً وغرباً فيما بين دهيت وكلابشه ، وبدأ الحفر فعلاً منذ أواخر ديسمبر سنة ١٩٦٠ .

ب - بعثة جامعتى ييل وينسلفينيا

تقوم بالحفر في المنطقة الواقعة غرب النيل فيما بين نوشكه وأرمه ، وستبدأ عملها في أوائل فبراير سنة ١٩٦١ .

ج- المعهد الفرنسى للآثار الشرقية

يقوم بالحفر في منطقة وادى السبوع على أن تشمل تنقيباته المناطق غربى وشرقى النيل ، وقد بدأ التنقيب في عام ١٩٦٠ ولا زال العمل جارياً وستبدأ البعثة عملها في هذا الموسم في أواخر يناير سنة ١٩٦١ .

ج - بعثة الاتحاد السوفيتى

تقوم بالحفر فى المنطقة الواقعة بين الدكة ووادى العلاقى ، ولم تبدأ عملها بعد .

هـ - بعثة جامعة ميلانو

تقوم بالحفر فى منطقى سباجوره وأخمندى .

و - جمعية الآثار بلندن

تقوم بالتنقيب فى منطقة قصر ابريم سواء القلعة أو الجبانة ، وستبدأ عملها فى منتصف شهر فبراير سنة ١٩٦١ .

ز - المعهد الألمانى للدراسات الشرقية بالقاهرة

قام بالتنقيب منذ عام ١٩٥٩ فى منطقة عمدا ولا زالت أعماله قائمة هناك ، وينوى الحفر فى جبانة جبل عدا فى المستقبل القريب .

ح - جامعة القاهرة (قسم الآثار المصرية)

قامت البعثة بالحفر فى عام ١٩٦٠ فى جبانة منطقة عنبيه وتقوم حالياً (منذ ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٦٠) بتكملة أعمالها فى المنطقة .

ط - جامعة الإسكندرية (قسم التاريخ والآثار)

قامت البعثة بالحفر فى عام ١٩٥٩ فى قلعة جبل عدا وتنوى الاستمرار فى العمل للمرة الثانية فى يناير سنة ١٩٦١ .

ى - البعثة النمساوية

سوف تقوم بالحفر فى عام ١٩٦٢ فى منطقة السبالة .

ك - البعثة الهولندية

سوف تقوم بالحفر فى عام ١٩٦٢ فى المنطقة بين كورسكو وقصر ابريم .

ل - بعثة معهد تورينو

سوف تقوم بالحفر في عام ١٩٦٢ في منطقة توماس .

م - البعثة الأسبانية

سوف تقوم بالحفر في عام ١٩٦٢ في منطقة الشيخ داود .

وتعتقد اللجنة أن أعمال الجس سوف تسفر عن اكتشاف بعض المناطق الجديدة التي يمكن وضعها تحت تصرف بعض البعثات الأخرى التي تطلب المشاركة في أعمال الحفر

خامساً :

أما فيما يتعلق بأعمال التسجيل فليس من شك في أن مركز التسجيل يؤدي مهمته العلمية فيها على أحسن وجه ، ولقد تم تسجيل كثير من المعابد وأهمها معبدى أبي سمبل ، ومعبد كلايشه ، ودابود ، وطافا ، وقرطاسى ، ويسير العمل الآن لإتمام تسجيل نقوش ومناظر معبد عمدا . إلا أنه نظراً لورود عروض مختلفة من عدة دول منها فرنسا لتسجيل معبد وادى السبع ، وأمريكا لتسجيل معبد بيت الوالى ، وروسيا لتسجيل معبد الدكة ، هذا غير بعض العروض الأخرى من بلجيكا والمكسيك وألمانيا الاتحادية وسويسرا ، ومن أجل ذلك أوصت اللجنة بالموافقة على العرضين الذين تقدمت بهما كل من فرنسا وأمريكا وقد بدأت عمليات التسجيل فعلا ، كما أوصت بقبول العروض الأخرى على أن يقوم مركز تسجيل الآثار بتنسيق الأعمال فيما بينها ، وهذا مع التمسك بأن تتبع أعمال تسجيل المعابد نفس النظام المتبع في مركز تسجيل الآثار .

سادساً :

وإذا كان مشروع إنقاذ آثار بلاد النوبة يشتمل على معضلات شتى ، فليس من شك في أن معابد هذه المنطقة وطريقة نقلها تأتي في مقدمة هذه المعضلات ، وذلك لأن هناك سبعة عشر معبداً ومقصورة ، معظمها منقورة في الصخر الرملي الذي يتميز بصلابته من ناحية وسهولة تفتت حبيباته من ناحية أخرى . ولقد عني اليونسكو ببحث هذه المعضلة وأرسل أكثر من خبير ليقدّم نصائحه إلى الحكومة المصرية في هذا الشأن .

وفيما يلي صورة لأهم النتائج التي أسفرت عنها البحوث المختلفة التي أجريت في هذا الموضوع : -

١ - معبدا « أبو سمبل »

يعتبر بحق رجال الآثار والفنون هذين المعبدين درة معابد النوبة ، بل إن معبد « أبي سمبل » الكبير يعتبر من بين المعابد الفريدة في نوعها ، فلم يسبق للإنسان في العصور القديمة أن نقر في باطن الصخر معبداً ضخماً في مثل ضخامة هذا المعبد مع مراعاة التناسق التام والانسجام الكامل بين عناصر الأثر والبيئة المحيطة به ، ومن أجل ذلك أصبح من الواجب محاولة الإبقاء على هذين المعبدين في مكانهما مع المحافظة عليهما .

وهناك مشروعان لدى منظمة اليونسكو يهدف كل منهما إلى المحافظة على المعبد مع الإبقاء على البيئة الجغرافية التي تلعب دوراً رئيسياً في روعتهما وجمالهما .

المشروع الأول تقدم به « أندريه كوين » على أساس إنشاء ستار منيع حول المعبد في الأماكن التي تربطه بالصخر الطبيعي المحيط به على أن يتكون هذا الستار من حقن الصخور بمادة تمنع تسرب المياه الخارجية إلى داخل المعبد ثم تشييد سد عال إلى الشرق من المعبد وترتفع أمامها إلى أعلى من مستوى مياه السد العالي على أن يشيد هذا السد من خرسانة وطين .

«ويكون على هيئة نصف دائرة . وتقام محطات قوية لمضخات ترفع مياه الرشح التي لا بد وأن تتسرب إلى داخل المعبد مع إنشاء السد من الخرسانة وإقامة ستار من مواد عازلة . وهذا المشروع سوف يتكلف حوالى ٣٥ مليون جنيه مع اعتماد يزيد على ١٠٠ الف جنيه سنوياً لتشغيل محطات المضخات وترميم السد . ومع سهولة تنفيذ هذا المشروع فهناك خطر داهم يهدد باستمرار هذين المعبدين يتلخص فى أنهما سوف يكونان فى منخفض تحيط به المياه من كل جانب مما يجعل نسبة الرطوبة عالية على مدار السنة وخاصة فى شهور الصيف . مما يؤثر على النقوش الملونة والمناظر الجميلة ، هذا غير خطر آخر وهو أنه إذا حدث وأن تعطلت المضخات لفترة أسبوعين فإن مياه المرشح سوف تملأ المعبدين ، ولا يمكن إعادة تصريفها إلا فى مدة تزيد على أربعة أشهر .

أما المشروع الآخر فقد قدمه « بيرجازولا » ويتلخص فى القيام بنقل قمة الجبل التي تعلو المعبدين ، ثم فصل كل منهما عن التل الصخرى ووضع كل فى صندوق هائل من الخرسانة المسلحة ، ثم محاولة رفعهما إلى أعلى بالاستعانة بروافع ميكانيكية من نوع معين تشبه تلك التي تستعمل فى رفع السيارات ، على أن يكون تشغيلها بواسطة دفع هيدروليكي مع استغلال الدراسات الإلكترونية الحديثة لضمان تحرك الروافع الكثيرة دفعة واحدة على أن يكون تحركها إلى أعلى بمقدار ضئيل لا يزيد على المليمترين فى كل دفعة وإذا ما ارتفع المعبد إلى قمة التل الصخرى أى إلى المستوى الذى يعلو ١٨٠ متر فوق سطح البحر فيمكن بعدئذ أن يتحرك المعبد ليستقر فوق سطح التل ، ويعاد تشكيل المنطقة المحيطة به بحيث تبدو مطابقة فى مظهرها ماهى عليه الآن .

وهذا المشروع وإن كان يبدو خيالياً ، إذ أن المعبد الكبير يزن مايقرب من ٢٥٠,٠٠٠ طن ، هذا غير زنة الصندوق الهائل من الخرسانة المسلحة الذى سوف يوضع فيه المعبد والذى سوف يصل فى وزنه إلى ٥٠,٠٠٠ طن ،

فإن البحوث العلمية التي قام بها عدد من الخبراء العالميين أثبتت أن في الاستطاعة تنفيذه اعتماداً على الأمثلة الكثيرة التي طبقت في مشروعات مماثلة ، وإن اختلفت من حيث زنة المبنى ، فإن أكبر مبنى نقل بهذه الطريقة لا يزيد في وزنه على ٣٠,٠٠٠ طن .

وهذا المشروع قدرت تكاليفه بمبلغ ٢٥ مليون جنيه ، مع عدم الحاجة إلى اعتمادات أخرى سواء للصيانة أو لمخطات نضح المياه .

ب - معابد فيلا :

وفيلا كما نعلم جميعاً هي إحدى الجزر الصغيرة في مجرى النيل وتقع على مسافة أربعة كيلومترات إلى الجنوب من سد أسوان ، وتحتوي معابد مختلفة أهمها وأكبرها معبد الإلهة إيزيس الذي يعتبر تحفة فنية كما تعتبر نقوشه ورسومه ذخيرة لا تنضب بالنسبة إلى الدراسات الدينية واللغوية للعصر البطلمي والروماني ، ونظراً لأن هذه الجزيرة بمعابدها سوف لا تتأثر بمياه السد العالي إلا أن هناك خطورة كبيرة سوف تهدد آثارها ، وذلك لأن منسوب المياه في المنطقة الواقعة بين سد أسوان والسد العالي سوف تتذبذب يومياً بين ١٠٧ و ١١٠ متر ، ولما كانت الجزيرة على مستوى ١٠٤ متر ، فسينتج عن ذلك أن المياه تنخفض وترتفع يومياً بمقدار يتراوح بين ٣ و ٦ أمتار ، وهذا التغير وحده في منسوب المياه سوف يصيب أبنية المعابد بأكبر الأضرار .

واقف استقر الرأي على الأخذ بالمشروع الذي وضعه المهندس عثمان رستم ، والذي درسته بعثة من خبراء هولنديين وأقرت صلاحيته للتنفيذ ، ويتلخص هذا المشروع في إقامة سدود تربط بين هذه الجزيرة وجزيرتين

متجاورتين بحيث تصبح آثارها بمنأى عن مياه سد أسوان ، وترجع إلى سابق عهدها بحيث يمكن زيارتها طوال أيام السنة .

•

أما فيما يتعلق بالمعابد الأخرى فقد قامت مصلحة الآثار بفك أحجار ثلاثة منها وهي معابد : «طافا» ، و«دابود» ، و«قرطاسي» ، وستقوم في القريب العاجل بفك أحجار معبد «عمدا» ، وهي جميعا من المعابد المشيدة ، كما تقدمت ألمانيا الاتحادية باستعدادها لفك أحجار معبد «كلايش» وهو من أضخم وأجمل معابد النوبة ، ثم تقدمت أخيراً روسيا باقتراح يهدف هو الآخر إلى استعدادها للقيام بفك أحجار «معبد الدكة» .

إلا أن المشكلة المعقدة هي التي تقابلنا بالنسبة إلى المعابد المنقورة في الصخر أمثال معبد «بيت الوالى» ومعبد «جرف حسين» ، و«وادي السبوع» ، و«الليسيه» ، و«الدر» ، و«هياكل ابريم» ، و«مقبرة ، نبنوت» ، بعنييه ، ومعبد «أبو عوده» ، ومعبد «جبل الشمس» .

واقدم تقدم المسيو بيرجازولا بمشروع يهدف إلى نشر الأجزاء المهمة من هذه المعابد ، وإعادة بنائها في مكان آخر ، وسوف يقوم في القريب العاجل بتجربة من هذا النوع في مقبرة «نبنوت» المنقورة في الصخر والتي انتشرت النقوش والمناظر المنحوتة فوق سطوح جدرانها ، ويتوقف على نجاح هذه التجربة المصير الذى ينتظر جميع المعابد المنقورة في الصخر .

•

هذه هي نبذة مختصرة عن الأعمال العلمية التى تجري حالياً أو ستجرى في المستقبل القريب في بلاد النوبة المصرية ، وهى أعمال تهدف إلى إنقاذ جزء من تراثنا القومى بل ومن تراث يخص البشرية أجمعها ، وننظر إلى

العالم المتمدين نرقب مدى ما سوف يقدمه من معاونة جديدة لإنقاذ هذا التراث ، ونرجو أن يحاول هذا العالم الذى نعيش فيه أن ينسى ولو لفترة قصيرة أحقادهم ويبرهن على أن الثقافة والحضارة التى يتمتع بها الإنسان الحديث هى فى الواقع ليست إلا الثمار التى يجنيها من شجرة الحضارة العريقة التى زرعها المصرى القديم منذ آلاف السنين .

وفقنا الله لما فيه الخير للجميع .

الدكتور إبراهيم نصحي

— ٣ —

الألقاب الفخرية في مصر في عهد البطليمي

الألقاب الفخرية في عصر عهد البطلمية

يبدو أن الألقاب الفخرية من مستلزمات النظام الملكي في الغرب وفي الشرق قديماً وحديثاً سواء بسواء ، فقد كان الفراعنة يمنحون الشخصيات البارزة في مصر القديمة عدداً من الألقاب الفخرية يعيننا هنا منها بوجه خاص لقبان وهما « قريب الملك » (نسوت - رخ Nsut - rekh) و « الصديق الأوحد » (سمر - وع Smer - wa') . ويقال إنه قبل إنشاء معبد هليوبوليس تشاور سنوسرت الأول مع « أصدقائه » (١) .

وكان لقب « قريب الملك » (Syngenes) يستخدم أيضاً في البلاط الفارسي ، ويبدو أنه كان مقصوراً أول الأمر على أسمى أفراد الأرستقراطية الذين كانوا ينتمون إلى « الأسر السبع » المشهورة (٢) . ويحدثنا ديودوروس (٣) بأن جيش دارا الثالث في موقعة جاو جمبلا (٣٣١ ق . م) كان يضم قوة بها ألف فارس من « أقرباء الملك » . وإذا صح ذلك فإن معناه أن لقب « قريب الملك » أصبح يمنح كذلك لأبرز الفرسان . ويبين أيضاً مما يرويه كزنفون (٤) أن لقب « النظراء » (homotimoi) ترجمة إغريقية للقب فارسي كانت تحمله فئة ممتازة من المشاة كاملي العدة .

وفي الدول الإغريقية ، سواء في العصر الكلاسيكي أم « الهيلينستي » ، كان كثيراً ما يوصف المقربون إلى الملك أو الطاغية بأنهم « أصدقاؤه » ،

(1) Moret, Roy. Phar., p. 181.

(2) Atkinson, Aegyptus, 32, 1952, pp. 212-3.

(3) Diod., XVII, 59.

(4) Xen., Cyrop. II, 1, 3, ; VII, 5, 7.

إذ يحدثنا أرسطو^(١) بأنه بعد سقوط أسرة پايسیستراتوس سمح الأثينيون. أول الأمر «لأصدقاء الطغاة» بالبقاء في المدينة ثم عادوا فنقوهم في العام الرابع. ويروي ديودوروس^(٢) أنه عندما ثار أهل سيراكوسة في ٤٠٣/٤٠٤ ق. م. على ديونيسيوس اجتمع «بأصدقاؤه» للتشاور معهم. وفي مقدونيا، نعرف أنه على الأقل منذ عهد أرخلاوس (٤١٣-٣٩٩ ق. م.) كان بعض النبلاء يختارون لصحبة الملك ويُدعون «رفاق الملك» (hetairoi basileos). ويروي ديودوروس^(٣) أنه في عام ٣٣٦ ق. م. في أثناء الاحتفال بزواج كليوبتره ابنة فيليب الثاني تقدمه «أصدقاؤه» في دخول المسرح، وأنه قبل أن يغزو الإسكندر بلاد الفرس عقد مجلساً من كبار ضباطه وأبرز «أصدقاؤه»^(٤). ومما يستحق الذكر أن أريانوس يطلق وصفى «رفاق» (Hetairoi) و«أصدقاء» (Philoï) على الأشخاص أنفسهم في الفقرة نفسها^(٥). ومع أن پوليبوس يقول بالنص إن أجاثوكليس كان «صديق» بطلميوس الرابع^(٦) فإن أثيناوس عند حديثه عن أجاثوكليس يذكر أن پوليبوس يصف ذلك الرجل بأنه كان «رفيق» الملك^(٧). وإذا كان يبين مما أوردناه أن أصفياء الملك كانوا يوصفون تارة بأنهم رفاق الملك وتارة بأنهم أصدقاؤه فإن هذا لا يستتبع حتماً أن الوصفين كانا مترادفين. ويرى كورتنبوتل (Kortenbeutel) بحق أنه على حين أن كلمة «رفاق» كانت دون شك الوصف القديم فإنه من المحتمل أنه منذ عهد «خلفاء» الإسكندر أصبحت كلمة «أصدقاء» تستعمل بدلا منها في وصف أصفياء الملك^(٨). وهذا التطور يبدو لنا طبيعياً بل محتوماً،

-
- (1) Arist., Rep. Athen., 22, 4.
(2) Diod., XIV, 8, 4-6.
(3) Diod. XVI, 9, 4.
(4) Diod., XVII, 31, 6.
(5) Arr. I, 26, 4.
(6) Polyb. XIV, 11.
(7) Athen., VI, 59.
(8) Real-Encycl., XX, 1941, Col. 96, s.v. Philos.

وذلك لأنه لما كان ملوك مقدونيا يختارون كبار مساعديهم وأقرانهم من أفراد الأرستقراطية القديمة في البلاد ، الذين كان كل منهم يعتبر نفسه جديراً بالعرش ، فإنه كان من الطبيعي والمستنسب وصف هؤلاء الأشخاص « بالرفاق » (hetairoi) بسبب ما تنطوي عليه هذه الكلمة من تصوير الحقيقة الواقعة ، حقيقة أن الملك كان صاحب المكان الأول بين فئة متساوية من الأقران (primus inter pares). لكن عندما أسس خلفاء الإسكندر ممالكهم في بلاد أجنبية حيث لم يوجد من الأرستقراطية المقدونية التقليدية إلا قلة كانت أقل من أن تؤلف طبقة أرستقراطية ، واضطر « الخلفاء » إلى تكوين الطبقات الأرستقراطية مما توافر لديهم من العناصر المقدونية والأغريقية كان الفارق شاسعاً في المكانة والأصل بين « الخلفاء » وأتباعهم . وقد ترتب على ذلك بطبيعة الحال أن الملك لم يعد يعتبر نفسه صاحب المكان الأول بين فئة متساوية من الأقران ، ومن ثم كان من العسير عليه أن يرفع هذه الطبقة إلى مصافه . ويبدو لنا أنه وسط هذه الظروف استبدل بكلمة « الرفاق » كلمة « الأصدقاء » عند وصف أصفياء الملك .

ويروى أريانوس أنه في عام ٣٢٤ ق.م عبر كالينس (Callines) ، للإسكندر عما يشكو منه المقدونيون بقوله : « هذا يا مولاي ما يضيق به المقدونيون . وهو أنكم جعلتم من الفرس « أقاربكم » (Syngeneis) ، فهم يدعون الآن « أقارب الإسكندر » ويسمح لهم بتقبيلكم في حين أنه لم يتمتع مقدوني بهذا الامتياز . وعند سماع ذلك رد الإسكندر قائلاً : « إنني أعتبركم جميعاً أقاربى . ومنذ الآن سأدعوكم على هذا النحو » . وما أن فرغ من حديثه حتى اقترب منه كالينس وقبله وحذا حذوه كل من أراد (١) .

وهكذا يتضح لنا أن الإسكندر خلع لقب « الأقرباء » أولاً على الفرس . وفيما بعد على المقدونيين من رفاقه لكنه قصر لقب « الحرس الخاص »

(1) App. VII, 11, 6-7.

(Somatophylax) على كبار رفاقه المقلونين . ويمكننا أن نستخلص مما أسلفناه أنه بعد القضاء على الإمبراطورية الفارسية كان يوجد في البلاط المقدوني ثلاثة ألقاب وهي : الأقرباء (syngeneis) ورجال الحرس الخاص (Somatophylakes) والرفاق (hetairoi) .

وكما تشاور الإسكندر مع أصدقائه قبل قيامه بالجملة ضد الفرس ، تشاور أنتيپا تروس وكراتروس مع أصدقائهما حول مايتخذ من إجراء ضد پرديكاس ، وكذلك تشاور پرديكاس مع أصدقائه قبل غزو مصر^(١) ، وكذلك فعل بوليبرخون في ٣١٩ ق.م قبل الاشتباك مع خصومه الذين تحالفوا عليه^(٢) . وهكذا يبدو أنه سواء في عهد الإسكندر أم في عهد « الخلاء » كان الرفاق أو الأصدقاء مستشاري الملك .

ويرى برادفورد ولز أن « أصدقاء » الملك كانوا يؤلفون مجلسه الاستشاري بقى السلم وهيئة أركان حربه في الحرب ، وأنه فيما بعد أصبح هذا الاصطلاح لقبا فخريا^(٣) . ويرى كورتنبويتل أنه في الممالك الهيلينية حدث بالتدريج تغيير جوهري . ففي البداية كان « الأصدقاء » يقومون بدور المستشارين ، لكن منذ عهد بطلميوس الخامس كان إضافة « من الأصدقاء » (ton philon) إلى اسم شخص لا تعني إلا لقباً^(٤) . وبعد أن تدلل كاثلين أنكينسون على أن الأصدقاء الأول (protoi philoi) لأنطيوخوس الثالث كانوا مستشاريه تمضي فتقول « إن كثيرا من المشكلات تحل نفسها بنفسها فوراً إذا قبلنا الاحتمال بأن الأقرباء ونظراء الأقرباء كانوا يمثلون مرتبة واحدة أو عدة مراتب فيما يحتمل . أما « كبار رجال الحرس الخاص » (archisomatophylakes) وأترابهم فإنهم يمثلون مناصب في البلاط ، وإن « الأصدقاء » بطبقاتهم الثلاثة (وهي تقصد « الأصدقاء » و « نظراء

(1) Diod., XVIII, 25,6.

(2) Diod. XVIII, 65, 1.

(3) Welles, O.B., Royal Corresp, 1934, New Haven, p. 44, No. 6.

(4) Kortendontel, loc. cit.

الأصدقاء الأول « و « والأصدقاء الأول » كانوا مستشارين اختارهم الملك شخصيا من كل طبقات المجتمع وفق نزوته أو عدم خبرته ^(١). إن مجمل رأى هؤلاء الباحثين أنه كان يطلق على فئة من الناس « أصدقاء الملك » وأن هذه الفئة كانت أول الأمر محدودة العدد وكان الملك يستشيرها في المشكلات التي تواجهه فكانت عبارة « صديق الملك » تحمل عندئذ معنى مستشار الملك ، لكن فيما بعد اتسعت دائرة الأصدقاء وفقدت العبارة معنى الاستشارة .

ونحن نسلم بأنه في الدول الهيلنستية كان أصدقاء الملك أول الأمر مستشاريه ، مثل ما كانت الحال في عهد الإسكندر والحلفاء ، ولكننا نرى أنه لما كانت كلمة صديق غير مرادفة لكلمة مستشار فإن خلع صفة « صديق » على فئة معينة من الناس حتى وإن كانت تشغل مناصب معينة للاستشارة ، وهو ما لم تكن عليه الحال هنا ، يدل على أن هذه الصفة لم تكن إلا لقبا فخريا . ونرى أيضاً أنه إذا كان هذا اللقب يتم في الأصل عن الاستشارة ، فإنه على مر الأيام واتساع دائرة الأشخاص الذين يحماونه لم يكن يتم عن ذلك على الإطلاق . وهذا ينقلنا إلى المشكلة الحقيقية ، وموئداها هل البطالة الأوائل أم الأواخر هم الذين أنشئوا الألقاب الفخرية في دولتهم .

في ضوء التفسير الذي قدمناه ليس في رأى ولز مايتعارض مع القول بأن البطالة الأوائل هم الذين أنشئوا الألقاب الفخرية ، وهو الرأى الذى تؤيده أتكسون . ويرى كورتنبويتل أن الأدلة التي لدينا من بداية عصر البطالة قليلة ومع ذلك يصعب أن نتصور أنه لم تحط بالملك فئة من الأصدقاء ^(٢). وفي رأى بوشيه لكلك أنه إذا كان يضعف الرأى القائل بأن الألقاب أنشئت في عهد البطالة الأوائل افتقاره إلى ما يؤيده من الأدلة المستمدة من النقوش والأوراق البردية ، فإنه يضعف الرأى المناهض القائل بأن بطلميوس الخامس هو الذى

(1) Aegyptus, 82, 1982, p. 211.

(2) Kortensbeutel, loc. cit.

أنشأ هذه الألقاب اعتراضات أجل شأنًا، إذ لم يكن في وسع ملك صبي مثل بطلميوس الخامس بعد ما عاناه من وصاية منكودة ومن ذل الحماية الرومانية أن يصفى على مجموعة من الألقاب بتبذير دفعة واحدة مجدداً كأن هو نفسه يفتقر إليه، ويمكن التساؤل ألم يكن لسلفيه العظميين بطلميوس الثاني والثالث أصدقاء أى مستشارون كانوا يعتبرون الألفة مع الملك شرفاً (١)؟ ومن ناحية أخرى نجد أن جماعة من أبرز الباحثين لا يزالون يتمسكون بوجهة النظر التي أبدوها ماهافي (Mahaffy) وشتراك (Strack) منذ حوالي نصف قرن، وفحواها أنه نظراً لقلة الأدلة عن الألقاب الفخرية في عهد البطلمة الأربعة الأوائل يجب أن يعزى إنشاؤها إلى بطلميوس الخامس.

وقبل أن ننصر رأياً على آخر يجمل بنا أن نستعرض أولاً الأدلة التي لدينا من الشطر الأول من عصر البطلمة. يحدثنا بلورتاخ بأن بطلميوس الأول كان يزور «أصدقاءه» ويتمتع بضيافتهم (٢). ويدعو ديودوروس القائلين كيلس (٣) (Killes) ونيكانور (٤) (Nicanor) «صديقي» بطلميوس الأول. ويصف استرابون المعماري سوستراتوس من كنيديوس بأنه «صديق الملكين» (٥) أى صديق بطلميوس الأول والثاني. ويذكر الشارح القديم لأشعار كاليماخوس، أن مرتزقة الغال الذين ثاروا وأخضعهم بطلميوس الثاني فيلادلفوس كان قد أرسلهم إليه شخص يدعى انتيجونوس كان «صديق فيلادلفوس» (Antigonos tis philos tou Philadelphou) (٦). وفي نقش من ساموس من عهد بطلميوس الثاني وصف بلويس بن اسكندر بأنه «صديق

(١) Bouché-Leclercq, Hist. des Lagides, III, P. 109.

(٢) Plut., Apopth.

(٣) Diod. XIX, 93, 1-2 ; Plut., Demetr., 6 ; R. — E. suppl. 4, 1924, Coll. 902-3 ; Peremans, Prosop. Ptol. II, No. 2104.

(٤) Diod. XVIII, 48, 2 ; R. — E., 17, 1936, Col. 289, No. 6 ; Peremans, P.P. II, No. 2109.

(٥) Strabo. XVII, 1, 6, 791.

(٦) Callim., In Del., 171.

الملك»^(١). وفي نقش من ميليتوس (ملطية) من عام ٢٦٢ - ٢٦١ ق. م. يقول بطلميوس الثاني للملطين إنه علم بعواطفهم الطيبة من ابنه وكاليكراتس و «الأصدقاء الآخرين» (hoi alloi philoi)^(٢). ونعرف من إحدى^(٣) برديات زينون التي ترجع إلى عام ٢٥٧ ق. م. أن زويلوس قبل أن يطلب إلى أهولونيوس وزير مالية مالية بطلميوس الثاني السماح له ببناء سيرايوم في مدينة لم يرد ذكرها في البردية اتصل «بأصدقاء» الملك. وإذا صح أن النقش^(٤) الذي ذكر فيه ليونيداس بن فيلوتاس يرجع إلى عام ٢٥٥ ق. م.^(٥) فإنه يمدنا بمثل طريف لأب وابنه كانا في جداد «الأصدقاء الأول» في عهد بطلميوس الثاني. ويقول المؤرخ اليهودي يوسف إنه في المراسلات التي تبودلت بين بطلميوس الثاني والغازار كبير كهنة أورشليم وصف الملك مبعوثيه بأنهم «أجل الأصدقاء» (timiotatoi ton philon) ووصف أحدهم، وكان يدعى أندرياس، بأنه «كبير رجال الحرس الخاص» (archisomatophylax)^(٦).

ويصف هيرنيموس شخصاً يدعى أنطيوخوس عينه بطلميوس الثالث حاكماً على كيليكيا بأنه «صديق» الملك^(٧). وفي أربع برديات من عهد بطلميوس الثالث، الأولى^(٨) من عام ٢٣٠ - ٢٢٩ والثانية^(٩) من عام ٢٢٧ - ٢٢٦ والثالثة^(١٠) والرابعة^(١١) من عام ٢٢٥ وصف خريسيبوس وزير المالية بأنه «كبير رجال الحرس الخاص». وإغداق هذا اللقب على

-
- (1) S.E.G., I, 384.
(2) Welles, Roy. Corr., 14, 9.
(3) P.O. — Z. I, No. 59084.
(4) S.B. 6665.
(5) Cf. Breccia, B.S.A.A., 19, 1928, p. 123, No. 1.
(6) Joseph., Antiq. Jud., XII, 2, 4-5.
(7) Hieronym., In Dan., XI, 7.
(8) P. Petr. III, 53 (1), 11. 3-4.
(9) P.O.Z. 10250.
(10) F. Grenf. II, 14 b, 1. 2.
(11) P. Petr. III, 53 (m) 11. 2-3.

خريسيپوس "Chrysippus" قد حدا بثيلكن إلى التسليم باحتمال وجود سلسلة الألقاب الفخرية في بلاط البطالة قبل عصر بطليموس الخامس الذى يجوز أنه لم يفعل أكثر من التوسع في منح الألقاب لرجال الحكومة بوجه عام (١).

ونحن نرى ألا مفر من التسليم بأن أدلة القرن الثالث ق . م . طفيفة إذا ما قورنت بأدلة القرنين الثانى والأول ، وفضلاً عن ذلك فإنها لا تمدنا بسلسلة الألقاب كاملة على نحو ما نجده في القرنين الأخيرين . ومع ذلك فإن تلك الأدلة على ندرتها ترينا أن لقبين على الأقل — إن لم يكن ثلاثة — كانا يستعملان قبل عصر بطليموس الخامس . وإذا سلمنا جدلاً بأن الكتاب القدماء لم يستخدموا كلمة « صديق » باعتبارها اصطلاحاً ينم عن لقب فخرى ، وبأن النقش الذى ذكر فيه ليونيداس بن فيلوتاس لا يرجع إلى منتصف القرن الثالث ق . م . فكيف يمكن تفسير هذا الاصطلاح في النقشين الآخرين اللذين يسلم بأنهما من عهد بطليموس الثانى ؟ لا جدال في أنه لا يمكننا التغاضى عن الدليل الذى نستمد من هذين النقشين بينما نقبل الدليل المستمد من النقوش المتأخرة . وبالإضافة إلى ذلك كيف نفسر لقب خريسيپوس ؟ يجب أن نذكر أولاً أن اصطلاح « كبير رجال الحرس الخاص » كان يعنى أول الأمر وظيفة فعلية في الحرس الملكى لكنه غدا بعد ذلك لقباً فخرياً يمنح لمختلف أنواع الموظفين الذين لم يؤلفوا يوماً جزءاً من ذلك الحرس . والواقع أنه من العسير أن نقرر في كل حالة يرد فيها هذا الاصطلاح إذا كان المقصود لقباً أم وظيفة فعلية، لكن من المرجح أن إضافة عبارة « من كبار رجال الحرس الخاص » إلى اسم شخص تدل على لقب فخرى . ونلقى الصعوبة نفسها مع اصطلاح آخر وهو اصطلاح « رجال الحرس الخاص » الذى يعنى أحياناً منصباً وأحياناً لقباً فخرياً (٢) . وإذا كان خريسيپوس لم ينم

(1) Wilcken, Grundzüge, p. 7

(2) Peremans, P.P. II, p. XIII.

يوماً إلى الحرس الملكي فلا شك في أنه يكون لدينا في هذه الحالة دليل على لقب فخري آخر من القرن الثالث ق . م . وإذا كان خريسيبوس قد شغل فعلاً منصباً في الحرس الملكي واستمر يحمل اللقب الذي يتم عن ذلك بعد أن أصبح وزيراً للمالية فإننا نرى أن هذا يدل على شيئين : وأحدهما أن استمراره في حمل لقب « كبير رجال الحرس الخاص » بعد ترك الحرس الملكي وتولى منصب آخر يشير إلى مرحلة انتقال نحو إطلاق هذا اللقب على أشخاص لم يشغلوا منصباً في الحرس الملكي على الإطلاق . والآخر أنه لا يمكن اعتبار وصف خريسيبوس بأنه « كبير رجال الحرس الخاص » بعد ما أصبح وزيراً للمالية إلا أنه لقب فخري . وجملة القول أنه يبين لنا أننا نجد هنا في الحالين دليلاً على وجود لقب فخري آخر من القرن الثالث ق . م .

إن الحجج بوشيه لكلارك من الوزن ما لا يمكن إغفاله ، وكما قال كورتنبويتل لا يمكن أن نتصور أن البطالة الأوائل عاشوا وحيدين لا تحيط بهم نخبة من الأصفياء ولا سيما أنه كان للإسكندر وكل الخلفاء مثل هؤلاء الأصدقاء .. ولكن كيف يمكن تفسير ندرة الأدلة المستمدة من النقوش والوثائق البردية عن الألقاب الفخرية في عهد البطالة الأوائل ؟ هناك حقيقة مسلم بها وهي أن النقوش والوثائق البردية الإغريقية التي ترجع إلى النصف القرن الأول من حكم البطالة ، وهي الفترة التي يحتمل أن تكون الألقاب قد أنشئت فيها ، قليلة حتى أننا نفتقر افتقاراً شديداً إلى أدلة من هذه الفترة عن سائر النظم البطلمية ، ومن ثم لا نعجب إن كانت الأدلة التي لدينا من هذه الفترة عن الألقاب الفخرية قليلة . أما قلة الأدلة عن الألقاب طوال القرن الثالث قبل الميلاد فإنها يمكن أن تعزى إلى أحد أمرين أو كليهما معاً ، أحدهما الصدفة والآخر الاحتمال بأنه في عهد البطالة الأوائل كان منح الألقاب محدوداً مثل ما كانت الحال في عهد الإسكندر الأكبر عندما قصر لقب « رجال الحرس الخاص » على سبعة فقط إلى أن أدمج بيوكستاس في عداد تلك الفئة الممتازة فأصبح عددها ثمانية . وفضلاً عن ذلك فإن النقوش والبرديات لم تكن

تقوأنم ولا نشرات رسمية صادرة من القصر الملكي أو الدوائر الحكومية . ومن ثم كان يتعين دائماً قرن الأسماء الواردة فيها بألقاب أصحابها الفخرية . ولما كنا نعرف عن يقين أنه حتى بعد عهد بطلميوس الخامس كثيراً ما أغفلت النقوش والبرديات ذكر ألقاب أشخاص حدثتنا نقوش وبرديات أخرى أقدم منها عهداً بأنهم كانوا يحملون ألقاباً فخرية ، فلا عجب أن كان إغفال ذكر الألقاب أكثر وأعم في برديات ونقوش الفترة التي يرجح أن تكون الألقاب أنشئت فيها واقتصدت في منحها اقتصاداً شديداً ، وتبعاً لذلك كان عامة الناس قليلي الألفة بها .

ويمكن أن نتساءل : إذا صح أن بطلميوس الخامس هو الذي أنشأ فعلاً الألقاب الفخرية في مصر البطلمية فكيف تأتى أن الكتاب القدماء أغفلوا الإشارة إلى هذا الحدث الجديد ؟ وكيف يمكن أن نقبل الرأي القائل بأن بطلميوس الخامس أنشأ الألقاب الفخرية تقليداً للبلاط السليوكى مع أنه لا يوجد دليل على وجود كل هذه الألقاب في ذلك البلاط على نحو ما لاحظ ديتنبرجر (Dittenbreger) (١) .

إزاء كل الاعتبارات التي أوردناها نرى أن إنشاء الألقاب الرئيسية على الأقل يجب أن يعزى إلى البطالة الأوائل الذين يبدو أنهم كانوا شديدي الاقتصاد في منحها لكن على مر الزمن زيد عدد الألقاب واتسعت دائرة الأشخاص الذين كانت تغدق عليهم . وعندما أنشأ بطلميوس الأول أو على الأكثر بطلميوس الثانى الأرستقراطية الجديدة لاشك في أنها كانت تتألف من مستشاريه وكبار ساعديه الذين كان يدعوهم أصدقاءه ، وكذلك من «حرسه الخاص» . ولكى يرفع الملك بقايا الأرستقراطية المقدونية القديمة فوق مصاف الأرستقراطية المصطنعة الجديدة لا يبعد أن يكون قد أضفى على أفرادها لقب « أقارب الملك » (Syngeneis) لأنهم كانوا إلى حد أقاربه بالقياس إلى الآخرين .

(1) O.G.I.S., I, p. 182.

وكما تصور قلة الأدلة من القرن الثالث ، فيما يحتمل ، اقتصاد البطالة الأولى في منح الألقاب ، فإنه يحتمل أيضاً أن وفرة الأدلة من القرنين الثاني والأول تصور سخاء البطالة الأواخر في هذا الصدد . وقد لانعدو الحقيقة إذا عزونا بداية هذا الاتجاه نحو السخاء في منح الألقاب الفخرية إلى عصر بطلميوس الرابع ، فإن هذا الملك عندما اشتعل لهيب الثورات المصرية اضطر إلى محاولة كسب ود المصريين بإغداقه على الديانة المصرية ورسم نفسه فرعوناً وحمل الألقاب الفرعونية التقليدية والنص عليها لا في الوثائق المصرية فحسب بل في الوثائق الإغريقية أيضاً . ولما لم يكن في وسع بطلميوس الرابع إغفال الإغريق الذين كانوا سنده وعضده ولا سيما بعد قيام الثورات المصرية ولم يرضهم بطبيعة الحال ما أظهره الملك من عطف نحو المصريين ، فإنه من الجائز أن يكون هذا الملك قد عمل على استرضاء الإغريق ودعم سيطرته عليهم بالتوسع في إغداق الألقاب الفخرية عليهم وبالاهتمام بعبادة ديونيسوس اهتماماً شديداً وتحويل الديانة الرسمية العامة إلى ديانة أسرية وجعل عبادة بطلميوس الأول في مدينة بطوليميس عبادة رسمية عامة في مدينة طيبة لبطلميوس الأول والملك الحاكم .

ولإزاء تفاقم المتاعب التي واجهت خلفاء بطلميوس الرابع كان طبيعياً أن يزداد سخاء البطالة الأواخر في منح الألقاب الفخرية . ويبدو محتملاً أن هذا الاتجاه كان مزدوجاً بحيث تضمن زيادة في عدد المنتفعين وكذلك في عدد مراتب الألقاب من أجل الاحتفاظ ، على حد رأى هن (Henne) ، بقدر من التفرقة بين حملة الألقاب⁽¹⁾ . وعندما تلقى سلسلة الألقاب البطلمية الفخرية كاملة نجد أنها أصبحت تمنح لمختلف أنواع الموظفين ، عسكريين ومدنيين في الإدارة المركزية والإدارة المحلية ، في الإسكندرية وفي الريف ، في مصر وفي ولاياتها .

(1) Henne, Rev. Et. An., XLII, 1940, p. 180.

ويبدو أنه لا يوجد أى اعتراض جدى على رأى «هن» القائل بأنه عندما استكملت سلسلة الألقاب الفخرية البطلمية كانت تتألف من المراتب التالية بهذا الترتيب التصاعدي : «الحلفاء» و «رجال الحرس الخاص» و «الأصدقاء» و «كبار رجال الحرس الخاص» و «نظراء الأصدقاء الأول» (histimoi tois protois philois) و «الأصدقاء الأول» و «نظراء الأقارب» (homotimoi tois Syngenesei) و «الأقارب»^(١) . ولا يوجد فى رأينا مبرر للافتراض بوجود طبقة وسط بين طبقى «الأصدقاء» و «كبار رجال الحرس الخاص» .

والمراتب التى تدرج فيها بويثوس (Boethos) ابيستراتيجوس (حاكم عام) منطقة طيبة الذى تقطع الوثائق بأنه حمل الألقاب التالية واحداً بعد آخر : «كبير رجال الحرس الخاص» و «صديق أول» و «قريب» — إن تدرجه فى هذه المراتب يفند رأى اتكينسون القائل بأن حصول موظف على لقب «قريب» لا يعنى حتماً انتماؤه إلى أعلى درجة فى سلم الترقى يودى إليها دون أى تغيير من مرتبة الحلفاء عبر الدرجات الأخرى^(٢) ، اللهم إلا إذا كانت تقصد بذلك احتمال تخطى بعض الدرجات الوسط مثل درجة «نظراء الأصدقاء الأول» أو درجة «نظراء الأقارب» ، أو عدم ضرورة البداية من أسفل الدرج . لكن إذا جاز ذلك فى بعض الحالات فلا بد من أنه كان استثناء من القاعده تبرره ظروف خاصة .

وهذا يودى إلى التساؤل : أكانت هناك قواعد لمنح الألقاب ؟ وهل تمتعت مديرية ارسينوى (القيوم) — باعتبارها مديرية ينزل فيها عدد من الإغريق يفوق من كانوا فى أى مديرية أخرى — هل تمتعت بميزة خاصة لم تتمتع بها المديريات الأخرى ؟ وهل امتاز العسكريون على المدنيين فى مسألة الألقاب ؟ وهل حدث تدهور فى قيمة الألقاب أم ارتفاع من قدر المناصب أم الأمران

(1) Henne, op. cit., p. 178.

(2) Aegyptus, op. cit., 214.

معا؟ وهل التطور الذى حدث فى ألقاب حكام المديریات قد حدث كذلك فى ألقاب غيرهم من الموظفين مدنيين كانوا أم عسكريين؟ وهل كانت الألقاب وراثية؟ لقد أثار سكيت (Skeat) وهن (Henne) وبنجتسون (Bengtson) وغيرهم من الباحثين سؤالا أو آخر من هذه الأسئلة الطريفة التى نرى أنه من أجل الإجابة عنها يجب استعراض الأدلة التى لدينا .

تحدثنا النقوش والوثائق البردية بأن خريسرموس (Chrysermos) ابن اسكندر ، الاكسجيتس وكبير الأطباء^(١) فى عهد بطلميوس الخامس أو على الأرجح بطلميوس السادس ، وأبولونيوس ، كبير المشرفين على الطعام (archedeatros)^(٢) فى عهد بطلميوس السادس أو التاسع ، وأنطيوخوس الأرخبدياتروس^(٣) فى عهد بطلميوس إسكندر الأول ، والهپيومناتوجرافوى (hypomnematographoi) = سكرتيرى الملك لشتون الأوامر والتوقيعات على الشكاوى المرفوعة للملك) امفيكلس^(٤) (١٢٣ ق.م.) وبطلميوس^(٥) (٩٤/٩٥) وثيريس^(٦) (Theris) (٦٨/٦٩) واريستوكراتس^(٧) (التاريخ غير معروف) وكذلك الايستولوجرافوى (epistolographoi = سكرتيرى الملك لشتون المراسلات) نومنيوس^(٨) (١٣٩/١٤٣) وستولوس ابن ثيون^(٩) (٨٠/١١٦) وفيلوكراتس^(١٠) (٩٩) كانوا جميعاً يحملون لقب «قريب الملك» ، مما يدل على أن كبار رجال الحاشية الملكية سواء

-
- (1) OGIS. 104,2.
(2) OGIS, 109,4.
(3) OGIS, 181,8.
(4) Archiv, I, 1901, pp. 61-2, l. 1 (= P. Cairo 10371) ; P. Tebt. 61 'b, l. 263 ; Peremans, P.P.I., No. 6.
(5) S.B.G. VIII, 466, ll. 36-8 (= S.B. 7259) ; OGIS, 740 ; Pr.Pt. I. No. 11.
(6) S.B. 6155, ll. 24-5 ; Pr.Pt. I, No. 9.
(7) OGIS, 168, ll. 2-4 ; Pr.Pt. I, No 7.
(8) OGIS, 239, ll. 14-15 ; Pr. Pt. I, No. 2.
(9) Roussel — Launey, Inscr. Delos, 1533 ll. 1-4 ; 1594, ll. 1-6 ; Pr. Pt. I, No. 8.
(10) UPZ 106, ll. 16-7 ; 107, ll. 19-20 ; 108, ll. 15, 24, 25 ; Pr. Pt. I. No. 4.

حوالى منتصف القرن الثانى أم فى أواخره وخاصة فى القرن الأول كانوا يحملون
أرفع الألقاب الفخرية .

وقد مر بنا أنه منذ ٢٣٠ - ٢٢٩ ق . م على الأقل كان الديويكيتس
(dioiketes = وزير المالية) خريسيدوس يحمل لقب « كبير الحرس الخاص »^(١)
لكن حوالى نهاية القرن الثالث وبداية القرن الثانى كان وزير المالية اپولونيوس
من فئة « الأصدقاء »^(٢) فقط شأنه شأن الوزيرين ديونييسيوس^(٣) (حوالى
منتصف القرن الثانى) وديوسكوريدس^(٤) (١٥٧) غير أن الأخير لم يلبث
أن غدا من « كبار رجال الحرس الخاص »^(٥) مثل ما كان قبله الوزير
اسكليپادس^(٦) (١٦٣) . وكان اثنان من وزراء مالية الربع الثالث من القرن
الثانى يحملان لقبين مختلفين ، فقد كان سارابيون^(٧) (حوالى ١٥٠ ق.م .)
يحمل لقب « قريب الملك » وأپولونيوس^(٨) (حوالى ١٣١ ق.م .) يحمل
لقب « صديق أول » . لكن كل وزراء المالية الذين نعرفهم من الربع الأخير فى
القرن الثانى [ابرنايوس^(٩) (١١٤ - ١١٢) وبطلميوس^(١٠) (١٠٨)]
وكذلك من القرن الأول [هفايستيون^(١١) (٦٨/٦٩ - ٦٠/٦١) واثنينايوس^(١٢)
(٦٣/٦٤) وپروتارخوس^(١٣) (٥١/٥٠) وليكاريون^(١٤) (أواخر عصر
البطالة)] كانوا يحملون لقب « قريب الملك » شأنهم شأن اثنين من

-
- (1) P. Petr. III, 53 (1) ll. 3-4 ; Pr. Pt. I, No. 52.
(2) S.B. 2637, II, 3-4 ; OGIS, 100 II. 1-2 ; Pr. Pt. I, No. 17.
(3) P. Tebt. 79, l. 50 ; Pr. Pt. I, No. 24.
(4) UPZ, 14, ll. 99, 123 ; Pr. Pt. I, No. 27.
(5) I. Berl. Zilliacus 1, l. 22 ; Pr. Pt. I, No. 27.
(6) UPZ 25, ll. 4-5 ; 26, ll. 3-4 ; Pr. Pt. I, No. 21.
(7) P. Tebt. 743, ll. 5-6 ; Pr. Pt. I, No. 40.
(8) Revillout Melanges, p. 323, l. 1 ; p. 326, l. 5 ; Pr. Pt. I, No. 18.
(9) P. Tebt. 72, ll. 241-3 ; Pr. Pt. I, No. 20.
(10) P. Grenf. II, 23, ll. 9-10 ; Pr. Pt. I, No. 43.
(11) BGU, VIII, 1772, ll. 18-19, 80 ; Pr. Pt. I, No. 81.
(12) BGU, VIII, 1774, l. 8 ; 2747, l. 8 ; 1748, l. 7 ; 1749, l. 4 (= S.B. 7408 ; 7410 ; 7411 ; 7412) ; Pr. Pt. I, No. 15.
(13) BGU, VIII, 1760, ll. 2-3 ; Pr. Pt. I, No. 89.
(14) S.B. 2100, ll. 1-7 ; Pr. Pt. I, No. 87.

مرءوسهم [كاستور^(١) (٥٧ أو ٨٩) ونومنيوس^(٢) (حوالي ٥٦/٥٧)]
كانا مشرفين على حساب الملك الخاص (idiologoi) .

وقد كان سارايبون^(٣) وهرموناكس^(٤) مساعدين لوزير المالية ،
(hypodioiketai) ، الأول في عام ١٦٣ ق . م . والثاني في عام ١٠٨ ق . م .
لكن بينما كان الأول ينتمي إلى فئة « الخلفاء » كان الثاني في عداد « نظراء
الأقارب » . أما خايرمون^(٥) وهرمياس^(٦) اللذان كان من كبار موظفي
الإدارة المالية المحلية (epimeletai) فإنهما كانا ينتميان إلى فئة « الخلفاء »
برغم أن الأول كان يتولى منصبه في ١٥٤-١٥٢ ق . م . والثاني في أواخر
القرن الثاني ، على حين أن موظفا أقل شأنًا من هذين الموظفين مثل بانتاليون^(٧)
الذي كان مراقب جمع الضرائب النوعية (oikonomos sitikou) في قسم
هيراكلايدس بمديرية الفيوم في عام ٩٦/٩٧ ق . م . كان ينتمي إلى فئة « نظراء
الأقارب » شأنه شأن هرموناكس مساعد وزير المالية في منطقة طيبة في عام
١٠٨ كما مر بنا .

ويستوقف النظر كذلك أنه حوالي نهاية القرن الثالث وبداية القرن الثاني
عندما كان أبولونيوس بن ثيون يشغل وظيفة وزير المالية ، أى عند ما كان أخطر
موظف في الدولة بعد الملك مباشرة ، ويحمل لقب « صديق » كان كبير القضاة
(archidikastes) ديونيسيوس بن تيموناكس من فئة « الأصدقاء الأول »^(٨) .
وقبل تناول موظفي الإدارة في الأقاليم أحب أن أقرر أولاً أنني آخذ
بالنتائج التي تمخضت عنها بحوث فان ت داك^(٩) (Van t' Dack) وتتلخص

-
- (1) OGIS, 188, ll. 1-5 ; 189, ll. 1-4 ; Pr. Pt. I, No. 35.
(2) BGU, VIII, 1782, ll. 3-4, Pr. Pt. I, No. 38.
(3) UPZ, 17, l. 1 ; 20, l. 36 ; 25, ll. 7-8 ; 26, ll. 5-6 ; 41, l. Pr. Pt. No 914.
(4) P. Grenf. II, 28, ll. 1-2 ; Pr. Pt. I, No. 908.
(5) P. Tebt. 848, ll. 1-2 ; 61 (b), ll. 70-1 ; 72, l. 48 ; Pr. Pt. I, No. 958.
(6) P. Ryl. 67, l. 2 ; Pr. Pt. I, 940.
(7) OGIS, 177, ll. 5-9 ; Pr. Pt. I, No. 940.
(8) OGIS, 186, ll. 2-4.
(9) Aegyptus, 29, 1949, pp. 14-33.

في أنه عندما أقيم حاكم عام على منطقة طيبة ، منذ عهد بطلميوس الخامس ، أصبح يوجد في تلك المنطقة ثلاثة أنواع من الحكام الرئيسيين وهم : (١) الحاكم العام ، وكان يسيطر على المنطقة بأسرها (٢) القواد الذين كان كل منهم يشرف على عدد من المديریات (٣) الحكام الذين كان كل منهم يحكم مديرية واحدة بصفتهم نواب حكام الفئة الثانية ، ويدعون قوادا (Strategoï) في بعض الأحيان وإيستاتاي (epistatai) في أكثر الأحيان .

إن هيبالوس ، الذي يرجح أنه كان حاكما عاما لكل الريف المصري على الأقل من أبريل ١٨٥ حتى ديسمبر ١٦٩ ق.م (١) كان يحمل لقب «كبير رجال الحرس الخاص» (٢) في عام ١٧٧/١٧٨ ولقب «صديق أول» (٣) على الأقل منذ عام ١٧٥ . ويلاحظ أن كل من نعرفهم من حكام الطبقة الأولى في منطقة طيبة في النصف الأول من القرن الثاني [نومنس (٤) (١٧١ / ١٦٩) وهيرونيemos (٥) (١٦٩ / ١٦٣) وبويثوس (٦) (١٤٥/١٦٣)] كانوا من فئة «كبار رجال الحرس الخاص» شأنهم شأن أكثر حكام المديریات خارج منطقة طيبة مثل بطلميوس (٧) (حوالي ١٧٥/١٧٠) وسارابيون (٨) ومنكراتس (٩) (حوالي ١٥٠) [مديرية ارسينوى] وسوتيون (١٠) (١٤٥/١٦٣) [مديرية بوبسطة] وأريوس (١١) (١٤٥/١٦٣) [مديرية فاربايثوس]

-
- (1) UPZ, 110 ll. 164-5 ; Skeat, The Epistrategos Hippalos, Archiv, XII, 1937, pp. 40 ff.
 - (2) P. Tebt. 778 ; P. Lond. 610.
 - (3) P. Tebt. 895, l. 1.
 - (4) Slut Archive B.M. e.g. 10591 recto II, ll. 3-4, III, l. 21 ; verso III, ll. 3-4 ; P. Grenf. I, 88, ll. 1-2 ; Lond. 610 ; Pr. Pt. I, No. 196.
 - (5) S.B. 1486, ll. 8-9 ; Pr. Pt. No. 192.
 - (6) OGIS, 111, ll. 7-11 ; P. Lond. 610 ; Pr. Pt. I, No. 188.
 - (7) P. Tebt. 895, l. 5 ; 779, l. 1 ; 780, l. 1 ; B.G.U. III, 1012, ll. 18-9 ; Pr. Pt. I, No. 312.
 - (8) P. Tebt. 743, II. 2-3 ; Pr. Pt. I, No. 327.
 - (9) P. Tebt. 771, II. 22-3 ; Pr. Pt. I. No. 282.
 - (10) R.M.G., 27, 1914, p. 475 ; Pr. Pt. I. No. 385.
 - (11) S.B. I, 1164, ll. 5-7 ; Pr. Pt. I, No. 227.

وبطليموس^(١) (١٥٥/١٥٦) [مديرية هيراكليو پوليس] وكافيسودوروس^(٢)
 (١٤٦/١٦٥) [مديرية كزويس] لكن كومانوس^(٣) (١٨٧ في مديرية ارسينوى)
 وكراتروس^(٤) (١٧٥/١٧٦ في مديرية منف) وديونييسيوس^(٥) (١٦٥ في
 مديرية هليو پوليس) كانوا في عداد «الأصدقاء الأول» : وما يجدر بالملاحظة
 أولا أن اثنين من خلفاء كراتروس «الصديق الأول» وهما ديونييسيوس^(٦)
 (١٦٣ - ١٦١/١٦٠) وپوسايدونيوس^(٧) (١٥٨) كانا ينتميان إلى فئة
 «الأصدقاء» فقط وان كان الأخير أصبح في عام ١٥٧ من فئة «كبار
 رجال الحرس الخاص» . وثانيا أن حكام مديرية منف لم ينفردوا بهذه
 الظاهرة، فقد عرفنا أن كومانوس حاكم مديرية ارسينوى في عام ١٨٧
 كان من فئة «الأصدقاء الأول» في حين أن ثلاثة على الأقل من خلفائه
 (بطليموس وسارابيون ومنكراتس الذين مر بنا ذكرهم) كانوا ينتمون إلى
 طبقة «كبار رجال الحرس الخاص»

وقد كان ثلاثة من حكام منطقة طيبة من الطبقتين الثانية والثالثة في
 النصف الأول من القرن الثاني [دائماخوس^(٨) (١٦٦/١٦٧) وليكيسكوس^(٩)
 (١٦٥) وبطليموس^(١٠) (١٦٢)] ينتمون إلى فئة «الخلفاء» مثل كودباس^(١١)
 حاكم مديرية هيراكليو پوليس (١٦٧ / ١٦٠) ، في حين أن اينياس^(١٢)

-
- (1) P. Berl. Zil. 1, ll. 57-8, 65, 81 ; 2, ll. 19-20.
 (2) S.B. III 6664, ll. 6-9 ; Pr. Pt. I, No. 269.
 (3) P. Col. inv. 481 ; Pr. Pt. I, No. 270.
 (4) UPZ. 124, ll. 1-2 ; Pr. Pt. I, No. 272.
 (5) S.B. I, 8941, ll. 1-8 ; Cf. Pr. Pt. I, No. 243.
 (6) UPZ. 7, ll. 1-2 ; 2, I. 1 ; 19, I. 31 ; 20, ll. 40-7 ; 42, ll. 41-2 ; 8,
 1, 1 ; 41, II, 91-20 ; 11, II, 18-19 ; Pr. Pt. I, No. 244.
 (7) UPZ. 12, ll. 1-2 ; 13, ll. 1-4.
 (8) P. Par., p. 415 ; Pr. Pt. I, No. 238.
 (9) P. Lond. 610 ; Pr. Pt. I, No. 275.
 (10) BGU. III, 992, col. I ll. 10-11 ; S.B. I, 4512, ll. 10-11 ; Pr. Pt.
 I, No. 314.
 (11) P. Hamb. 91, I. 1 ; UPZ. 9, I. 12 ; S.B. III, 6261 ; UPZ. 10, II.
 27-8 ; 11, I. 19 ; Pr. Pt. I, No. 274.
 (12) PSI. VII, 815, ll. 1-2 ; Pr. Pt. I, No. 875.

(١٥٤/١٦٣) ابيستاتس مديرية افروديتوپوليس كان من فئة « رجال الحرس الخاص » .

ويتضح مما أسلفناه أن حكام المديرية المختلفة في النصف الأول من القرن الثاني كانوا يحملون ألقاباً فخريّة متباينة تشمل كل المراتب ماعدا مرتبتي « أقارب الملك »^(١) و « نظراء الأقارب » .

وبين عام ١٤٣ وعام ١٢٤/١٢٥ ق . م . عند ما كان أربعة من حكام مديرية ارسينوى [بطامميوس^(٢) (١٤٣) و (بط) - وليدس^(٣) (١٤٣/١٤١) . وفانياس^(٤) (١٣٦/١٣٧) وفيلينوس^(٥) (١٢٤/١٢٥)] وواحد من حكام منطقة طيبة [پاوس^(٦) (١٣٦/١٣٧)] في زمرة « الأصدقاء الأول » كان ابولودوروس^(٧) (١٤٢/١٤٣) حاكم هرموپوليس ينتمي إلى « نظراء الأصدقاء الأول » ، و هرويدس^(٨) (١٤٢/١٤٤) وسانتوبيثوس^(٩) (١٣٨/١٣٧) من حكام الدرجة الثانية في منطقة طيبة ينتميان إلى « كبار رجال الحرس الخاص » . وعند ما كان فيلينوس (١٢٤/١٢٥) حاكم مديرية ارسينوى ينتمي إلى « الأصدقاء الأول » كان هرمياس^(١٠) أحد حكام طيبة من الدرجة الثانية ينتمي في العام نفسه إلى فئة أعلى من ذلك وهي فئة « نظراء أقارب الملك » . لكن من ناحية أخرى نلاحظ أن كل الذين نعرف أنهم كانوا حكام مديرية ارسينوى منذ شغل پارثينوس^(١١) هذا المنصب في عام

-
- (1) Henne, op. cit., p. 177.
(2) P. Tebt. 786, l. 54 ; Pr. Pt. I, No. 316.
(3) P. Tebt. 790, ll. 16-7 ; Pr. Pt. I, No. 32.
(4) P. Tebt. 787, l. 1 ; Pr. Pt. I, No. 340.
(5) P. Tebt. 700, ll. 18-9, 97 ; Pr. Pt. I, No. 341.
(6) P. Ryl. 66 intr. ; Pr. Pt. I, No. 302.
(7) P. Ryl. 253 recto II, ll. 1-2 ; Pr. Pt. I, No. 215.
(8) S.B. V, 8394, ll. 3-4, 18 ; Pr. Pt. II, No. 2059.
(9) BGU, VI, 1247, l. 1 ; Pr. Pt. I, No. 326.
(10) UPZ, 160, l. 30 ; 161, ll. 20-1 ; Pr. Pt. I, No. 253.
(11) P. Tebt. 101, ll. 2-3 ; Pr. Pt. I, No. 299.

١٢٠ ق . م . [لوسانياس^(١) (حوالى ١١٩) وأبولونيوس^(٢) (١١٨) وإيريناوس^(٣) (حوالى ١١٦) وبطلميوس^(٤) (١١٤) وانتايوس^(٥) (أواخر القرن الثانى) ولوسانياس^(٦) (٩٥) وإبولونيوس^(٧) (٦٩/٧٠) وثيريس^(٨) (قبل ٦٨/٦٩)] كانوا يحملون لقب «قريب الملك» . غير أن حمل هذا اللقب لم يكن ميزة انفرد بهاحكام مديرية ارسينوى ، إذ أنه قبل أن يحمله پارثنيوس وخلفاؤه كان أربعة على الأقل من حكام الدرجة الأولى فى منطقة طيبة [بويثوس^(٩) (١٣٦/١٣٥) وپاوس^(١٠) (١٣٠) وپولمارخوس^(١١) (حوالى ١٢٧) ولونخوس^(١٢) (١٢٦/١٢٧)] قد حملوا هذا اللقب . ويبدو أنه منذ بلغ بويثوس هذه المرتبة أصبحت القاعدة أن ينتمى إليها كل حكام الدرجة الأولى فى منطقة طيبة إذ أنه إلى جانب الأمثلة الأربعة التى ذكرناها نعرف ثلاثة أمثلة أخرى من خلفائهم فى هذا المنصب [ديمتريوس^(١٣) (١١٧) وهرموكراتس^(١٤) (١١٥) وفوموس^(١٥) (حوالى ١١٥)] وكانوا أيضاً فى مرتبة «أقرباء الملك» ، بل كان فى المرتبة نفسها أيضاً أحد حكام الدرجة الثانية فى منطقة طيبة (هرمياس^(١٦) (١١٧) [وأحد حكام الدرجة الثالثة فى تلك المنطقة [اپودوروس^(١٧) (١٠٩/١١٠)]

- (1) P. Tebt. 41, ll. 11-2, 35-6 ; Pr. Pt. I, No. 270.
- (2) P. Tebt. 48, ll. 83-4 ; Pr. Pt. I, No. 228.
- (3) P. Tebt. 791, ll. 1-3 ; Pr. Pt. I, No. 250.
- (4) P. Tebt. 15, l. 15 ; Pr. Pt. I, No. 318.
- (5) P. Tebt. 184 ; Pr. Pt. I, No. 213.
- (6) OGIS. 179, ll. 3-6 (= Milne 9245) ; Pr. Pt. I, No. 277.
- (7) S.B. III, 6236, ll. 34-5 ; 6154, ll. 20-1 ; Pr. Pt. I, No. 224.
- (8) PSI. VIII, 949, l. 1 ; Pr. Pt. I, No. 202.
- (9) S.B. I, 4038 ; Pr. Pt. I, No. 188.
- (10) OGIS. 132, ll. 6-7 ; Pr. Pt. I, No. 197.
- (11) OGIS. 133, ll. 1-4 ; Pr. Pt. I, No. 199.
- (12) UPZ. 187, ll. 6-7 ; Pr. Pt. I, No. 195.
- (13) UPZ. 162, I, l. 17 ; Pr. Pt. I, No. 189.
- (14) OGIS. 168 ; Pr. Pt. I, No. 191.
- (15) O. Tait (Flinders Petrie) 49, ll. 6-7 ; Pr. Pt. I, No. 202.
- (16) UPZ. 162, I, ll. 12-4 ; Pr. Pt. I, No. 253.
- (17) S.B. V, 8086 ; Pr. Pt. I, No. 216.

وكذلك ثلاثة حكام في مديريات مختلفة خارج تلك المنطقة [دوريون^(١)] في منف (حوالي ١١٢) واسكليبيادس^(٢) في هرموبوليس (١٣٨) وهراكلانيتوس^(٣) لكن أونيو^(٤) أحد حكام الدرجة الثالثة في منطقة طيبة كان لا يزال في عام ١١٨ بين «الأصدقاء الأول» . أما في القرن الأول ق . م . فإن كل حكام منطقة طيبة على اختلاف درجاتهم وكذلك كل حكام المديريات المختلفة^(٥) كانوا يحملون لقب «قريب الملك» باستثناء أحد^(٦) حكام الدرجة الثالثة في منطقة طيبة (٨٠ / ٥٧ ق . م .) فقد كان لا يزال في عداد «نظراء الأقارب» .

*

ولا ريب في أن منصب وزير المالية كان أكثر أهمية من منصب الحاكم العام في منطقة طيبة أو منصب حاكم أى مديرية ، ولعلنا لا نعدو الحقيقة إذا تصورنا أن منصب الحاكم العام في منطقة طيبة ، التى كانت تضم عدداً كبيراً من المديريات ، كان كذلك أكثر أهمية من منصب حاكم أى مديرية خارج تلك المنطقة . ومع ذلك فإن وزراء المالية الذين أتانا نبؤهم من النصف الأول في القرن الثانى كانوا يحملون لقب «صديق» وهو اللقب نفسه الذى كان يحمله عندئذ اثنان من حكام مديرية منف وأدنى من لقب «كبير رجال الحرس الخاص» الذى كان يحمله في هذا الوقت كبار حكام منطقة طيبة وكذلك غالبية حكام المديريات خارج تلك المنطقة ، وبطبيعة الحال أدنى كثيراً من لقب «صديق أول» الذى كان يحمله ثلاثة حكام في ثلاث مديريات مختلفة . ويستوقف النظر أنه في المديرية ذاتها، في أرسينوى

(1) OGIS, 787, 11. 5-6 (= Milne 88027) ; Pr. Pt. I, No. 248.

(2) P. Rein. 18, 1. 1 ; Pr. Pt. I, No. 235.

(3) P. Fouad 16, 1. 1 ; Pr. Pt. I, No. 259.

(4) PSI, 168-170 ; Pr. Pt. I, No. 210.

(5) Cf. Pr. Pt. I, pp. 23 ff.

(6) Archiv. 2, 1903, pp. 567-8, No. 39, 11. 3-9 (= Milne 9246) ; Pr. Pt. I, No. 287.

وكذلك في منف ، لم يحمل الحكام المتتابعون اللقب نفسه ، ففي مديرية أرسينوى كان ثلاثة من خلفاء كوماتوس « الصديق الأول » يحملون لقباً أدنى منه وهو لقب « كبير رجال الحرس الخاص » ، وفي منف كان اثنان من خلفاء كراتروس « الصديق الأول » يحملون لقباً أدنى كثيراً من لقبه وهو لقب « صديق » فقط .

وفي الربع الثالث من القرن الثاني حين كان لقب وزير المالية سارابيون « قريب الملك » ولقب الوزير اپولونيوس « صديق أول » كان لقب أربعة من حكام مديرية أرسينوى وواحد من حكام منطقة طيبة « صديق أول » على حين أن أربعة على الأقل من حكام الدرجة الأولى في هذه المنطقة كانوا يحملون لقب « قريب الملك » ، بل إنه في عام ١٢٤/١٢٥ عندما كان فيليينوس حاكم مديرية أرسينوى من « الأصدقاء الأول » كان هرمياس أحد حكام طيبة من الدرجة الثانية من « نظراء الأقارب » . وفي الربع الأخير من القرن الثالث كان كل وزراء المسالية وحكام مديرية أرسينوى يحملون لقب « قريب الملك » الذي سبقهم إليه حكام الدرجة الأولى في منطقة طيبة والذي كان يحمله عندئذ أيضاً أحد حكام الدرجة الثانية وأحد حكام الدرجة الثالثة في تلك المنطقة وثلاثة حكام في مديريات مختلفة خارج تلك المنطقة . ويجب أن يؤخذ بعين الاعتبار أن المعلومات التي لدينا عن مديرية أرسينوى أوفى منها عن أى مديرية أخرى ، ومرد ذلك إلى أن تلك المديرية مصدر أكثر ما لدينا من الوثائق .

وفي ضوء ما عرضناه لايسعنا إلا الخروج بالنتيجتين التاليتين : وإحدهما أنه لم تكن هناك صلة أكيدة بين المناصب وألقاب شاغليها بمعنى أن شغل منصب بعينه لم يستتبع حتماً أن يحمل شاغله لقباً بعينه حتى أواخر القرن الثاني ، فيما يبدو . والنتيجة الأخرى أن مديرية أرسينوى لم تتمتع بأية ميزة خاصة تكسب حاكمها مكانة أسمى من مكانة حكام المديريات الأخرى .

ولما كان في كل بلاط ملكي قواعد ثابتة لمنح الألقاب الفخرية فإننا نعتقد أن بلاط البطالمة لم يشذ عن غيره في هذه الناحية ، ولا سيما أنه يؤيد ذلك وجود سلسلة من الألقاب البطلمية وارتقاء حاملها من مرتبة إلى أخرى . ومع ذلك ينبغي ألا يغيب عن بالنا أن وجود قواعد لمنح الألقاب لا يستتبع حتماً عدم الخروج على هذه القواعد في بعض الأحيان . ولذلك يجب ألا تثار شكوكنا في وجود هذه القواعد إذا طالعنا الوثائق على أمثلة لعدم احترامها .

وقد كان طبيعياً أن يؤدي إلى ازدياد أهميةحكام المديرية باطراد اضطراب أحوال البلاد نتيجة للثورات القومية والحلافات الأسرية بين أفراد أسرة البطالمة ، ويتأيد ذلك بأنه في خلال القرن الثاني ركزت في قبضة أولئك الحكام سلطات إدارية وقضائية وحربية . ومع ذلك نشك في أن مكانة أولئك الحكام قد بلغت من الأهمية ما يبرر مساواتهم بوزير المالية ومنحهم جميعاً أسمى الألقاب الفخرية . ولعل السخاء في منح هذه الألقاب لكبارحكام منطقة طيبة وحكام المديرية المختلفة ، ولا سيما في عهد بطلميوس الثامن يورجتييس الثاني (١٤٥-١١٦ ق . م .) ، لم يكن إلا وسيلة للفوز بتأييد أولئك الحكام للعرش ، ويشير إلى الدور الرئيسي الذي قام به هذا الملك في التطور الذي طرأ على الألقاب البطلمية (١) .

وإذا كان يمكن القول بأنه في حالةحكام منطقة طيبة والمديرية قد حدث ازدياد في أهمية المناصب وكذلك هبوط في قيمة الألقاب ، فإنه لا يمكن قول ذلك عن أغلب الحالات الأخرى . فمثلاً لا يمكن القول بأن أهمية منصب وزير المالية في أواخر القرن الثاني ، عندما كان كل الذين شغلوه عندئذ يحملون لقب « قريب الملك » ، كانت أكثر أهمية منه في ١٨٠/٢٠٣ عندما كان لقب الوزير أبولونيوس بن ثيون « صديقاً » . ولا يمكن القول بأن أهمية منصب مساعد وزير المالية قد ازدادت بين عام ١٦٣ ، عندما كان

(1) Henne, op. cit., p. 185.

سارايون من فئة « الخلفاء » ، وعام ١٠٨ عندما كان هرموناكس من فئة « نظراء أقارب الملك » ، ولا بأن أهمية منصب سكرتيرى الملك قد ازدادت فى أواخر القرن الثانى ازدياداً يبرر مساواة شاغليه فى اللقب مع وزير المالية مثلاً . ومع ذلك فانه إزاء منح حكام الأقاليم أرفع الألقاب الفخرية يبدو لنا رفع مستوى ألقاب كبار الموظفين أمراً طبيعياً . فنحن إذن لانعدو الحقيقة إذا قررنا أن الاتجاه العام نحو الهبوط فى قيمة الألقاب لم يكن مقصوراً على حكام الأقاليم بل تعداهم حتى شمل كل الموظفين المدنيين .

وعندما ننتقل إلى العسكريين نجد أن الأدلة أقل من أن تسمح بمقارنات مشمرة مع المدنيين والوصول إلى نتائج شافية . ولا بد من أن حكام قبرص كانوا عسكريين ولاسيما أنهم كانوا فى الوقت نفسه قواد الأسطول البطلمى الراسى هناك . ولاشك فى أن كبار حكام منطقة طيبة كانوا أيضاً عسكريين فقد كانت تلك المنطقة مهد الفتن ومقل الثوار ضد البطالة الاواخر ، وفى القرنين الثانى والأول قبل الميلاد كان من بين كل حكام الأقاليم حاكم منطقة طيبة وحده هو الذى يتمتع بسلطة عسكرية (١) . لقد كان لقب پوليكراتس (٢) حاكم قبرص فى عهد بطلميوس الخامس « صديقاً أول » ، أما خلفاؤه (ارخياس (٣) وهلنوس (٤) وسليوكوس (٥) ابن بيثوس وثيودوروس بن سليوكوس (٦) وكروكوس (٧) الذين تولوا حكم تلك الجزيرة فى عهد بطلميوس السادس وكليوبترا الثانية وعهد بطلميوس الثامن ، وكذلك اونساندروس (٨) الذى شغل المنصب نفسه فى

(1) Aegyptus, 1940, pp. 14-18.

(2) Mitford, Mnemosyne, VI, 1939, p. 118.

(3) Strack, Dynastic, No. 93 (= Mitford, op. cit., p. 115) ; Bengtson, Strategie, p. 288, No. 180.

(4) OGIS 148 ; J.H.S. vol. 27, 35, No. 10 ; Bengtson, op. cit., p. 288, No. 140.

(5) OGIS. 151 ; 152 ; Bengtson, p. 284, No. 141.

(6) OGIS. 157 ; Bengtson, op. cit., p. 284, No. 142.

(7) OGIS. 140 = Inscr. Delos, 1528 ; Bengtson, op. cit., p. 284, No. 143.

(8) OGIS. 172.

عهد بطلميوس التاسع سوتر الثاني ، كانوا جميعاً يحملون لقب « قريب الملك » .

إن رفع لقب حاكم قبرص من « صديق أول » في عهد بطلميوس الخامس إلى « قريب الملك » منذ عهد بطلميوس السادس يشير إلى التطور نفسه الذي سبق أن لاحظناه في ألقاب الموظفين المدنيين ، وإن كان من الواضح أن حكام قبرص كانوا أسبق من الموظفين المدنيين في بلوغ مرتبة « قريب الملك » ، ففي الوقت الذي كان فيه حكام قبرص العسكريون يحملون لقب « قريب الملك » كان ثلاثة من وزراء المالية في مصر يحملون لقب « صديق » واثنان لقب « كبير رجال الحرس الخاص » وواحد لقب « صديق أول » وآخر لقب « قريب الملك » دون أن يكون التطور في ارتفاع اللقب متمشياً دائماً مع التطور الزمني ، لكن منذ انتمى الوزير ايرنايوس في ١١٤ - ١١٢ ق.م. إلى مرتبة « قريب الملك » كان كل وزراء المالية الذين نعرفهم ينتمون إلى هذه المرتبة . وقد سبق أن لاحظنا أنه قبل ذلك بربع قرن تقريباً أو على وجه التحديد منذ ١٣٦/١٣٥ ق.م. كان كل كبار حكام منطقة طيبة ينتمون إلى هذه المرتبة نفسها ، وبذلك يكونون قد سبقوا إليها رجال السلطة المركزية المدنيين وكذلك جميع رجال الإدارة المحلية في الأقاليم .

وقد كان حكام المدن الواقعة في ممتلكات مصر الخارجية يحملون ألقاباً متباينة تقابل ألقاب حكام الأقاليم في مصر ، لكن يستوقف النظر أنه في النصف الأول من القرن الثاني حين كان أغلب حكام مديريات بأجمعها في مصر يحملون لقب « كبير رجال الحرس الخاص » كان فيلوتاس^(١) (١٨٠ / ١٤٥) في إيتانوس بكريت وتيودوروش^(٢) (١٤٥ / ١١٦) في سلاميس بقبرص يحملان لقب « صديق أول » ، بينما كان اجياس^(٣)

(1) OGIS. 119,6.

(2) OGIS. 155,6.

(3) OGIS 118.

(١٤٥/١٦٣) في كيتيوم وأمونيوس في أماثوس بقبرص يحملان لقب « كبير رجال الحرس الخاص » وتيايوس^(١) في ميثاني بالهلويونيز لقب « صديق »، واريستيوس^(٢) (١٦٣) وكذلك لادموس^(٣) (١٤٩-١٦٣) في ثيرا ينتميان إلى فئة « الخلفاء ». ومن المؤسف انه ليست لدينا عن حكام المدن في مصر ذاتها معلومات تمكنا من أن نعقد مقارنة بينهم وبين حكام^(٤) المدن في الخارج .

ومما يجدر بالملاحظة أنه إذا تركنا جانبا العسكريين الذي أسند اليهم حكم قبرص أو منطقة طيبة بأجمعها ، فإننا نجد أن كل ضباط الجيش الذين ورد ذكرهم في مصادرنا سواء أكانوا في الحرس الملكي أم في فرق الفرسان أم المشاة كانوا يحملون ألقاباً تتفاوت بين فئة « الخلفاء » وفئة « الأصدقاء الأول » باستثناء باتروكلس^(٥) بن هيراكلايتوس ، أحد رجال الحرس الملكي بين ٦٨/٩٦ و ٦٠/٦١ ق . م ، فإنه كان ينتمي إلى فئة « نظراء أقارب الملك » . وكان اثنان من ضباط الجيش المصريين يحملان في القرن الأول ألقاباً مصرية ، فقد وصف پامونثس^(٦) بأنه « الصديق الأوحده وأخو أسرة الملك » ، ووصف همسوفيس أو منشوفيس^(٧) بأنه « أخو فرعون » .

ونجد بين قواد الحاميات أن هرويدس^(٨) بن داموفون (قبل ١٤٤/١٤٢) وأبولونيوس^(٩) بن هلتن (بين ١١٦/١٣٥) وأبولونيوس^(٩) آخر (حوالي ١١٨) ومناسيس^(١٠) بن ديونيوسيوس (بين ١٤٥/١١٦) كانوا قواد حامية أسوان

-
- (1) OGIS, 115.
(2) SEG. 348.
(3) OGIS 785,5.
(4) BGU, VIII, 1772, ll. 21-2, 31-2 ; Pr. Pt. II, No. 4301.
(5) Rec. Trav. 28, 1904, p. 50 ; Pr. Pt. II, No. 2125.
(6) P. Rhind I, 1, 2, 8 (bis), 4-8, 9 (bis), 11 (bis) ; II, 1, 3-7 ; Pr. Pt. II, No. 2180.
(7) S.B. v, 8394, ll. 8-4, 18 ; Pr. Pt. II, No. 2059.
(8) Archiv. 2, 1906, pp. 550-1, No. 82, ll. 6-8 ; Pr. Pt. II, No. 2053.
(9) S.B. I, 8448, ll. 8-9 ; Pr. Pt. II, No. 2054.
(10) S.B. I. 632, ll. 6-9 ; Pr. Pt. II, No. 2062.

أو فيلة وينتمون جميعاً إل فئة « الخلفاء » . أما بطلميوس^(١) (يناير ١٤٨) ،
وكان قائد حامية في طيبة ، فإنه كان يحمل لقب « صديق » ، وهيراكلايدس^(٢)
ابن اپولونيوس (٧٨) وكان قائد حامية في هرموبوليس ماجنا ، فإنه كان
من فئة « الأصدقاء الأول » .

ونجد بين ضباط الفرسان ان بانيسكوس^(٣) (١٣٧/١٣٨) كان من فئة
« كبار رجال الحرس الخاص » ودروتون^(٤) (حوالى ١٣٥) من فئة « الخلفاء »
وبطلميوس^(٥) بن أجاثوكلس (١١٩) وايرنايوس^(٦) (١١٩) من فئة
« الأصدقاء » وشخصاً^(٧) نعرف الجزء الأول من اسمه وهو اوپل . . .
(٨٦) من فئة « الأصدقاء الأول » .

ولإزاء الأدلة التى استعرضناها يتضح لنا أمران : وأحدهما أنه يمكن القول
دون اسراف فى رأى أنه من الجائز أن العسكريين كانوا أول الأمر أكثر
امتيازاً من المدنيين بوجه عام فى الألقاب التى حملوها غير أن هذه الميزة ،
إذا كانت قد وجدت على الإطلاق ، لم يعد لها وجود عند نهاية القرن الثانى ،
لكن لا يمكن القول بأنه على مر الزمن سبق المدنيون العسكريين فى شوط
الألقاب^(٨) . والأمر الآخر أنه قد حدث فى قيمة ألقاب العسكريين هبوط
يمثل ذلك الذى حدث فى قيمة ألقاب المدنيين .

أما عن مسألة وراثة الألقاب فإننا إذا أخذنا مثلاً حالة سليوكوس
وابنه ثيودوروس اللذين أشرنا إلى أنهما كانا حاكى قبرص ويحملان لقب
« قريب الملك » ، نلاحظ أن ثيودوروس قبل أن يشغل هذا المنصب ويحمل

-
- (1) P. Lond. 610 ; Pr. Pt. II, No. 2064.
(2) S.B. V, 8006, ll. 77-8 ; Pr. Pt. II, No. 2058.
(3) S.B. III, 6184, ll. 5.7 ; Pr. Pt. II, No. 2230.
(4) P. Amh. II, 36, ll. 3-4 ; Pr. Pt. II, 2206
(5) UPZ. 161, ll. 2-3 ; Pr. Pt. II, No. 2235.
(6) UPZ 161, l. 3 ; Pr. Pt. II, No. 2208.
(7) P. Tebt. 54, ll. 1-3 ; Pr. Pt. II, No. 2229.
(8) Cf. Henne, op. cit., No. 184.

هذا اللقب كان حاكم سلاميس وينتمى إلى فئة «الأصدقاء الاول» . ولا يمكن أن نرى مبرراً للافتراض بأنه عندما أصبح ثيودوروس حاكماً لقبرص كلها ومنح لقب « قريب الملك » قد حصل على هذا اللقب نتيجة لوراثته عن أبيه لانتيجة لترقيته أكثر مما يمكن أن نرى مبرراً للافتراض بأنه قد ورث منصبه كذلك عن أبيه وهو افتراض غير مقبول على الإطلاق . ومما يجدر بالملاحظة أنه في نقش^(١) من عهد بطليموس الخامس ذكر بطليموس بن بطليموس وكان الأب ينتمى إلى فئة « الأصدقاء الاول » والابن إلى فئة « كبار رجال الحرس الخاص » ، فإذا كان الابن قد بلغ بعد ذلك مرتبة أبيه فإنه لا يجوز القول بأن ذلك قد حدث نتيجة للوراثة . وفي نقش^(٢) آخر ذكر ليونيداس بن فيلوتاس وكان كل من الأب والابن ينتميان إلى فئة « الأصدقاء الاول » .

وهكذا يبين لنا أن الأدلة لاتوحى بأن الألقاب كانت تورث ، وإن كنا لانستبعد إفادة الأبناء من مكانة آبائهم وإيثار أبناء أصحاب الألقاب على غيرهم .

(1) OGIS. 98 = S.B. V, 8274, ll. 2-3.

(2) S.B. 6605 ; B.S.A.A. 19, 1923, p. 123.

حَسَنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ

—٤—

التَّائِيذُ الْمَعْجَزَاتُ بَيْنَ آثَارِ سُورَتَيْ يُونُسَ وَمُوسَى

التأثيرات المعمارية لآثار سوريا ومصر

بالرغم من وحدة الإقليمين منذ أقدم العصور ووجود منشآت أثرية للفرد الواحد في الإقليمين ، وتبادل الصناع والمهندسين أحياناً ، فإن الباحث الآثارى إن وجد اتفاقاً في بعض الوحدات المعمارية لإيجدها في بقية التفاصيل ، وكان لفقد الكثير من آثار سوريا بسبب الزلازل وغارات التتار والصليبيين ، أثر كبير في القضاء على كثير من الآثار، وعلى الوحدات التي كانت تؤيد التأثيرات المعمارية ، حيث لا نرى أثراً باقياً في سوريا مكتملاً . اللهم إلا القليل ، وخاصة الآثار العثمانية . وهذا ما نقروءه أيضاً في تعليقات السادة ناشري تاريخ وخطط دمشق والصالحية وحلب ، وتأسفهم على فقد الكثير من المساجد والمدارس والخوانق^(١) الوارد ذكرها في تلك المؤلفات . أما القاهرة فبالرغم من ضياع الكثير من آثارها ، فإنها احتفظت بأهم مجموعة كاملة من الآثار ، تساعد الباحث على دراستها في مختلف عصورها المتعاقبة عليها ، والشئ الوحيد الذي فقدت الكثير منه ، هو آثار العصر الأيوبي . فإنه رغم تعميره في مصر زهاء ثمانين عاماً ، أنشئت خلالها مجموعة كبيرة من الخوانق والمساجد والمدارس فلما اندثرت ، وقلما نجد فيما تبقى منها

(١) انظر : «الدارس في تاريخ المدارس» . تأليف عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي ، تحقيق الأستاذ جعفر الحسني ، من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق - و«إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء» تأليف المرحوم محمد راغب الطباخ . و«القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية» لابن طولون الصالحى ، تحقيق الأستاذ محمد أحمد دهمان . و«نهر الذهب في تاريخ حلب» للأستاذ كامل بن حسين الغزى . و«خطط الشام» للمرحوم محمد كردعلى .

أثراً كاملاً ، ولكن ما تبقى منها يعطى فكرة ناضجة عن تطور تفاصيلها المميزة لها ، وكنت أمتنى النفس أن أجد منها ثروة في سوريا معقل الدولة الأيوبية . إلا أنها لم تكن أسعد حظاً من معاصرتها بمصر ، فهي مع كثرتها غير مكتملة التفاصيل ، مما جعلنى لا أعجب من تصريح مؤرخ حلب « المرحوم الشيخ محمد راغب الطباخ » ، حينما تكلم عن مدرسة الفردوس وقال : « إنها المدرسة الوحيدة التى حفظتها^(١) لنا الأيام » .

وعلاوة على ذلك ، فإن وجه الشبه معدوم بينهما ، ولعل التأثيرات المعمارية متبادلة بين آثار دولتى المماليك ، ذلك أنه بعد انفضاض الصليبيين من السواحل ، والقضاء عليهم ، أصبحت مصر والشام لا يتخللها أرض لغاصب ، ولا ينازعها سلطان لغير المسلمين ، وصارت كل واحدة متممة الأخرى .

ولإزاء تلك الوحدة الكاملة فى تلك الحقبة ، تبودلت الولاة والأمراء وكبار الموظفين والعلماء والقضاة ينتقلون فى الوظائف بين مصر ودمشق وحماة وحمص وحلب وغيرها ، وللملك نرى الكثير من أسماء ملوك دولتى المماليك وأمرائهم ، مسطورة على آثارهم بمصر والشام ، ما بين مساجد ومدارس وخوانق ، وعلى التحصينات ، ما بين قلاع وأسوار وأبواب . ووقفوا عليها أعياناً بمصر والشام ، ما زالت مسطورة بالوثائق الشرعية ، وهذا كان سبباً قوياً للتبادل الفنى بين مهندسى مصر والشام ، وبين الصناع ، ومن هنا وقعت التأثيرات المعمارية .

وحينما نستعرض آثار سوريا والقاهرة السابقة للدولة المماليك ، نجد تأثيرات جزئية متبادلة . ففى عز الدولة الأموية وصلت إلى مصر تأثيراتها المعمارية ، حيث أنشأ عبدالعزيز بن مروان الدار المذهبة بالفسطاط^(٢) سنة ٦٧ هـ ٦٨٦ م ، وقد عظم نفقات إنشائها ، ونهض ولائها بجامع عمرو ما بين زيادة

(١) إعلام النبلاء ج ٢ ص ٢٦٦ .

(٢) كتاب الولاة وكتاب القضاء ، للكندى ص ٩٥ ، ٩٩ .

بوزخرف وتجديد ، فأقاموا به الصوامع الأربع ، وأحدثوا به المحراب المحرف
اقتداء بالمحراب الذى أحدثه بالحرم النبوى الأمير عمر بن عبدالعزيز . وأقاموا
فيه منبراً جديداً ومقصورة ، تقليداً للمقصورة المقامة بالجامع الأموى^(١)

ووصفوا أعمال قُرة بن شريك والى مصر ، بأنه هدم جامع عمرو بن
العاص بأمر الوليد بن عبد الملك سنة ٩٢ هـ ٧١٠ م ، وزاد فيه ، ونمقه ، وحسنه
على عادة الوليد بن عبد الملك فى بناء الجوامع .

وفى ظل الدولة العباسية قام عبدالله بن طاهر ، والى مصر من قبل الخليفة
العباسى المأمون ، بالزيادة فى جامع عمرو سنة ٢١٢ هـ ٨٢٧ م بمقدار النصف
الجنوبى^(٢) وكسا شبايبكه وطبائى عمده بأخشاب حافلة بزخارف متأثرة
بالزخارف الأموية ، وقد انتقل تأثيرها إلى الكنائس المعاصرة ، أبى سيفين
بالفسطاط ، وأبى مقار بوادى النطرون .

وكان للشبايبك المفرغة بقصر الحير الغربى^(٣) ٧٢٧ م المكتشف ببادية الشام
(جنوبى غربى تدمر) أثر كبير على الشبايبك المفرغة فى الجامع الطولونى ،
وللشبايبك الرخامية فى الجامع الأموى تأثير على الشبايبك الرخامية فى فتحات
مقياس النيل بالروضة ، وبعض الكنائس المسيحية بالفسطاط .

وكما وجد بيت المال فى المسجدين الأموى بدمشق ، والكبير بحماة ،
فقد وجد كذلك فى جامع عمرو^(٤) منذ سنة ٩٧ هـ ٧١٥ م أيام سليمان بن عبد الملك .
وللعصر الطولونى تأثير على محراب جصى بسارية بالإيوان القبلى بصحن
الجامع الأموى^(٥)

(١) المواعظ والاعتبار ، لمقرئى ج ٢ ص ٢٤٨ .

(٢) المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٤٩ .

(٣) انظر الصور رقم ١ - ٣ .

(٤) المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٤٩ .

(٥) انظر الصورة رقم ٤ .

وللفسيفساء في سوريا تأثير على الفسيفساء التي وجدت بآثار مصر في
الحقبة من سنة ٦٤٨ هـ ١٢٥٠ م إلى سنة ٧٤٠ هـ ١٣٤٠ م ، والموجودة في
محاريب مساجد وقياب ، شجر الدر سنة ٦٤٨ هـ ١٢٥٠ م ، والصالح نجم الدين
سنة ٦٤٨ هـ ١٢٥٠ م ومدرسة المنصور قلاوون سنة ٦٨٤ هـ ١٢٨٥ م ، ومحراب
جامع أحمد بن طولون سنة ٦٩٦ هـ ١٢٩٦ م ، ومحاريب المدرستين : الطبرسية
سنة ٧١٩ هـ ١٣١٩ م ، والاقبغاوية سنة ٧٤٠ هـ ١٣٤٠ م الملحقتين بالجامع
الأزهر ، ومحراب مسجد الست حديق سنة ٧٤٠ هـ ١٣٤٠ م^(١) ، ونقوشها
ما بين أشجار بفواكهها ، وفروع زخرفية ملهبة وملونة .

وإذا ما استعرضنا مآذن سوريا القديمة ، لوجدنا أكثرها مربعا . ومن
المرجح أن صوامع جامع عمرو التي أقامها عليه مسلمة بن مخلد سنة ٥٣ هـ
٦٧٢ م كانت مربعة . وكذلك كانت وظلت المنارة في دولتي الفاطميين
والأيوبيين ، وأول الممالك مربعة إلى الدورة الأولى ، أسطوانية أو مثمنة البدن
فوقها ، وتنتهي بنخوذة كروية أو مخروطية .

وفي ظل الدولة الفاطمية شاعت المحاريب الخشبية المتنقلة ، بجامع عمرو
وغيره ، باق منها بمتحف الفن الإسلامي ، محراب مشهد السيدة نفيسة ،
(نهاية القرن الخامس الهجري ، نهاية الحادي عشر الميلادي) ومحراب
الأزهر الذي أمر بعمله الأمر بأحكام الله سنة ٥١٩ هـ ١١٢٥ م ، ومحراب
السيدة رقية سنة ٥٢٧ هـ ١١٣٢ م ، وقد سرى هذا التأثير إلى حلب^(٢) حيث يوجد
بالمدرسة الحلوية محراب خشبي ثابت ، منقوش نقشا دقيقا ، ومكتوب ،
وهو مؤرخ بسنة ٦٤٣ هـ ١٢٤٥ م وعليه اسم صانعه « أبو الحسن محمد بن
الحراني » وهو من روائع صناعة النجارة والحفر في الخشب . ولكنه لا يصل
إلى مستوى دقة الصناعة وجهالها في محراب السيدة رقية .

(١) حسن عبدالوهاب - تاريخ المساجد الأثرية ج ١ ص ٣٧ .

(٢) انظر الصور رقم ٥ - ٦ .

وكان لمحراب المدرسة الحلوية صنو في مسجد قلعة حلب مؤرخ بسنة: ٦١٠ هـ ١٢١٣ م سرق سنة ١٩٢١ م . ويفهم من وصف ابن جبير لمحراب الجامع الأموي الكبير بحلب : - أنه أيضاً كان من الخشب المنقوش والمطعم بالسن (١) .

ولإذا ما قارنا القباب ، ما بين سوريا ومصر في القرن السادس الهجري نجد فرقا كبيرا ، فالقبة الفاطمية في مصر كانت في النصف الأول من هذا القرن مضلعة من الخارج مجوفة الأضلاع من الداخل ، ومقرنصها من حطتين . كما نراه في قباب أوائل القرن السادس الهجري - قبة - السيدة عاتكة . سنة ٥١٤ هـ ١١٢٠ م ، وقبة السيدة رقية سنة ٥٢٧ هـ ١١٣٣ م ، وقبة يحيى الشيبه سنة ٥٤٥ هـ ١١٥٠ م . ومنها ما شحنت باطنها بزخارف وكتابات جميلة . مثل قبة الحافظ لدين الله بالجامع الأزهر ٥٢٤ - ٥٤٤ هـ ١١٢٩ - ١١٤٩ م وفي تلك الحقة نرى القبة فوق مدخل بيارستان نور الدين بدمشق سنة ٥٤٩ هـ ١١٥٤ م ، لها طرز خاص ، مسلوبة مقرنصة مدرجة من الخارج والداخل . ومثلها قبة مدرسته (٢) ٥٦٧ هـ ١١٧٢ م ، وكلاهما متأثر بقباب العراق ، كما نرى قبة صلاح الدين سنة ٥٩٢ هـ ١١٩٥ م مضلعة تضليعا بسيطا من الخارج ومجوفة الأضلاع من الداخل ، ومضاهايات الرقبة من الخارج عقود محارية ، ومقرنصها من حطة واحدة . وعلى مثالها قبة المدرسة الركنية ١٢٢٤ م والقباب الأيوبية - العزية ٦٢٦ هـ ١٢٢٨ م ، والدحلاح (٣) بدمشق .

ولإذا قارنا التابوت الخشبي بقبة صلاح الدين - وهو تابوت جميل دقت حشواته بالأويمة الدقيقة ، وكتب حوله بالخط الكوفي آية الكرسي - بمعاصره . تابوت الإمام الشافعي ٥٧٤ هـ - ١١٧٨ م والمصنوع في دولة صلاح الدين ،

(١) رحلة ابن جبير ص ٢٥٣ طبع لندن .

(٢) انظر الصورة رقم ٧ .

(٣) انظر الصور رقم ٨ - ٩ .

وربما كان بأمره، نجد أن تابوت الشافعي أدق منه بكثير، وأن الخط الكوفي فيه أجمل وأتقن، وأن سقاسات تابوت صلاح الدين عريضة، والسقاسات (الأنانات) العريضة تؤثر على رونق الحشوات، وعلى تابوت الإمام الشافعي اسم صانعه «عبيد بن معالي». ولعله من أسرة ابن معالي التي اشتركت في عمل المنبر (١) الذي أعده نور الدين الشهيد في حلب سنة ٥٦٤ هـ ١٩٦٨ م (٢) للمسجد الأقصى ونقله إليه صلاح الدين بعد فتح القدس، حيث نقرأ عليه ضمن أسماء صناعه اسم (سلمان بن معالي)، وهو منبر من روائع صناعة النجارة والحفر والتطعيم، توافر على صناعته نجارون حلييون يشهد لهم بالسبق والبراعة في تلك الصناعة، وهم: حميد بن ظافر الحلبي، وفضائل وأبو الحسن ولدا يحيى الحلبي.

وفي سنة ١٩٣٩، استخرجت من طابق تحت أرضية مقصورة الإمام الحسين، تابوتاً خشبياً من ثلاثة أجناب، لم تكتحل به عين أحد من الأثاريين قبل، جمع بين الخطين النسخي والكوفي، ودقت حشواته بزخارف غاية في الدقة، هو صنو لتابوت الشافعي ومعاصر له. ويحتمل أن يكون صانعها واحداً. كما يحتمل أيضاً أن يكون الأمر بعملهما صلاح الدين.

وبقية الآثار الأيوبية - على قلتها في مصر - لها الصدارة، فهذه ذى قبة الإمام الشافعي التي أنشأها الملك الكامل. سنة ٦٠٨ هـ ١٢١١ م، امتازت بفخامتها وضخامتها وبدقة زخارفها الجصية، وبالنزخارف الخشبية في طرازها وأوتارها، ومصاريح أبوابها الخشبية والنحاسية، وبدقة وجمال تابوت أم الملك الكامل، الذي لا يقل روعة عن تابوت الإمام الشافعي (٣)، وبجمال الخط الأندلسي الكوفي فيها، إنها قبة وحيدة في طرازها في مصر وسوريا.

(١) انظر الصور رقم ١٠ - ١٢.

(٢) تاريخ المساجد الأثرية ج ١ ص ١٠٨.

(٣) الصورة ١٤٤١٣.

ونلاحظ في مدخل إيوان وتربة السادة الثعالبية سنة ٦١٣ هـ (١)
١٢١٦م تنوعاً غريباً في حفر المربعات الحجرية حول الباب . وإقامة إيوان
فوق القبر ، تأثر محرابه الجصى بالمحاريب الفاطمية ، وكان به تابوت من الخشب
الدقيق النقش نقلت بقاياه إلى متحف الفن الإسلامى .

أما باب المدرسة الصالحية (٢) ٦٤١ هـ ١٢٤٣ م ، فإنه من روائع
النقش (٣) فى الحجر ، ولم أر له مثيلاً فى سوريا ، ومثله أعتاب الشباييك
فى تلك المدرسة فقد تنوعت زخارفها .

وفى زخارف منارة المشهد الحسينى سنة ٦٣٤ هـ ١٢٣٧م ، نرى تأثيرات
أندلسية ، وفى طرز منارة المدرسة الصالحية نرى تنوعاً يميزها عن المنارة
السورية والفاطمية .

وللقبة الملحقه بهذه المدرسة والتي أنشأتها شجر الدر لزوجها الصالح
نجم الدين سنة ٦٤٨ هـ ١٢٥٠ م طرز خاص (٤) ، وقد بنيت قاعدتها بالحجر
والقبة بالآجر ، وقد تعددت حطات مقرنصها ، واشتملت على أقدم شباييك
ذات جص وزجاج ، كما اشتملت على فسيفساء مذهبة بالمحراب ، وعمد
نادرة الألوان بقواعد وتيجان عربية ، وامتازت ببساطة وجمال نجارة
مصاريع الأبواب والشباييك والدواليب ، والدقة فى حشوات التابوت .
وبالشباييك النحاسية المصبوبة . كأقدم نموذج .

أما قبة الخلفاء العباسيين حوالى ٦٤٠ هـ ١٢٤٣ م ، وشجر الدر (٥)
٦٤٨ هـ ١٢٥٠م فقد بذينا فى أواخر العصر الأيوبي ، ولها طرز خاص اقتصر

(١) انظر الصورة ١٥ .

(٢) انظر الصورة رقم ١٦ .

(٣) المارة الإسلامية ، العصر الأيوبي بقلم حسن عبدالوهاب- مجلة المارة العدد ٨٧ ،
سنة ١٩٤٠ .

(٤) انظر الصورة رقم ١٧ .

(٥) انظر الصورة رقم ١٨ .

ظهوره على مصر ، وامتازتا بدقة الزخارف الجصية^(٢) البالغة حد الروعة وتعدد حطات المقرنص ، كما امتازت قبة الخلفاء العباسيين بنقش وتذهيب زخارف باطن القبة والمقرنصات ، وبالخط الكوفي الأندلسي ، وببساطة وجمال نجارة التوابيت .

وامتازت قبة شجر الدر بطرزها ، مثل قبة الخلفاء العباسيين ، وبالفسيفاء المذهبة في محرابها ، وبالطراز الخشبي المكتوب بالخط الكوفي .

وعلى طرز هاتين القبتين قبة أبي الغضنفر ، نهاية العصر الأيوبي ، وامتازت عنهما بأنها مصلعة من الخارج مجوفة ما بين الأضلاع من الداخل^(٣) .

أما قلعة صلاح الدين بمصر . سنة ٥٧٩ هـ ١١٨٤ م ، فإنها دون عظمة قلعة دمشق وحلب ، ولا عجب فسوريا غنية بأهم مجموعة من القلاع الصليبية والإسلامية ، مما يجعل لها الصدارة في العمار الحربية .

وإذا ما قارنا الأبواب المصفحة بالنحاس ، فيما بين باب بیمارستان نورالدين الشهيد ٥٤٩ هـ ١١٥٤ م بدمشق ، وبين بابي الصالح طلائع ٥٥٥ هـ ١١٦٠ م والإمام الشافعي ٦٠٨ هـ ١٢١١ م بمصر ، نجد تفاوتاً كبيراً فيما بينهما ، إذ الأول مكسو بالنحاس ، وحددت تقاسيم حشواته السطحية المسامير ، وفي الآخرين حشوات مفرغة بأشكال زخرفية فوق صفحة من النحاس ، زخارفها ما بين هندسية ومورقة . وأيضاً فإن الباب المصفح بالنحاس للمدرسة الشاذليية (الشيخ معروف بحلب) سنة ٥٨٩ هـ ١١٩٣ م دون الأبواب المعاصرة له ، فقد اقتصرت حلته على تقاسيم معيذية يتوسطها مسار رأسه مخوصة . وهكذا نرى أن مصر امتازت عن سوريا بتنوع جميل في كسوة مصاريع الأبواب النحاسية منذ العصر الأيوبي إلى أوائل العصر العثماني . بينما نراها في سوريا جامدة لم تتطور ، كما نشاهده في الأبواب السابق الإشارة إليها وفي بابي

(١) انظر الصورة رقم ١٩ .

(٢) انظر الصورة رقم ٢٠ . وكانت هذه القبة معتبرة لدى الآثاريين قاطمية إلى أن حققها واعتبرتها أيوبية .

نحان خير بك^(١) سنة ٩٢٨ هـ ١٥١٤ م ونحان الوزير سنة ١٠٩٣ هـ ١٦٨٢ م بحلب . وعلى مثال باب النيارستان النورى بدمشق عملت بمصر مصاريع شبابيك المدرسة السعدية ٧٢١ هـ ١٣٢١ م ، فقط نُزِلَت الأشرطة النحاسية في الخشب فحددت الأطباق الاثنا عشرية ، وهو مثال وحيد .

ولنستعرض آثار تلك الحقبة في مدينة حلب ، تلك المدينة التي كانت وما زالت حافلة بمجموعة من الآثار ، تمثل حقبات تاريخها تمثيلا غير كامل ، نرى أن مداخل المدارس أمثال ، الشاذليونية ٥٨٩ هـ ١١٩٣ م ، والظاهرية البرانية ٦١٠ هـ ١٢١٣ م ، والسلطانية^(٢) ٦١٣ - ٦٢٥ هـ ١٢١٦ - ١٢٢٧ م ، سبقت مصر بالمداخل المبنية بالحجر ذات المقرنصات المنهية بطاقيّة مخصوصة .

وإن القاعة بمطبخ العجمي (القرن الثالث عشر الميلادي) إن اتفقت مقرنصات قبتها مع مقرنصات قبة أم الصالح بمصر سنة ٦٨٣ هـ ١٢٨٤ م ، إلا أنها انفردت بطرز عقودها^(٣) الوحيدة المفرغة من وجهيها بشكل شرفات . وإذا ما وجدنا العقد المجيدى (المفصص) في العادلية الصغرى سنة ٦١٨ هـ ١٢٢١ م بدمشق وفي غيرها ، فقد وجد هذا العقد أولا في باب الفتوح بمصر سنة ٤٨٠ هـ ١٠٨٧ م وشاع بعده في آثار أخرى مملوكية .

وثمة ظاهرة أخرى في آثار حلب ، هي عقود الحارث وبعض المداخل^(٤) فلإنها ذات طيات متداخلة ملونة في الرخام ، نجدها في محراب مدرسة الفردوس سنة ٦٣٣ هـ ١٢٣٥ م . وهو أجملها وعليه اسم صانعه « حسان بن عنان » ، ومحراب المدرسة الشاذليونية سنة ٥٨٩ هـ ١١٩٣ م وجامع البهرامية ، كما نراه أيضا على باب الحجاز في الجامع الكبير ، وعلى الباب المقول حديثاً إلى مطبخ العجمي . وفي غيرها من مساجد حلب .

(١) انظر الصور ٢١ - ٢٢ .

(٢) الصورة رقم ٢٣ .

(٣) انظر الصورة رقم ٢٤ .

(٤) انظر الصور رقم ٢٥ - ٢٦ .

هذا العقد الظريف رأيناه بمصر في الباب الحجري لرباط ازهر (١)
(مدفن مصطفى باشا حاكم اليمن) حوالي سنة ٦٦٦ هـ ١٢٦٧ م ، ورأيناه
في دائرة رخامية بباب الخاتقاه المهندارية ٥٧٢٥ هـ ١٣٢٥ م ، ورأيناه في عقود
شبايك ودوائر رخامية بواجهة قبة مدرسة السلطان حسن بمصر سنة ٧٥٧
— ٧٦٤ هـ ١٣٥٦ — ٦٢ م

ورأيت في واجهة جامع القيقان بحلب ، وتنسب بقاياها إلى القرن الثالث
عشر الميلادي ، عمد الرخام مدججة كميدة في البناء ، وهذا شائع في بناء
التحصينات في مصر في العصر الفاطمي ، وفي جامع الصالح طلائع ٥٥٥ هـ
١١٦٠ م ، وفي جامع الظاهر ببرس البندقداري ٦٦٥ — ٦٦٧ هـ ١٢٦٦ — ٦٩ م
وفي قلعتي قايتباي بالإسكندرية سنة ٨٨٤ هـ ١٤٧٩ م ورشيد سنة ٨٧٦ هـ ١٤٧١ م.
ورأيت في متحف دمشق حشوات خشبية فاطمية ، تطابق معاصرتها في
مساجد مصر وفي متحف الفن الإسلامي . كما شاهدت فيه محاريب وزخارف
جصية بها كتابات كوفية منقولة من مسجد (بالس) على الفرات من القرن
الخامس الهجري ، تطابق معاصرتها الفاطمية بمصر .

ورأيت في مشهد الشيخ محسن بحلب ، والذي بناه سيف الدولة بن حمدان
سنة ٣٥١ هـ ٩٦٢ م تابوتا خشبياً جميلاً (القرن ١٣ م) حليت قوائمه وعوارضه
بكتابات كوفية ونسخية توسطت قناطره قناديل وشمعدانات ، وقد تشابهت
كتابه الكوفية مع الكتابات الجصية المخلفة من دار الحديث الكاملة بمصر
سنة ٦٢٢ هـ ١٢٢٥ م . وغيرها

وفي هذا المشهد مصراع من الحجر الأسود قطعة واحدة ، له مثل بمصر
في مشهد الإمام زيد بن علي المعروف بزين العابدين سنة ٥٤٩ هـ ١١٥٤ م

(١) حسن عبد الوهاب — العارة الإسلامية (عصر المماليك البحرية) مجلة العارة العدد

وامتازت حلب بوجود أكمل بيارستان بها ، هو بيارستان أرغون الكاملى .
سنة ٨٧٥٥^(٢) ١٣٥٥م ، وفى هذا البيارستان طرائف فنية مثل عقدى الإيوانين .
الشرقى والغربى ، فإن الجفت المحيط بكلا العقدين حينما وصل إلى منتصفه .
ارتفع وكون خطا أفقيا تلاقى مع جفت المقد المقابل له فتكون خصر شغل .
فراغه بدائرة زخرفية ، كما توسط الجفت فوق الحصر حطة مقرنص وفوقها
دائرة زخرفية ، وهذا لم أشاهده إلا فى هذا الأثر ، وهناك ميزة أخرى ،
فإن جميع عقود الإيوانات محمولة على عمد لها تيجان عربية .

ولمصر السبق فى التيجان العربية . مبسطة فى الدولة الفاطمية ، مزخرفة .
فى الدولة الأيوبية وفى دولتى المماليك ، ومنها نماذج قيمة تعتبر دعامة للتاج
العربى ، نجدها فى محراب قبة الصالح نجم الدين ، وفى مقصورة الإمام الليث ،
وفى محراب قبة الماس ، وفى مدرسة السلطان حسن ، ومحراب مسجد .
المؤيد شيخ .

كما امتازت^(١) أيضاً بإنشاء مراحيض عامة ، رأيت أحدها فى سوق .
المناديل بحلب ، يرجع لإنشاؤه إلى القرن الثانى عشر الميلادى ، وجدد سنة ٨٧٥٨ .
١٣٥٧م ، ولمدخله مقرنصات دقيقة بدلايات ، ولعل حلب انفردت بهذا
النوع من المنشآت الصحية .

وثمة ظاهرة أخرى فى آثار حلب هى : نقش أسماء الكثيرين من
نوابغ الصنائع على منتجاتهم . فقد وقفنا على أسماء صنّاع ، محراب المدرسة .
الحلوية ، ومنبر الجامع الكبير ، ومحراب مدرسة الفردوس وأشرت إليهم ،
وكذلك نقش بناء منارة الجامع الكبير اسمه عليها بالخط الكوفى بما نصه :
« صنعة حسن بن معاذ السامانى سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة » .

(١) أنظر الصور رقم ٢٧ - ٢٨ .

(٢) الآثار الإسلامية والتاريخية فى حلب للمرحوم محمد أسعد طلس ص ١٢ ، ٩٩ ،

وعلى باب المدرسة الشعبية سنة ٥٣٥ هـ ١١٤٦ م اسم البناء بمأمنه «صنعة
سعيد المقدسى بن عبدالله» .

ونقرأ أيضاً على باب المدرسة الشاذليّة (الشيخ معروف) سنة ٥٨٩ هـ
١١٩٣ م ، وعلى محراب مشهد الإمام الحسين « آخر القرن السادس الهجرى -
آخر الثانى عشر الميلادى اسم البناءين بما نصه « عمل أبى الرجاء وعبدالله ابنى
يحيى الكنانى رحمهما الله » .

العصر المملوكى :

إذا ما استعرضنا آثار العصر المملوكى فى الإقليمين ، نرى التأثيرات كثيرة
للأسباب السابق شرحها .

وما هوذا مدخل المدرسة الظاهرية بدمشق ٦٧٧ هـ ١٢٧٧ م وعليه اسم
مهندس « إبراهيم بن غنيم » يتفق مع مدخل المدرسة الظاهرية بمصر
٦٦٣ هـ ١٢٦٣ م . قبل هدمه

ولما أنشأ الناصر محمد بن قلاوون القصر الأبلق بالقلعة ٧١٣ هـ ١٣١٣ م
قلد فيه القصر الأبلق بدمشق ، وما زالت بقاياها موجودة بالقلعة بأحجارها
الملونة ، ومن هنا تأثرت مباني مصر فى العصر المملوكى بالجمع بين الحجرين
الأبيض والأصفر ، أو الأبيض والأحمر أو الأسود فى مداخل المساجد
بواجهاتها ، وفى تلبيس بدن مناراتها ، وعبر عنه فى الحجج « بالحجر المشتر » .

ولما أنشأ الناصر محمد بن قلاوون مسجده بقلعة (١) الجبل ٧٣٥ هـ ١٣٣٥ م
تأثر تصميم عقودده حول الصحن مع عقود التخفيف فوقها بالعقود حول
صحن الجامع الأموى بدمشق .

ولما أراد الملك الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون إنشاء الدهيشة
بالقلعة فى سنة ٧٤٥ هـ ١٣٤٥ م ، بلغه أن الملك المؤيد عماد الدين صاحب

(١) انظر الصور رقم ٢٩ - ٣٠ .

حماه ، عمر بحماه دهيثة لم بين مثلها ، رغب في مضاهاتها وبعث بالمهندس
أبجيح^(١) لمعاينة دهيثة حماه والاقتباس منها ، وكتب إلى نائب حلب وإلى نائب
دمشق بحمل ألفى حجر أبيض وألفى حجر أحمر من حلب ودمشق إلى
القلعة ، وأمر بإحضار الصناع للعمل .

وعمل في قصر الأمير قوصون سنة ١٣٤٠ هـ ١٧٤٠ م صناع رخام من
الشام ، منهم أحمد^(٢) زغلش الشامي ، نقرأ اسمه مسطوراً إلى الآن على
باب القصر .

وفي متحف الفن الإسلامي مجموعة من الخزف المملوكي موقعة باسم
(الشامي) . كما يوجد به لوح من القاشاني مرسوم عليه الحرم المكي ومشاعر
الحج موقع عليه اسم صانعه « محمد الشامي الدمشقي » سنة ١١٣٩ هـ ١٧٢٧ م .
وباستعراض المداخل في دور القرآن والمدارس والمساجد في دمشق وحلب
في دولتي المماليك ، نجدتها اتفقت رسماً وزخرفاً وتكسية بالرخام ، مع
معاصرتها بالقاهرة ، وهي ما بين مقرنصات بدلايات ، ومنها ماهوبلدي وماهو
حلي ، مزودة الأعتاب تعلوها دوائر أو مربعات ملبسة بالرخام الملون^(٣) .
وكذلك فإن بقايا كسوة الرخام في المحاريب والوزرات بدمشق ، توحى بتوحيدها
في القطرين ، ومنها أيضاً نماذج طريفة في محاريبها ، نراها في محاريب الظاهرية
والأمير تنكز وواجهة التربة الأفريدونية ، والمدارس : الأرغونية والصابونية
والجقمقية بدمشق سنة ٨٢٤ هـ - ١٤٢١ م . وبهذه المدرسة وزرة رخامية دقيقة
مطعمة بالصدف ، وطراز رخامي جمع بين الخطين الكوفي والنسخي في سطر
واحد ، به آيات من القرآن . والجمع بين الخطين الكوفي والنسخي في سطر
واحد أمر نادر سبقت به مصر ، فقد وجدت في طراز رقبة قبة الظاهر برقوق

(١) المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٢١٢ .

(٢) توقيعات الصناع على آثار مصر الإسلامية لحسن عبد الوهاب ص ٥٣٣ مجلة المجمع

العلمي المصري المجلد ٣٦ (١٩٥٣ - ١٩٥٤) .

(٣) انظر الصور رقم ٣١ - ٣٣ .

بخانقاه: فرج بن برقوق ٨٠٣ هـ ١٤٠٠ م سطرًا مكتوبًا فيه. بالخطين (١)
النسخى والكوفي آيات من القرآن وتاريخ إنشاء القبة ، واسم الأمر بإنشائها
والمنفذ لها ، والمهم في هذا الطراز أن التاريخ وما يتعلق به هو الذى كتب
بالخط الكوفي وهو أمر نادر جدا فى دولتى المماليك .

وهنا أنتهز الفرصة لاشيد بمجهود المديرية العامة للآثار والمتاحف فى
إصلاح هذه المدرسة وغيرها من الآثار بدمشق . وخاصة اصلاح الفسيفساء
بالجامع الأموى بدمشق . وأهني السيد مديرها على نجاحه فى جمع شمل بقايا نوابغ
صناع العمارة والفنون ، وتكوين مدرسة منهم . . .

وإذا كانت تفاصيل الرخام الباقية قليلة فى الشام ، فإنها فى آثار القاهرة
الملوكية متوفرة ، ومنها نماذج كثيرة فى الوزرات ، والمحاريب ، والأرضيات ،
والفساقى ومنها الكثير بلغ غاية الروعة فى الدقة وتطعيم الصدف ، وكما وجدت
فسيفساء فى بعض المحاريب الملوكية بدمشق ، فكذلك وجدت بمصر فى المحاريب
الأيوبية والملوكية . ، وقد سبقت الإشارة إليها .

وإذا كانت آثار مصر الملوكية قد وجدت بها محاريب جصية بجانب الرخامية .
مثل محراب قبة أصلم السلحدار سنة ٧٤٥ هـ ١٣٤٥ م ، ومحراب خانقاه أم
أنوك قبل سنة ٧٤٩ هـ ١٣٤٩ م . فقد رأيت منها نماذج قيمة فى جامع
الفسق بحلب سنة ٧٥٠ هـ ١٣٥٠ م .

وإذا كانت مدرسة السلطان حسن ٧٦٤ هـ ١٣٦٤ م قد اشتهرت بطرازها (٢) .
المكتوب بالخط الكوفي المزخرف ، فقد رأيت شيئا له بطراز مسجد يلبغا بدمشق
سنة ٧٤٧ هـ ١٣٤٧ م ، وهو طراز جميل فى زخرفته وقاعدة كتابته الكوفية .
وعلى ذكر الزخارف الجصية ، أذكر أن القاهرة امتازت بوجود ثروة
منها لاتضاهى ، فى الجامع الطواونى ، وفى الأزهر ، وفى المحاريب الفاطمية .

(١) انظر الصور رقم ٣٤ - ٣٥ .

(٢) انظر الصور رقم ٣٦ - ٣٧ .

وفي الآثار الأيوبية والمملوكية ، ويدخل فيها مجموعة الشبايك الحصية البالغة حد الروعة . وكما وقعت على تلك الزخارف تأثيرات أندلسية منذ منتصف القرن الثالث عشر الميلادي ، فقد وقعت كذلك على معاصرتها بدمشق والصلحية .

وفي مسجد الظاهر بيبرس البندقداري بمصر : ظهر عقد لطيف ذو (١) طيات دالية انتشر بعده في مدرسة الظاهر برقوق سنة ٧٨٦-٧٨٨ هـ ١٣٨٤ م ، وفي خانقاه فرج بن برقوق ٨١٣ هـ ١٤١١ م - رأيته أيضاً حول عقد مدخل جامع الفستق . (المدرسة الصاحبية التي أنشأها أحمد بن يعقوب ابن الصاحب) بحلب سنة ٧٥٠ هـ ١٣٥٠ م .

أما أعمال النجارة في هذا العصر فقد سارت جنباً إلى جنب في الإقليمين ، فالمنبر في جامع حماه وعليه اسم صانعه « علي مكى » يطابق صنوه في مصر في مسجد تغرى^(٢) بردى بالصليبية وغيره ، ومنبر الجامع الكبير في حلب ، الأمر بعمله الناصر محمد بن قلاوون في أوائل القرن الثامن الهجري . الرابع عشر الميلادي . وعليه اسم « صانعه محمد بن علي الموصلي » يطابق مثيله المعاصر له في مساجد المارداني سنة ٧٤٠ هـ ١٣٤٠ م ومنجك اليوسفي ٧٥٠ هـ ١٣٥٠ م ، والست حديق سنة ٧٤٠ هـ ١٣٤٠ م بمصر ، وهكذا بقية النجارة في هذا العصر من منابر وأبواب ومقاصير .

وكما وجدت في سوريا منابر رخامية مملوكية ، وجد بمصر أيضاً مثلها في مسجد أق سنقر ، ومدرسة السلطان حسن .

وإذا قارنا المساجد المنشأة على الطراز العثماني في سوريا ومصر ، نجدتها تتفق وتختلف ، تتفق في تصميم بعضها وفي طراز المنارة وتتفق في المنابر^(٣)

(١) انظر الصور رقم ٣٨ - ٣٩ .

(٢) انظر الصور رقم ٤٠ - ٤٣ .

(٣) انظر الصور رقم ٤٤ - ٤٥ .

الرخامية طرزا وزخرفا ، كما يبدو من مقارنة منبرى مسجدى درويش باشا سنة ٩٨٢ هـ ١٥٧٤ م و سنان باشا سنة ٩٩٥ هـ ١٥٨٦ م بدمشق ، بمنبر ومحراب مسجد الملكة صفية بمصر سنة ١٠١٩ هـ ١٦١٠ م ، واتفقا في طراز العقود الموتورة وفي المحاريب والحنايا المسلوقة . وتختلف في بعض التفاصيل .

وكما وقعت على ما أنشئ منها في مصر تأثيرات مصرية من كتابة بالخط الكوفي ، وكسوة الرخام بالمحاريب والوزرات ، كالذى حدث في مسجد سليمان باشا بالقلعة سنة ٩٣٥ هـ ١٥٢٨ م ، فلنبا كذلك في سوريا ، حيث نرى مدخل مسجد سنان باشا بدمشق سنة ٩٩٥ هـ ١٥٨٦ م متأثراً بالعمائر المملوكية وفقط زاد عليها اللوحة القيشانية الجميلة ذات أعواد السرو . وكذلك كتب في قاشاني شعاع الشبايك حول الصحن آية الكرسي بالخط الكوفي المزهر ، وكسى المحراب بأشرطة من الرخام الدقيق ، وفي هذا المسجد أجمل مجموعة من القاشاني الدمشقي .

وامتازت مساجد هذا العصر بدمشق ، بمجموعة القاشاني الدمشقي ، ومنه مجموعة هامة في مساجد درويش باشا سنة ٩٨٢ هـ ١٥٧٤ م ، والسلطان سليمان القانوني ٩٦٨ هـ ١٥٦٠ م ، وسنان باشا ، ووزارة قبة صلاح الدين سنة ١٠٢٧ هـ ١٦١٧ م ، وغيرها (١) .

وكما امتازت دمشق بهذا القاشاني فقد امتازت مساجد وأسبلة ودور مصر في هذا العصر بأكبر وأهم مجموعة من القاشاني التركي (٢) - كوتاهية ورودس - ومنه أكبر وأهم مجموعة في مسجد إبراهيم أغا سنة ١٠٦٢ هـ ١٦٥١ م ، وسيل عبد الرحمن كتنخدا ١١٥٧ هـ ١٧٤٤ م وغيرهما كثير . أما الآثار المنشأة بحلب في هذا العصر فلنبا ما تأثر بالآثار العثمانية مثل مدرسة خسرو باشا والبهرامية ، ومنها ما تابع الطرز السابقة لها ، مثل

(١) الصور رقم ٤٦ - ٤٧ .

(٢) حسن عبد الوهاب - القاشاني في الآثار العربية بمصر . مجلة الهندسة ، أول ديسمبر سنة ١٩٣٤ وفيه إحصاء كامل لجميع الآثار الموجودة فيها قاشاني .

مسجد الطواشى سنة ٩٤٤ هـ ١٥٣٧ م - فإن المدخل حلى بمقرنصات لها دلايات نقشت طاقتها السفلى ، وحلى عتبه بمزرات ، كما حليت أعتاب الشباييك بزخارف جميلة ، وهذا ما حدث فى تكية سليمان باشا بمصر سنة ٩٥٠ هـ ١٥٣٤ م فإن مدخلها وأعتاب شباييكها على طرز العمارة المملوكية فى مصر ، بينما تصميمها الداخلى عثمانى بحت .

على أن أهم ما يسترعى النظر فى واجهة مسجد الطواشى ، تلك العمدة الجميلة فى نواصى الشباييك بقواعدها وتيجانها ، فقد فرغت العمدة من الوسط بأشكال زخرفية ، ومثلها عمدة شباييك تكية المولوية بحلب سنة ٩٢٧ هـ ١٥٢٠ م ، وهذه التكية منارة لطيفة جمعت بين البساطة والجمال جددت سنة ١٢٧٨ هـ ١٨٦١ م ، وهى مثال مبسط لمن يرغب فى إنشاء منارة صغيرة مبسطة .

أما الخانات والأسواق فى دمشق ، وفى حلب فلها المكانة الأولى ، وخاصة حلب ، فإنها منذ القرن السادس الهجرى - الثانى عشر الميلادى استرعت نظر ابن جبير فأطنب فى وصفها ووصف حوانيتها ، وهى أسواق كاملة يرجع الكثير منها إلى القرن السادس عشر الميلادى ، وقد جمعت شتى السلع والصناعات ، تقى قاطنيتها الحر والبرد والمطر ، واحتفظت بجميع تفاصيلها ، وكذلك الخانات فقد بزت خانات مصر الباقية من العصر العثمانى ، مثل خان أسعد باشا العظم بدمشق سنة ١١٦٦ هـ ١٧٥٢ م ، فإنه خان عظيم له مدخل فخيم وعقود شاهقة تعلوها قباب لها مناوور .

وعلى ذكر القباب ذات المناوور^(١) أذكر أن مصر سبقت أوروبا والأقطار الإسلامية بالقباب ذات المناوور فقد بنيت قبة المنوفى ، نهاية القرن^(٢) الثالث عشر الميلادى (بمنور) « قبة صغيرة تعلوها » . وبذلك يكون مهندسها قد

(١) انظر الصور رقم ٤٨ - ٤٩ .

(٢) حسن عبد الوهاب ، دولة المماليك البحرية ، تكملة عصر الناصر محمد بن قلاوون ،

مجلة العمارة العدد ١ - ٢ سنة ١٩٤٢ .

نسبى عصر « برونولسكى » سنة ١٤٢٠م الذى نسب اليه فى وقت ما اختراع هذا النوع من القباب بمدينة البندقية.

وفى حلب خان ، خيربك سنة ٩٢٨ هـ ١٥١٤ م وهو خان كبير يغلق عليه مصراعان مغشيان بالنحاس عليهما رنك المنشىء . كما وجد هذا الرنك على واجهة الخواصل حول الحوش ، والقسم الداخلى الباقى من الخان يطابق معاصريه من مخانات مصر .

أما خان الوزير سنة ١٠٩٣ هـ ١٦٨٢ م فهو أحفل منه ، بل أحفل مخانات حلب وواجهته مكسوة بالرخام الملون ، وله مصراعان من النحاس بهما نخوخ ، كما أن تفاصيل زخارف المدخل الداخلية غاية فى الروعة ودقة النقش فى الحجر حول الشبايك ، ومثله خان الصابون « أزدمر » القرن السادس عشر الميلادى ، فقد حوى من جمال النقش حول الشبايك وحول العقود ، والعمد الصغيرة المفرغة والمنقوشة ، وهذه التفاصيل تميزها على معاصرتها بمصر .

هذا ولا ننسى عظمة الفنادق والمخانات التى كانت بمصر فى القرن الرابع عشر الميلادى مثل خان مسرور ، ووكالة قوصون وغيرهما ، ولا ننسى أهمية مابقى منها من القرن الخامس عشر وأول السادس عشر الميلادى مثل وكالات السلطان قايتباى ، والسلطان الغورى . ولكن مع تفاوت وتنوع عن معاصرتها بدمشق .

أما الدور والقصور ، فى دمشق وحماه وحلب ، فإن لها تصميمها وطابعها وزخرفاً خاصاً ، يغاير دور وقصور مصر ، ولا توجد بينهما تأثيرات .

وإذا كانت دمشق قدامتازت مساجدها القديمة بالمنارات المربعة منذ أقدم عصورها كما نشاهده فى مساجد دمشق والمعرة وحماة وحلب^(١) ، فإن

(١) انظر الصور من رقم ٥٠ - ٥٣ مكرر .

جلب امتازت أيضاً بوجود بعض المنارات المثمّنة الأضلاع والأسطوانية نراها في مسجدى الموازيتي ٥٧٩٧ هـ ١٣٩٧ م، والسفاحية، سنة ٨٢٨ هـ ١٤٦٤ م، وفي جامع الاطروش ٨٠١ - ٨١١ هـ .

وكذلك ظهر بدمشق في القرن الخامس عشر منارات ذات طرز خاص مثل منارتي القلعي وهشام ، فهما أقرب شها بالمنارة المملوكية في مصر .

وامتازت مصر بمناراتها وقبائها الرشيقة الجميلة ، فقد حوت منهما مجموعة لا نظير لها في قطر آخر ، تنوعت مع العصور المتعاقبة عليها ، ومنها منارة الجامع الطولوني المتأثرة بالمنارات الملوية بالعراق ، والمنارات الفاطمية ذات القاعدة المربعة ثم البدن^(١) الأسطواني والخوذة المكورة ، ثم تهذبت في الدولة الأيوبية بكسوة القاعدة المربعة بزخارف جصية فوقها، وزخرفة المثلث أو المسدس فوقها بعقود محارية منقوشة ثم الخوذة المضلعة ، وانتقل هذا الطرز من الآجر إلى الحجر وعلى مقياس أكبر ، وتعددت دورات المنارة من دورة إلى دورتين في مستهل العصر المملوكي ، حيث جمعت بين الحجر والآجر ، مثل منارة خانقاه سلار وسنجر الجاولي سنة ٥٧٠٣ هـ ١٣٠٣ م ثم ضخمت وبنيت كلها بالحجر وتعددت دوراتها إلى ثلاث ، مثل منارة خانقاه قوصون سنة ٧٣٦ هـ ١٣٣٦ م ومسجد منجك اليوسفي ٧٥٠ هـ ١٣٤٩ م وآسنبغا ٧٧٢ هـ ١٣٧٠ م وغيرهم وفي هذا العصر تطورت المنارة وتركزت ، وبلغت ذروتها من الجمال والرشاقة في دولة المماليك الجراكسة ، مثل منارات مساجد : برقوق بالنعاسين سنة ٧٨٨ هـ ١٣٨٦ م ، وفرج بن برقوق بالصحراء ٨١٣ هـ ١٤١٤ م ، والقاضي يحيى بشارع الأزهر ٨٤٨ هـ ١٤٤٤ م ، والمؤيد شيخ ٨٢٣ هـ ١٤٢٠ م وتم رصاص قبل سنة ٨٧٦ هـ ١٤٧١ م . وقايتباي بالأزهر ٨٧٣ هـ ١٤٦٨ م وعمدرسته بقلعة الكيش ٨٨٠ هـ ١٤٧٥ م . وجانم البهلوان ٨٨٣ هـ ١٤٧٨ م ، وأبو بكر ، زهر ٨٨٤ هـ ١٤٨٠ م . وغيرهم كثير^(٢) .

(١) انظر الصور من رقم ٥٤ - ٦٠ .

(٢) انظر الصور رقم ٦١ - ٦٦ .

وفي مستهل القرن السادس عشر الميلادي ظهر نوع من المنارات مربع القاعدة ومزدوج القمة في مسجدى قانيباى امير اخور سنة ٩٠٨ هـ - (١) ٩١١ هـ ١٥٠٣ - ١٥٠٦ م . وفي مسجد الغورى ٩٠٩ هـ ١٥٠٤ ، وفي منارته بالجامع الأزهر ٩١٥ هـ ١٥١٠ م .

هذا التطور في الطرز وفي مادة البناء لازم القبة أيضا . وأصبحت مصر حاوية منها لمجموعة لانظير لها في قطر آخر . وقد سبقت الإشارة إلى قسم منها في العصرين الفاطمى والأيوبي . أما في العصر المملوكى فاذا ذكر على سبيل المثال قبة الخانقاه البندقدارية ٦٨٢ هـ ١٢٨٥ م فقد امتازت بدقة وجمال نقش الجص في رقبها ، وقبة رباط ابن سليمان (٢) ٦٩٣ هـ ١٢٩٣ م الحافلة من الداخل بالزخارف والكتابات الكوفية والنسخية . وامتازت بأن زخارف محرابها لونت وغطيت بالزجاج الرقيق . وهو النموذج الوحيد .

ومن القباب الجميلة قبة زين الدين يوسف (٣) ٦٩٧ هـ ١٢٩٨ م فلها مشحونة من الداخل بالزخارف الجصية . وغيرها مثل قبة تنكربغا ٧٦٤ هـ (٤) ١٣٦٤ م وقبة يونس الدوادار ٧٨٣ هـ ١٣٨١ م .

وفي عصر المماليك الجراكسة بنيت القبة بالحجر ، وتنوعت زخارفها ما بين هندسية ومورقة ، وبلغت ذروة جمالها . ومنها قبة المدرسة الجوهريّة بالأزهر قبل سنة ٨٤٤ هـ ١٤٤٠ م ، وقبة مدرسة الأشرف برسباى بالاشرفية سنة ٨٢٩ هـ ١٤٢٥ م ، وقبة تربته بالقراقة الشرقية سنة ٨٣٥ هـ ١٤٣١ م ، وقبة برسباى البجاسى ٨٦١ هـ ١٤٥٣ م ، وقبة قانصوه أبوسعيد ٩٠٤ هـ ١٤٩٩ م ، وقبة

(١) تاريخ المساجد الأثرية ج ١ ص ٢٨١ .

(٢) مميزات العمارة الإسلامية : بحث ألقيته في مؤتمر الآثار الأول بدمشق سنة ١٩٤٧ .

ونشر في كتاب مؤتمر الآثار في البلاد العربية المنعقد في دمشق صيف ١٩٤٧ ، من

ص ١٧٦ - ١٩١

(٣) انظر الصور رقم ٦٧ - ٧٤ .

(٤) مميزات العمارة الإسلامية - المرجع السابق الإشارة إليه .

قانيباى الرماح سنة ٩٠٨ هـ ١٥٠٣ م وأكتفى عن وصف تفاصيلها بنشر صورها .

*

هذه لمحة عن بعض التأثيرات المعمارية ، بين آثار الإقليمين ومميزاتها .
ولا أستطيع الجزم بوقوف التأثيرات المعمارية عند هذا الحد لسببين :

أولها - أن الآثار في سوريا اندثر الكثير منها ، وضاع الكثير مما بقي منها . ولا يمكن الوقوف على جميع تفاصيلها إلا اذا جمع شتاتها .

ثانيهما - أنه لم يتيسر لي معاينة جميع آثار سوريا والإمام بها المسمى بآثار مصر ، لذلك وعلى ضوء هذا التمهيد المدعم بالصور الفوتوغرافية التي عرضتها والمنشور بعضها ، فلأني أقدم باقتراح عمل سجل تاريخي آثار مصر لآثار الجمهورية العربية المتحدة ، يكون شاملا لجميع الآثار بأنواعها وتفاصيلها . وهو الذى سيوضح ويفصح عن مدى التأثيرات ، وعن مميزات كل إقليم .

الدكتور جمال محرز

٥٠

رَعَايَةُ الْأَشْيَاءِ الْإِسْلَامِيَّةِ

رعاية الآثار الإسلامية

تعتبر مدينة القاهرة متحفاً أثرياً معمارياً بما تحتويه من المباني الأثرية التي شيدت على مر العصور التاريخية لمختلف الأغراض الدينية والمدنية فمنها مساجد ومدارس وأسبلة وكتاتيب وخوانق ووكالات وبهارستانات وأضرحة وحصون وقناطر مياه وقصور ومنازل وحمامات وأحواض لشرب الدواب ويبلغ عدد هذه المباني المسجلة ٥٠٨ بخلاف الموجود منها في الوجه القبلي والبحري وهو ما يقرب من المائتين .

وكان من اللازم أن توجه العناية إلى هذا التراث العظيم لحماية المباني وصيانتها والمحافظة عليها من التلف والدمار ولهذا أنشئت في عام ١٨٨١ لجنة للمحافظة على الآثار العربية تحت رئاسة وزير الأوقاف وبدأت عملها في ١٨٨٢ م .

وبقيت هذه اللجنة تابعة لوزارة الأوقاف حتى عام ١٩٣٦ حيث نقلت إلى وزارة التربية والتعليم (المعارف سابقاً) وأطلق عليها اسم « إدارة حفظ الآثار العربية » ثم ضمت هذه الإدارة إلى مصلحة الآثار عام ١٩٥٣ وفي عام ١٩٥٧ نقلت إلى وزارة الثقافة والإرشاد القومي .

وقد ألقى قانون حماية الآثار على عاتق هذه الإدارة ، أو المصلحة بمعنى أعم ، عبء صيانة هذه الآثار ولم تدخر هذه الإدارة وسعاً ولم تأل جهداً في سبيل النهوض بما فرضه عليها هذا القانون بقدر ما تسمح به طاقتها ، غير أنها تلقى الكثير من المتاعب وتعرضها عقبات تشل من

حركتها وتمنعها من تأدية واجبها على الوجه الأكمل بسبب تعدد الجهات التي تملك هذه الآثار؟ فالمباني الأثرية تتبع عدة جهات . وهذه الجهات هي مصلحة الآثار ووزارة الأوقاف والأهالي .

تملك مصلحة الآثار عدداً قليلاً جداً من هذه الآثار وتقوم بصيانتها هي وغيرها من المباني الأخرى التابعة لوزارة الأوقاف أو المملوكة للمواطنين وتلقى الصعاب كما قلنا في سبيل تأدية رسالتها ولنفصل ذلك مبتدئين أولاً بالمباني المملوكة للأفراد .

فبالرغم مما تقوم به مصلحة الآثار من أعمال الصيانة والترميم وإنفاق الأموال في سبيل ذلك إلا أن هذه المصروفات في كثير من الأحيان تضيع هباء . ولم يقتصر الأمر على هذا بل تعرضت المباني بالرغم من أعمال الصيانة للتلف وفقدان المعالم والمميزات مما أفقدها قيمتها ، والسبب في ذلك هو أن هذه المباني يقطنها أصحابها الذين قد يؤجرونها أحياناً وفي كلتا الحالتين لا تجد المحافظة بل الإهمال والتشويه ، وقد يحدث هذا عمداً بغية إخراج المبنى من عداد الآثار المسجلة ليتسنى للمالك هدم المبنى وبناء مبنى آخر جديد يدر عليه ربحاً جزيلاً ، أو بيع الموقع لنفس الغرض ، وأحب أن أقول إن المصلحة تقف عاجزة أمام أهمال الملاك وتعمدهم تشويه الآثار لأن كل ما تستطيع أن تفعله هو رفع الأمر إلى القضاء وهذا طريق طويل لايسعف ولا ينقذ الأثر .

ولذا أقترح أن تقوم مصلحة الآثار بشراء هذه المباني الأثرية من أصحابها وبصفة خاصة المباني الهامة منها .

وهناك مسألة هامة يصح أن تعرض على حضراتكم لأنها في الواقع نحتاج إلى حل يكفل صالح الملاك والصالح العام معاً . ذلك أن المسجل من بعض هذه المباني هو الواجهة فقط لما قد تحتويه من عناصر زخرفية . أما بقية المبنى فغير مسجل يستطيع المالك أن يتصرف فيه دون الرجوع إلى مصلحة الآثار غير أن تسجيل الواجهه يمنع من الانتفاع بملكه .

والاحتفاظ بالواجهات على هذا النحو والسماح للمالك بهدم ماعداها .
أمر يبدو غريبا وقد لا تنسجم الواجهات القديمة مع المباني الحديثة . وفي رأبي
أن نقل الواجهة إلى متحف يعد خصيصاً للعمارة الإسلامية يمكننا من
الاحتفاظ بها ويساعد المالك على الانتفاع بملكه على ما يجب .

وأقترح أن يقام هذا المتحف على أرض مدينة القسطنطينية وهذا يوفر
للدولة ثمن الأرض ، ويعاد بناء الواجهات أو المباني الأثرية كواجهات
الأسبله أو غيرها التي يتعذر نقلها في عمليات إعادة تخطيط المدينة ، وسيان
نقل الأثر من مكانه إلى موقع آخر بالمدينة أو إلى متحف ، وأرى أن متحفاً
كهذا يساعد كثيراً على دراسة تطور العمارة الإسلامية . وأذكر في هذا
الصدد أن كثيراً من الدول الأوروبية قد نقلت واجهات المباني الأثرية
وبعض المباني نفسها إلى متاحف ، ويكفي هنا أن أشير إلى نقل واجهة قصر
المشتي إلى متحف برلين . وهذا فضلاً عن أن إنشاء متحف كهذا في
القسطنطينية سيكون له أثره في إحياء هذه المدينة ويكمل مشروع وزارة
الثقافة والإرشاد القومي الذي يهدف إلى جعلها منطقة سياحية .

وتأتى بعد ذلك وزارة الأوقاف فهي بالرغم من أنها المالكة لأكثر
المباني الأثرية وتوثر بعضها وتستولى على قيمة الإيجار وربح ما أوقف عليها
إلا أنها للأسف الشديد لم تعد تسهم في أعمال الصيانة والترميم بل يقع هذا
العبء على كاهل مصلحة الآثار وحدها .

وتأجير المباني الأثرية يثير كثيراً من المتاعب لمصلحة الآثار ؛ لأن
المستأجر لا يهتم إلا بمنفعته الخاصة ويضرب بالصالح العام عرض الحائط ،
ولا يهتم إطلاقاً بالآثار وماله من قيمة تاريخية وأثرية ، فكثيراً ما يسعى
استغلاله ويغير معالمه وإذا تعرضت له مصلحة الآثار كان رده أنه استأجر
المبنى من وزارة الأوقاف . وفي كثير من الأحيان يتم التأجير دون الرجوع
إلى مصلحة الآثار واستشارتها ؛ بل إن هذه المصلحة قد تتخذ إجراء

بإخراج مستأجر ما من أثر معين فيذهب إلى وزارة الأوقاف فتعيده إلى المبنى ولو أدى ذلك إلى كسر الأقفال التي تضعها مصلحة الآثار ، وما لاشك فيه أن وزارة الأوقاف تفعل ذلك لأنها هي المالكة للأثر وترى أنها صاحبة الحق في التصرف .

ولما كانت مصلحة الآثار هي المسئولة عن سلامة الأثر كان من الواجب ألا يتم شيء من هذا دون الرجوع إليها ، وأن تكون لها الكلمة الأولى والأخيرة في مثل هذه المسائل ، وفي رأي أن الحل السليم هو نقل ملكية الآثار من وزارة الأوقاف إلى مصلحة الآثار .

وربما كان ذلك الأمر متعذراً من قبل لأن هذه المباني موقوفة ووزارة الأوقاف هي المشرفة على شئون الأوقاف ، أما وقد صدر قانون حل الأوقاف فقد أصبح الأمر من السهولة بمكان ، إذ مما لاشك فيه أن بعض هذه المباني إن لم تكن الغالبية العظمى منها ، قد آلت ملكيتها نهائياً إلى وزارة الأوقاف ، وسيان أن يكون الأثر تابعاً لوزارة الأوقاف أو مصلحة الآثار طالما أنه أصبح ملكاً للدولة . أما المباني التي ستؤول إلى أفراد بمقتضى قانون حل الأوقاف فيمكن شراؤها من ملاكها .

ومما يؤسف له أن حالة المباني الأثرية الإسلامية تحتاج إلى مزيد من العناية والرعاية من الحكومة وتوفير المال اللازم لأعمال الترميم والإصلاح والصيانة ، لأن الاعتماد المخصص ومقداره ٢٠ ألف جنيه سنوياً لا يكفي ، وإذا ما أردنا أن نعيد هذه المباني إلى حالتها التي كانت عليها فإن ذلك يستلزم ما يقرب من ١٠ ملايين من الجنيهات ، وهو مبلغ ضخم كما نرى قد لا يتيسر تدبيره في هذا الوقت الحاضر بجانب المشروعات الحيوية التي تنهض بها الحكومة ، ولكننا على أية حال في حاجة إلى زيادة الاعتماد المخصص لأعمال الترميم وزيادة كبيرة ، ونرجو أن تسهم وزارة الأوقاف في دفع بعض نفقات الإصلاح كما كانت تفعل من قبل .

بقى بعد ذلك مسألتان تدخلان في اختصاص مصلحة الآثار وتعلقان
برعاية المباني :

أولى هذه المسائل تتعلق بتنفيذ أحكام قانون حماية الآثار وهو منع
الاعتداء على الآثار وإزالة الإشغالات المتنوعة ، وإنى أقرر هنا أن مصلحة
الآثار بوضعها الراهن تعجز في كثير من الأحيان وتلتجئ إلى القضاء وهو
أمر لايسعف في هذه الأحوال ، ولن يتيسر النهوض بهذه الأعمال إلا بتخصيص
قوة من رجال الشرطة خاصة بمصلحة الآثار يكون لها السطة المطلقة في
إزالة الإشغالات في الحال . ومن الممكن أن ينحصر جانب من رجال شرطة
البلدية لمثل هذا العمل تحت إرشاد مفتشى مصلحة الآثار إن تعدد إمداد
المصلحة برجال شرطة خاصين بها .

والثانية نظافة المباني الأثرية ، وهي مسألة على جانب كبير من الأهمية
إذ أننا نحب أن تظهر آثارنا نظيفة ولكن طاقات المصلحة عاجزة
عن تحقيق ذلك فضلا عن أنها لا تلقي المعونة الكافية من البلدية ، وأضرب
مثلا بحالة مبنى أثرى تجمعت بداخله القمامة التي تلقى من المنازل المحيطة به
وطلبت مصلحة الآثار من البلدية اتخاذ اللازم لتنظيف المبنى فاعتذرت بعدم
توافر الوسائل اللازمة ، وامتنعت عن تحرير المحاضر للسكان لأنه ليس
من عملها وكذلك اعتذر رجال الشرطة لأنه ليس من عملهم .

لذلك لن يتيسر نظافة الأماكن الأثرية وما يحيط بها إلا بتخصيص فرق
خاصة للنظافة تحت إشراف مصلحة الآثار .

•

سادتي تلك هي الحالة الراهنة فيما يتعلق برعاية الآثار وإنى لأمل أن
تحظى مقترحاتي بموافقتكم .

المهندس محمد عبد الفتاح

٦ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ترميم الآثار

الآثار في كل أمة عنوان مجدها وتراث الأقدمين من أبنائها ، لذلك كانت العناية بها وصيانتها والمحافظة عليها ، من أهم الأمور التي أحلتها الأمم محل الرعاية والتقدير .

ويرجع اهتمام الإقليم المصري بالآثار إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ففي سنة ١٨٥٨ صدر قرار بجمع الآثار المصرية وتخصيص مكان لها في بولاق على ضفاف النيل ، وكان أول متحف حفظت فيه الآثار المصرية - وفي سنة ١٨٩٧ صدر أمر عال بشأن حماية الآثار ، وفي سنة ١٩١٢ صدر القانون رقم ١٤ الخاص بالآثار المصرية وحدد فيه حماية الآثار الفرعونية والآثار اليونانية والرومانية وما هو مهجور وغير مستعمل من الكنائس والأدبرة القبطية وما إلى ذلك من أسوار مدن وبيوت وحمامات .

أما الآثار الإسلامية فيرجع الاهتمام بصيانتها وترميمها وجمعها والمحافظة عليها إلى سنة ١٨٨١ ذلك العام الذي صدر فيه قانون بتشكيل لجنة حفظ الآثار العربية ، وقد حدد هذا القانون اختصاص هذه اللجنة في جرد وحصر الآثار العربية التي تكون فيها فائدة صناعية أو تاريخية ، وفي صيانة تلك الآثار ورعاية حفظها من التلف وعمل الرسومات والتصميمات للترميمات اللازمة لها وملاحظة تلك الترميمات .

ويرجع الفضل في توجيه الأنظار إلى العناية بالآثار القبطية إلى المرحوم مرقص سميكة فهو أول من عنى بالآثار القبطية وعمل على صيانتها وجمع طرفها ، وهو الذي أنشأ المتحف القبطي بمصر القديمة سنة ١٩١٠ .

وفي سنة ١٩١٨ صدر القانون الخاص بحماية آثار العصر العربي الذي نص على حماية الآثار العربية منذ فتح العرب لمصر إلى وفاة محمد علي مما له قيمة فنية أو تاريخية باعتباره مظهراً من مظاهر الحضارة الإسلامية أو الحضارات المختلفة التي قامت على سواحل البحر الأبيض المتوسط وكانت لها صلة تاريخية بمصر ، وكذلك كل ما له قيمة تاريخية أو أثرية من الأديرة والكنائس القبطية المعمورة التي تقام فيها الشعائر الدينية والتي يرجع عهدها إلى المدة المنحصرة بين أوائل الدين المسيحي وبين وفاة محمد علي .

وظل العمل سائراً بقانون سنة ١٩١٢ فيما يتعلق بالآثار المصرية وبقانون سنة ١٩١٨ فيما يتعلق بالآثار العربية إلى أن صدر القانون رقم ٢١٥ لسنة ١٩٥١ الذي شمل حماية الآثار جميعها في مختلف عصورها إلى نهاية عصر إسماعيل وهو القانون الجاري العمل به إلى الآن . إلا أنه قامت لجنة مشكلة من رجال الآثار في الإقليمين الشمالي والجنوبي للجمهورية العربية المتحدة بوضع مشروع قانون موحد لحماية الآثار في الإقليمين .

•

تنقسم الآثار إلى آثار ثابتة وآثار منقولة ، فالآثار الثابتة قصدتها الأبنية باختلاف أنواعها كالمعابد والأديرة والكنائس والمساجد وأسوار المدن والاستحكامات والبيوت والحمامات والوكالات ، وأما الآثار المنقولة فهي القطع الأثرية المصنوعة من الذهب أو الفضة أو النحاس أو من الزجاج والخزف أو المصنوعة من الأحجار أو الرخام بأنواعه أو من الخشب والسن والأبنوس وما إلى ذلك وكذلك اللوحات الفنية .

والقاعدة العامة في ترميم الآثار الثابتة هو دعم القسائم من الأثر فقط "Up Keeping" دون تكملة الفاقد منه ، وهذه القاعدة يجب اتباعها في الآثار المهجورة خارج المدن إلا أنه في بعض الحالات يكون جزء من الأثر مهدماً ومحتفظاً بأحجار هذا الجزء ففي هذه الحالة يمكن إعادة الجزء المهدم إلى

ما كان عليه بأحجاره القديمة ، والدعم عادة يكون بتقوية الأساسات بعد صلب المباني القائمة على سطح الأرض أو بحقنها بالموثة أو بغير ذلك حسب حالة الأثر وطبيعته .

أما الآثار الواقعة في المدن وخصوصاً الأبنية الدينية المقامة فيها الشعائر كالمساجد والكنائس فلا اعتراض على إصلاحها إصلاحاً شاملاً وتكملة الفاقد منها "Restoration" والعودة بها إلى سابق مجدها وذلك في حدود شروط معينة بأن يكون لدى المهندس الآثارى من المستندات ما يجعله واثقاً تماماً من أن إصلاح الأثر وتكملة سيأتي مطابقاً للأصل تماماً ، ومن هذه المستندات بقايا مبعثرة هنا وهناك ، رسوم وصور قديمة : ونصوص تاريخية واقتباس من آثار معاصرة ، ومن الآثار التي أصلحت وأعيدت إلى أصلها مسجد الصالح طلائع ، وقبة قلاون ، ومسجد المارداني ، وخانقاه فرج برقوق ، ومسجد الأشرف برسباي بالخانكة ، وكنيسة أبي سيفين ، وكنيسة الأنبا شنوده ، وغيرها .

وما ينطبق على الأبنية في المدن من حيث إصلاحها وتكملة الفاقد منها يمكن تطبيقه على الأبنية المدنية كالمنازل والوكالات والأربطة وذلك لإبرازها كنماذج لطراز ، وتخطيط هذا النوع من الأبنية في العصور القديمة وأيضاً لاستخدامها في الغرض الذي أنشئت من أجله ، ولدينا أمثلة على ذلك منزل السحيمي ، ومنزل جمال الدين الذهبي ، ومنزل الكريتلية وآمنة بنت سالم ، ووكالة قايتباي ووكالة الغوري .

وفي بعض الحالات يجد المهندس الآثارى نفسه مضطراً إلى فاك جزء هام من الأثر وإعادة بنائه وذلك لتحلل أو تصدع طراً عليه ولا يجد من الوسائل الهندسية ما يساعد على علاج هذا التحلل مع بقاء الأثر قائماً كما حدث في مسجد محمد علي بالقلعة إذ ظهرت شروخ خطيرة في أرجل العقود الكبيرة الحاملة لقبابه رثي معها استحالة إصلاح التصدع دون الالتجاء إلى الهدم ، فقررت اللجنة المشكلة لدراسة حالة المسجد ووضع مشروع لإصلاحه

هدم قبابه وإعادة بنائه ثم إعادة زخارفها ونقوشها طبقاً لقديمها . وكما حدث أيضاً في بعض المآذن التي ظهر بها ميل شديد هدها بالسقوط مما أدى إلى ضرورة هدمها وإعادة بنائها كما حدث لمئارة مسجد صرغتمش ، ومثدنة مسجد أبي العلا ، ومثدنة مسجد البردني .

وفي كل هذه الحالات يجب اتخاذ الخطوات الآتية :

أ - إعداد رسوم هندسية كاملة للأثر (مساقط وقطاعات وواجهات وتفاصيل) :

ب - عمل مجموعة من الصور الفوتوغرافية للأثر في اتجاهاته المختلفة ولكل جزء من أجزائه وتكبيرها بالمقاسات المطلوبة .

ج - ترقيم أحجاره بمادة يسهل إزالتها دون أن تترك أثراً وتوقيع هذه الأرقام على الرسم المعد لذلك .

د - فحص مادة البناء كيميائياً حتى يمكن تقوية الجزء الضعيف قبل فكّه .

هـ - وبعد ذلك يشرع في فك الأحجار مدمكاً مدمكاً بكل حرص ودقة ، ويغلف كل حجر حتى ينزل سليماً إلى المكان المعد لرصه فيه بنظام تام .

و - بعد عمل أساسات جديدة يعاد البناء بعناية بنفس الأحجار المفككة والاستعاضة عن الأحجار المتآكلة بأحجار جديدة من نوع الحجر القديم وذلك في أضيق الحدود .

ي - يجب إعادة استخدام مواد البناء القديمة سواء الأحجار والأخشاب والرخام وغيرها بعد تقويتها وإصلاحها كيميائياً وصناعياً .

وفي بعض الحالات يتطلب الأمر نقل الأثر من مكانه لدواعي التعمير في المدينة كتوسيع شارع فيها أو لأسباب أخرى، وفي كل هذه الحالات يجب اتباع نفس الخطوات الموضحة فيما سبق . ومن أمثلة الآثار التي نقلت من أماكنها ؛ زاوية فرج بن برقوق ، وتكية المغربي ، وسبيل الست . صالحة بالقاهرة ؛ وأخيراً معبد دابود وقرطاسي وطافه التي نقلت من منطقة بلاد النوبة التي ستغمرها المياه نتيجة لبناء السد العالي .

وبهذه المناسبة نأمل أن تستجيب السلطات المختصة لما أوصت به اللجنة . التي شكلها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب من المحافظة على الطابع القديم لمدينة القاهرة بتحديد المناطق الواجب الإبقاء عليها دون أن يتناولها أي تعديل أو تخطيط جديد، وفي هذه الحالة قد لا نلجأ إلى نقل أثر من مكانه إلا في النادر القليل .

هذا سرد للحالات التي تصادف المهندس الآثارى أو جزئها فيما تقدم ، إلا أني أريد أن أنبه إلى أن لكل أثر ظروفه وخصائصه التي تتطلب من المهندس بحثاً ودراسات مستفيضة قبل أن يقرر بشأنه العلاج الصحيح . الواجب إجراؤه له .

والآثار بصفة عامة يعثرها التلف والانحلال نتيجة عوامل كثيرة أهمها القدم والتقلبات الجوية وتغير طبيعة الأرض المقامة عليها مما يؤدي إلى تآكل بعض أحجارها كأن يحدث تآكل وتساقط أجزاء من كسوتها الرخامية ، أو عطب في أخشابها ، أو تلف وتحلل في شبابيكها الجصية أو زخارفها ونقوشها .. ويتضافر في علاج هذه الحالات المهندس المعماري والمرمم الكيميائي . والصناع الإحصائيون لذلك فإن الاهتمام بتهيئة هذه الفئات وتدريبها وتوفير الحياة الكريمة لها من الأمور التي يجب أن تكون محل عناية الدولة وموضع تقديرها .

والمشكلة القائمة الآن في الجمهورية العربية المتحدة هي قلة هذه الفئات . من المختصين ومنهم من أوشك على الانقراض . ففي الخمس والعشرين سنة

الأنخيرة اتجه عدد قليل من المهندسين العرب إلى دراسة الآثار ، منهم من يعمل الآن في الجامعات ومنهم من يعمل بمصلحة الآثار بالإقليم الجنوبي والبعض الآخر يعمل في مصالح مختلفة . كما أن هناك أيضاً عدداً قليلاً من المهندسين المدربين الذين قضوا سنى حياتهم في ممارسة ترميم الآثار واكتسبوا خبرة فيها ، وللأسف لن تمضى خمسة أو ستة أعوام إلا وتنتهى خدمة الكثير منهم دون أن نعد من يحل محلهم إذ انقطعت دراسة المهندسين للآثار منذ أن أغلق معهد الآثار بكلية الآداب بجامعة القاهرة أبوابه أمام الراغبين في دراسة هذا العلم .

وما يقال عن المهندسين يقال عن المرممين فعددهم قليل جداً ومنهم من حرس في الخارج ومنهم من اكتسب خبرة عظيمة من عمله في ترميم الآثار . سنين طويلة وهؤلاء أيضاً أوشكوا على الزوال دون اتخاذ خطوات إيجابية لعلاج هذه الحالة .

أما الصناع الإخصائيون الذين ورثوا الصناعات المختلفة عن آبائهم وأجدادهم ، فهؤلاء أصبحوا يعدون على أصابع اليد الواحدة وانقراضهم أصبح وشيك الوقوع وقد أدركنا صفوة ممتازة من هؤلاء الصناع اضطرت الكثير منهم إلى الاتجاه إلى الأعمال الحديثة سعياً وراء رزقهم . وقد بذلت إدارة حفظ الآثار العربية منذ سنوات جهداً كبيراً في رعاية هؤلاء الصناع وتهيئة وسائل الرزق أمامهم وذلك للاحتفاظ بهم وتشجيعهم على تدريب أبنائهم إلا أن الاعتمادات واللوائح المالية كانت تقف في سبيلها وكثيراً ما نادينا بتدارك الأمر كما نادى به الأستاذ حسن عبد الوهاب في مؤتمر الآثار في دمشق وفي بغداد ويتخذ المؤتمر في كل مرة قراراً بالتأييد والموافقة .

ومنذ أن توليت أمر مصلحة الآثار بالإقليم الجنوبي لم أقف مكتوف اليدين أمام هذه الحالات بل عملت على إيجاد حل لكل منها فاقترحت منذ سنتين تقريباً إيفاد اثنتى عشرة بعثة إلى الخارج من الشبان الأثريين خريجي قسم الآثار بكلية الآداب والمهندسين والكيميائيين والمرممين كدفعة أولى لتأهيلهم للعمل بمصلحة الآثار لسد الفراغ الذى أشرت إليه فيما تقدم

وقد وافقت وزارة الثقافة والإرشاد القومي على هذا الاقتراح واستجابت إليه وزارة التربية والتعليم بعد أن اختصرت العدد المطلوب إلى أقل من النصف .

إن ترميم الآثار بأنواعها المختلفة وتهيئة المتخصصين فيه هو في نظري أهم من الحفر والتنقيب إذ الأولى للآثار أن تبقى مطمورة في باطن الأرض من أن تخرج منها ولا تجدد من يرممها ويصونها ويحفظها ، لهذا غلاني أرى الأخذ بالاقتراحات الآتية والعمل على وضعها موضع التنفيذ العاجل : -

١ - الاستمرار في سياسة إرسال بعثات من الشبان الأثريين من خريجي قسم الآثار بكلية الآداب من المشهود بكفائتهم وحبهم للآثار وشغفهم بها ليتخصصوا في فروع الآثار المختلفة .

٢ - إرسال مهندسين معماريين يختارون من بين خريجي كليات الهندسة وكلية الفنون الجميلة ممن لهم ميل خاص للآثار لدراسة هندسة الآثار (الترميم المعماري) نظرياً وعملياً .

٣ - إرسال مرممين من خريجي أقسام الزخارف والنحت بكلتي الفنون الجميلة والفنون التطبيقية ليتدربوا على أعمال ترميم الآثار وأقصد بالآثار هنا الطرف الأثرية بأنواعها المختلفة واللوحات الفنية والزخارف والنقوش وعمل النماذج وما إلى ذلك .

٤ - إعادة إنشاء معهد الآثار على أن تتعدد فيه برامج الدراسة فيكون فيه إلى جانب دراسة علم الآثار والتاريخ دراسة هندسة الآثار (الترميم المعماري) ، ودراسة ترميم الآثار ، ومبادئ الكيمياء ومبادئ الرسم الهندسي ، والرسم الزخرفي للأثريين ، ويجب أن تكون للدراسات العملية نصيب وافر في هذه البرامج ، كما تجب العناية باختيار هذه الفئات ممن تتوافر لديهم الرغبة الأكيدة في هذه الدراسات .

أما الصناعات القديمة من نجارين وخرافين ومرخين ومزخرفين وهم الذين ورثوا هذه الصناعات عن آبائهم وأجدادهم ونبغوا فيها لحبهم لها وشغفهم بها وعملهم المتواصل فيها سنين طويلة فقد أصبحوا قلة أوشكت على الانقراض لذلك كان على الدولة واجب رعايتها لهم لإحياء لهذه الصناعات ومنعاً لها من الاندثار ، ولايتأتى هذا إلا بأن تقوم مصلحة الآثار بجمع هؤلاء الصناع وعددهم قليل كما ذكرت وتعينهم بها بأجور مجزية وتسند إليهم أعمال ترميم وإصلاح الآثار بمختلف أنواعها كل في حدود اختصاصه وتكليفهم بتدريب أبنائهم أو من يتوسمون فيهم الرغبة في ممارسة هذه الصناعات من الصبية الصغار . هذا حل ، وحل آخر أن تسند إليهم المصلحة هذه الأعمال دون التقيد بالمناقصات والممارسات وبذلك تفتح لهم سبل الرزق وتشجعهم على الاستمرار في العمل بالصناعات التي حلقوها . وفي زيارتي الأخيرة لدمشق شاهدت الحالة الأولى مطبقة في المتحف القومي بها .

وهناك ناحية أخرى يجب أن نلفت إليها النظر ، ففي مصلحة الآثار ومركز تسجيل الآثار فئة من المرممين ولو أنها قليلة العدد إلا أنها فئة ممتازة. برزت في ترميم الآثار وانتزعت إعجاب كل من شاهد أعمال الترميم التي قامت بها من أجانب وغير أجانب ، فياحبذا لو تدرب مع هؤلاء المرممين شبان في مستقبل العمر وتعلموا عليهم . وأذكر على سبيل المثال المرمم الأستاذ أحمد يوسف فهو نفسه مدرسة قائمة بلداتها يستطيع في هذا المضمار أن يسدى للآثار خدمات جليلة .

عَمْرٍو رَضَا كَيْفَ نَالَهُ

—٧—

الْمَعْجَمُ الْبَارِزُ خَيْمَةُ وَالْأَثَرِ

المعجم اللساني التاريخي والأدبي

أصبح الباحثون اليوم في تاريخ العرب والإسلام أمام أمرين ، إما أن تهمل تلك البحوث لوعورة سبلها وتشتت موضوعاتها في مختلف الكتب المطبوعة والمخطوطة ، وإما أن تبحث غالباً بحثاً غير مجد يعوزه كثير من أصول البحث والدرس .

ولهذا يجدر بالباحثين أن يلجشوا إلى وضع معاجم في التاريخ والآثار ، تسهل للدارس مهمته وترشده إلى الطريق السوي ، وبذلك نحافظ على تراثنا الزاخر بأنواع العلم والأدب والفن والسياسة والحرب الخ ... فنسهم في تطور تاريخ العرب والإسلام والنهوض به من كبوته إلى أوج العز والازدهار أسوة بأسلافنا الذين قاموا بقسط وافر من العناية بهذا التاريخ فألفوا المعاجم في تراجم المحدثين والمفسرين والفقهاء والأطباء والأدباء والنحاة والحكماء وغيرهم أمثال ابن سعد كاتب الواقدي ، والخطيب البغدادي ، والسمعاني ، وابن عساكر ، وابن أبي أصيبعة ، وابن خلكان ، والذهبي ، والصفدي ، وابن حجر العسقلاني ، والسخاوي ، والنجم الغزي ، والحبي ، والشوكاني ، والمرادي ، وغيرهم ..

وبالرغم من الفوائد الجليلة التي أدتها هذه المعاجم ، فإنها تحتاج إلى تطور يتناسب مع هذا العصر ؛ فكثير منها ينقصه الترتيب المعجمي التام ، فابن خلكان في وفيات الأعيان ، والحبي في خلاصة الأثر ، والمرادي في سلك الدرر ، وغيرهم اقتصروا على اسم المترجم ولم يعتبروا اسم أبيه وجده في الترتيب .

وأما مصنفو الطبقات ، فابن أبي أصيبعة ذكر في طبقاته ، عيون الأنباء ،
الأطباء حسب عصورهم ثم ذكرهم حسب بلدانهم ، وأما الفراء والسبكي
وابن قُطُلُوبُغا وسواهم فقد رتبوا المترجمين حسب طبقاتهم مع مراعاة
كثير منهم للترتيب المعجمي للطبقة للمترجمة .

ومن المصنفين في التراجم ، من صنف التراجم حسن الدول مثل الكندي
في كتابه الولاة والقضاة ، وأما ابن عساكر في تاريخ دمشق ، وابن حجر في
تهذيب الكمال في معرفة الرجال والشوكاني في البدر الطالع وغيرهم ، فقد راعوا
غالباً اسم المترجم واسم أبيه .

وأما المصنفات التي تعتبر من كتب الخطط والآثار كالمواعظ والاعتبار
للمقرئزي ، والدارقطني في المدارس للنعماني ، فقد وردت في الأول المباحث
حسب أنواعها بدون مراعاة للترتيب المعجمي ، وأما الثاني فقد راعى مؤلفه
ترتيب الحروف الأولى فقط .

ومن المعاجم التي ألفت في العصر الحديث ، الدر المشهور في طبقات ربات
الحدور لزَيْنَب فواز ، ترجمت فيه لعدد من شهيرات النساء العربيات والغربيات
ورتبتهن على حروف المعجم وخالفت هذا الترتيب أحياناً .

ومنها معجم الأطباء من سنة ٦٥٠ هـ إلى يومنا هذا لأحمد عيسى ، ذيل به
على عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ورتبهم على حروف
المعجم ، وذكر النسبة والشهرة للمترجم وأحال على اسمه .

ومنها حلية البشر في تراجم القرن الثالث عشر لعبد الرزاق البيطار ،
فقد ترجم فيه مشاهير هذا القرن ورتبهم على حروف المعجم وشد أحياناً
في بعض التراجم عن هذا الترتيب .

ومنها روض البشر في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر لمحمد جميل
الشطبي ، فقد ترجم لهؤلاء ورتبهم حسب اسم المترجم فقط .

وقد نشط بعض الباحثين المعاصرين ، فألفوا بعض المعاجم التاريخية كالأعلام للزركلى فى عشرة أجزاء وهو قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، وقد اقتصر المؤلف فى الترتيب المعجمى على اسم المترجم وأبيه ، واعتبر تاريخ الوفاة للتقديم والتأخير يعد اسم أبيه ، كما أثبت الشهرة التى عرف بها المترجم وأحال على الاسم .

كما أن كاتب هذه السطور قد صنف أعلام النساء فى عالمى العرب والإسلام فى خمسة أجزاء ، ثم أعقبه بمعجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، فمعجم المؤلفين وقد صدر منه اثنا عشر جزءاً ، وسيتم إن شاء الله فى خمسة عشر جزءاً وقد رتبنا هذه المعاجم على حروف المعجم فراعينا فى الترتيب اسم المترجم فاسم أبيه فجده الخ ... وقد أثبتنا فى صلب كل مادة المصادر التى اعتمدنا عليها من مخطوط ومطبوع ومجلة وجريدة ، وقد جعلنا لمعجم المؤلفين فهرساً خاصاً للنسب والكنى والألقاب التى عرف بها أصحابها ، فأحلنا على اسم المترجم مع رقمى الجزء والصفحة .

•

وبهذه المناسبة أقترح أن يتفرغ بعض العلماء من المؤرخين فى الإقليمين المصرى والسورى وأن تبذل لهم المعونة المادية والمعنوية ليتمكنوا من البحث والتنقيب والتأليف كى يشرفوا على وضع المعاجم التاريخية والأثرية ، العربية والإسلامية ، التى أقترح تأليفها وهى :

- ١ - معجم للملوك والأمراء والولاة .
- ٢ - معجم لقواد الجيش .
- ٣ - معجم للقضاة والفقهاء .
- ٤ - معجم للأطباء والصيادلة .
- ٥ - معجم للرياضيين والفلكيين والطبيين .
- ٦ - معجم للفنانين والمغنين .

- ٧ - معجم للأدباء والكتاب والشعراء .
- ٨ - معجم للفلاسفة والحكماء .
- ٩ - معجم تاريخي للبلدان العربية .
- ١٠ - معجم تاريخي للأمكنة في الإقليم المصري .
- ١١ - معجم تاريخي للأمكنة في الإقليم السوري .
- ١٢ - معجم للأبنية الأثرية في الإقليم المصري .
- ١٣ - معجم للأبنية الأثرية في الإقليم السوري .
- ١٤ - معجم للمعارك الحربية .
- ١٥ - معجم للاصطلاحات التاريخية .
- ١٦ - معجم للاصطلاحات الأثرية .

ويستحسن في تأليف هذه المعاجم أن تؤلف لجنة رئيسية تشرف على نشرها ويعهد إليها الاتصال بأهل البحث والأخصائيين لكتابة مباحثها وأن تذيّل هذه المباحث بالمصادر والمراجع المختلفة من كتب مخطوطة ومطبوعة. ومجلات ووثائق وصحف في اللغات المختلفة يرجع إليها الباحث في دراساته .

الدكتور نبیه عاقل

— ٨ —

الملائیس فی الغصیر الامویّ وقایموس وزی

الملابس في العصر الأموي وقاموس دوزي

كان نصيب تاريخنا الاجتماعي من جهد المؤلفين المحدثين في التاريخ نصيباً متواضعاً ، لاسيما إذا قدرنا بالجهد الذي بذله هؤلاء المؤلفون في استجلاء غوامض تاريخنا السياسي . لذا بقي الكثير من قضايا هذا التاريخ معلقاً أو مهملاً ينتظر يد الباحث الذي يملك من الصبر ما يعينه على السير في دروب البحث الطويلة . ولعل أهم العراقيل التي وقفت في سبيل دراسات التاريخ الاجتماعي هو قلة المصادر التي تهيئ المادة الأولية للباحث واضطراره للاعتماد على معلومات غير مباشرة مبثوثة في ثنايا أخبار وروايات لم يقصد أصحابها من روايتها إشباع نهْمنا إلى معرفة حياة المجتمع أو نوعية طعامه ولباسه . وبكلمات قليلة ليس لتاريخنا الاجتماعي حولية كحولية الطبرى مثلاً تزود الباحث بمادة لا بد له منها في بحثه .

من مواد تاريخنا الاجتماعي التي لم تحظ بقسط كاف من دراسات المؤرخين المحدثين موضوع الملابس . وإذا استثنينا قاموس دوزي R. Dozy Dictionnaire des Noms des Vêtements chez les Arabes الذي سنعود للحديث عنه عما قليل ، لما وجدنا سوى كتاب ماير L.A. Mayer (Mamluk Costume (Genève, 1952) الذي يبحث في الثياب في العصر المملوكي بحثاً فيه كل ما يتطلبه تلميذ التاريخ الاجتماعي ، ومقالات ر . ب . سارجنت عن الأقمشة والمنسوجات التي لها نفس القيمة العلمية . هذا طبعاً إلى جانب الإشارات والمعلومات غير المباشرة التي تتعلق بموضوع الملابس والتي نجدتها في بحوث ومؤلفات أخرى .

ومعجم دوزى ، الذى هو المصدر العام الوحيد لموضوع الملابس فى العصور الأولى من تاريخنا ، معجم قديم وناقص ولا يخلو من أخطاء . لقد ألف هذا المعجم ، كما هو معلوم ، فى نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر (١٨٤٥) واعتمد صاحبه فى جمع مادته على معاجم اللغة ولم يستعمل ماتقدمه كتب الأدب والتاريخ من مادة تتعلق بالموضوع . ولأقدم مثلاً على نوعية الأخطاء التى يقع فيها دوزى فى قاموسه عن الملابس . يقول الأعشى فى إحدى قصائده :

وتظل تجرى بيننا « ومُفَدَّمٌ » يسعى بها

ديوان الأعشى - ط . م . حسين ، القاهرة ١٩٥٠ قصيدة ٣٩ ، بيت ٣٤

ويقول أيضاً :

يطوف بها ساقٍ علينا مُقَوِّمٌ « خفيف دفيف مايزال مُفَدَّمٌ ما

ديوان الأعشى ، قصيدة (٥٥) بيت (٦)

وتستقى قاموس دوزى فى أمر كلمة « مفدم » فىأتيك الجواب التالى :

« . عمامة Ce mot désigne, suivant le Kamous, le turban »

(انظر صفحة ٣٢٦ من القاموس المذكور)

فقدام عند دوزى إذن تعنى العمامة ؛ ولكننا نلاحظ أن صاحب تاج العروس لا يتفق مع دوزى فى هذا التعريف ، فيقول إن « مفدم » مشتقة من « قدم » التى تعنى أن الشخص غطى فيه بـ « القدم » وأن « القدم » قطعة من قماش كان الفرس والحرس يربطونها حول أفواههم عند تقديمهم الشراب للشرب . وإذا سرنا شوطاً أبعد فى استقصاء أصل هذه الكلمة ومعناها لوجدناها مأخوذة عن كلمة « بدم » الفارسية التى لها صلة بطقوس عبادة النار

وتغطية الفم عند تقديم الأضاحي ، وأن عادة وضع « الفدام » انتقلت إلى مجالس الشراب عن الفرس فكان الساقى يضع فداماً أثناء تقديم الشراب . وقد نص صاحب « تاج العروس » على خطأ تفسير « الفِدام » بالعمامة ، فقال : « فدام .. العمامة في سائر النسخ ، والصواب والفدامة العمامة وهو ما يوضع على فم البعير » . (انظر مادة « قدم » في تاج العروس ، ج ٩ ، ص ١٠) . هذا مثال واحد على ما قد يصادف الباحث من أخطاء في قاموس دوزى قصدت به التعريف لا الحصر ، والأمثلة الأخرى غير قليلة . وإذا تركنا الأخطاء جانباً لوجدنا في القاموس نقصاً كبيراً في المادة وانعداماً للتقسيم أو التبريد حسب الموضوعات وهو أمر أساسي في قاموس من هذا النوع . لهذا كله نرى أنه من الضرورة بمكان العمل على تأليف قاموس للملابس يسد الفراغ الكبير في مكتبتنا التاريخية .

وإذا كانت الحاجة ملحة إلى قاموس جديد للملابس فلما نرى ألا يكون هذا القاموس الجديد جامعاً للموضوع في مختلف مراحل تاريخنا الطويل ، بل نرى أن يصر إلى تأليف قواميس أو بحوث تتناول الموضوع في حقبة معينة وذلك لاتساع الموضوع ووفرة المادة المتعلقة بكل دور من الأدوار التاريخية والتطور الكبير الذي دخل على معنى الكلمة الواحدة ومدلولها بتطور العصور ودخول المؤثرات الجديدة واختلاف الحاجات اليومية .

والملابس في العصر الأموي تستحق منا وقفة طويلة نفتتح بها جهدنا في هذا الموضوع وذلك لأن اللباس في هذا العصر يمثل التحول الذي طرأ على زى أبناء الجزيرة في تطورهم من بداءة وسكان خيام إلى رافهين مترفين يسكنون القصور وينعمون بمعطيات حضارة الرومان وغيرهم من الأمم التي تعاقبت على حكم بلاد الشام ومقاطعات الإمبراطورية الإسلامية الجديدة الأخرى . ونحن وإن كنا لا نشك في أن ميدان الملابس كان من جملة الميادين التي شملتها عملية التمازج والاختلاط بين الحاكين والمحكومين فلما لا نستطيع رسم حدود التأثير الجديد في زى عرب الجزيرة وملابسهم بوجه

عام، وإن كان من المعروف أن الخطوط العامة لهذا الزي وهذه الملابس ظلت محافظة على الشكل والإطار اللذين خرجت بهما من الجزيرة العربية أول ما خرجت . فليسنا نملك إذن حقيقة عامة عن الملابس في عصر بني أمية أو الموثرات التي أثرت بها كما نملك عنها في عصر بني العباسي حين وضع التأثير الفارسي في هذا القطاع وغيره من قطاعات الحياة .

والبحث في الملابس في العصر الأموي أمر يقتضي منا تحديد المصادر التي يجب أن تعتمد في جمع مادة هذا البحث . لقد دلتني خبرتي المتواضعة في ميدان بحوث التاريخ الاجتماعي أن المادة الأولية لبحث كهذا متفرقة على مصادر كثيرة جداً تجعل الطريق شائكاً معقداً لا ينتهي . لهذا أرى أن تحدد مصادر البحث وأن تكون تاريخية وأدبية ومعاجم لغة ، وسأعود في نهاية الحديث لاقتراح أسماء بعض المصادر التي أرى أن يقتصر عليها في جمع مادة معجم الملابس في عصر بني أمية .

إن اتساع وتفرق مادة بحث الملابس ، الأمر الذي ينطبق على مادة أغلب بحوث تاريخنا ، يجعلنا نحلم بقيام تعاون علمي بين المهتمين بمادتي التاريخ والآثار في إقليمى جمهوريتنا العزيزة يسهل عليهم حل الكثير مما قد يعثور طريق بحثهم من مشكلات . إنا نحلم أن يكون هذا التعاون على شكل إصدار نشرة دورية سنوية مثلاً تعرف المهتمين بمادتي التاريخ والآثار بالبحوث التي يقوم بها رجالات هذين الموضوعين في إقليمى الجمهورية العربية المتحدة .

إن أهم ثمار صدور نشرة كهذه هي تبادل الباحثين للمعلومات التي قد يعثر عليها أحدهم في موضوع يهم زميلاً له فيوافيه بها ليتلقى منه معلومات تهمة هو وهكذا . هذا إلى جانب أن إصدار نشرة كهذه يحل مشكلة ازدواج البحث وانهماك اثنين في دراسة الموضوع الواحد .

في نهاية هذا الحديث المقتضب الذي أعرف أني لم ألمس فيه من الموضوع إلا بعض جوانبه ، أرى أن أجمل ما قدمت في المقترحات التالية :

أولاً : أن يصار إلى التوصية بتصنيف قاموس للملابس في العصر الأموي ، وأن يكون هذا القاموس شاملاً لجميع أنواع ملابس الذكور والإناث ، وأن يلحق ببحث ملابس النساء قسم تدرس فيه الأشياء المتعلقة بزيتن وحلبن . كما أن القاموس الجديد يجب أن ينسج على غرار قاموس ماير (Mamluk Costume) من حيث شموله على بحث الظرف التاريخي والاجتماعي الذي نشأ فيه النوع من الملابس الذي هو موضوع الدراسة . وطبيعي أن يصار إلى تصنيف قاموس للملابس العصر العباسي بعد هذا ، وهكذا .

ثانياً : أن يقتصر في جمع مادة هذا القاموس على المصادر التالية من كتب الأدب : الأغاني ، العقد الفريد والكمال للمبرد . ومن كتب التاريخ : الطبری . هذا طبعاً إلى جانب معاجم اللغة .

ثالثاً : إصدار نشرة دورية تعرف المهتمين بموضوع الدراسات التاريخية والأثرية بما يقوم به الاختصاصيون من بحوث في هذين الحقلين ، وبالتالي تسهل عملية تبادل المعلومات بين المختصين التي أشرنا إليها قبلاً .

بشیر زہدیٰ

—۹—

المتاحف والأقلام السیوزی

المتاحف في الإقليم السوري

إن تأسيس المتاحف في الإقليم السوري ثمرة من ثمرات الوعي القومي ، ومظهر من مظاهر البحث العلمي ، ونتيجة للحرص على حفظ تراث الماضي ، فبعد ما تم تحرير البلاد من الحكم العثماني ، وإعلان استقلال سورية عام ١٩١٩ ، أسست (دار الآثار) مع مؤسستين علميتين هامتين هما المجمع العلمي العربي ، والمكتبة الوطنية في المدرسة العادلية بدمشق ، فكان في تأسيس (دار الآثار) خدمة كبرى عادت على البلاد بأجل الفوائد ، ومن الإنصاف أن نشيد بجهود علامة الشام المرحوم محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي بدمشق :

ورغم الأحداث المختلفة التي شهدتها الإقليم السوري طيلة فترة الاحتلال الفرنسي ، فإن نتائج الحفر والتنقيب في أماكن مختلفة (دورا ، أوربوس ، أوغاريت ، أرسلان طاشي ، تل أحمر ، ماري . تدمر ، قصر الحير الغربي الخ) كانت مشجعة على الاستمرار في الحفر والمتابعة في التنقيب ، لهذا كان لابد من بناء متحف وطني يليق بعاصمة الأمويين وذلك لتحفظ وتعرض فيه الآثار المكتشفة . وقد جرى بناء هذا المتحف على عدة مراحل . فقد بدأ ببناء القسم الأول منه عام ١٩٣٦ ، فأعيد فيه بناء الكنيس المكتشف في (دورا أوربوس) ، ومدفن يرحاي المكتشف في تدمر . كما بدأ عام ١٩٣٩ - ١٩٥٠ بإعادة بناء واجهة قصر الحير الغربي الأموي ، ولاشك أن نشاط أعمال الحفر والتنقيب في الإقليم السوري تتطلب متابعة بناء بقية أقسام المتحف في عام ١٩٥٣ و ١٩٥٧ وكذلك تم بناء أقسام

المتحف الذي تقدر مساحته بنحو ١١,٠٠٠ متر مربع . ومن الإنصاف أن نذكر جهود مدير الآثار السابق الأمير جعفر الحسيني ، ومدير الآثار والمتاحف الحالي الدكتور سليم عادل عبد الحق الذي قام بتقسيم المتحف الوطني بدمشق إلى أربعة فروع عرضت في كل منها الآثار المكتشفة وذلك وفقاً لتسلسل عهدها التاريخية كمايلي :

١ - فروع الآثار السورية القديمة :

عرضت فيه الآثار المكتشفة في أوغاريت (الأبجدية الأولى ، الرقم الفخارية ، الأسلحة ، البوق العاجي ، المنضدة ، واللوح العاجي ، ورأس الأميره . . .) وعمريت (الفخار والفثوس) و (المعاهدة الآرامية المكتشفة في سفيره . . .) وماري (تماثيل ملك وأمراء المدينة وتمثال مغنية المعبد أورنيثا ، وأصداف مشهد استعراض الملك وحاشيته للأسرى ، والاختام . . .) وستعرض قريباً الآثار المكتشفة في تل خويره ، وتل رفعت ، وتل الكزل . . الخ .

٢ - فرع آثار العهود اليونانية والرومانية والبيزنطية :

أعيد فيه بناء الكنيس المكتشف في دورا أوروبوس ، والرسوم الجدارية المكتشفة في المعبد التدمري ، ومدفن يرحاي التدمري ، وقطع الفسيفساء المكتشفة في شها وغيرها ، والتماثيل المكتشفة في اللاذقية ، وتدمر ، والسويداء وحوران . . . ولا سيما نماذج من مجموعات الزجاج (المصنوع بطريقة الصب على جسم رملي ، والزجاج الفسيفسائي ، وزجاج ملفبوري ، والزجاج المنفوخ في قالب ، أو في الهواء .) والأيقونات وقطع المنسوجات المكتشفة في تدمر وضواحيها ، والنقود المختلفة .

٣ - فرع الآثار الإسلامية والعربية :

أعيد فيه بناء واجهة قصر الحير الغربي وأحد أروقه ، ونماذج من روائع الزخارف الحصية ، والرسوم الجدارية ، وتمثال الفارس المكتشف في

الرقعة ، والخزف الإسلامى المكتشف فى الرقعة وحماه وغيرها ، وبعض الكتابات العربية الكوفية ، ونماذج من مجموعات الزجاج الإسلامى والنقود ، والأسامحة ، والخشب المدهون ولا سيما المخطوطات العربية ، والأدوات الفلكية .

٤ - الفرع الحديث :

عرضت فيه اللوحات والتماثيل التى أبدعها فنانون الإقليم السورى (السادة . محمود جلال ، وميشيل كرشه ، وناظم الجعفرى ، ونصير شورى ، ورشاد قصيباتى ، وجمال وردة ، وصالح الناشف ، ومحمود حماد ، وأدهم ونعيم إسماعيل ، وفاتح المدرس ، وأنور الأرناؤوط ، وزهير الصبان وغيرهم ...) .

متحف التقاليد الشعبية والصناعات الوطنية :

قامت المديرية العامة للآثار والمتاحف بترميم واستملاك القصر الذى كان قد بناه حاكم دمشق أسعد باشا العظم فى ١٧٤٩ خلال اثنى عشرة سنة . فحولته إلى متحف جديد عرضت فيه مشاهد تتعلق بالحياة القديمة فى داخل قصور وبيوتات دمشق ، ومساكن حوران وجبل العرب ، ومجموعات نادرة من الزجاج الأوربى ، والخزف الصينى ، والمتحف المختلفة النسابة التى جعلت لهذا المتحف شهرة كبرى تحت الزائرين والسائحين على زيارته ، ويكفى أن نذكر أن عدد زواره عام ١٩٥٩ بلغ ٧٩,٨٢٥ زائر . ومن الإنصاف أن نذكر جهود السيد شفيق الإمام محافظ متحف التقاليد الشعبية والصناعات المحلية .

متحف دمشق الحربى :

رغب المسئولون فى وزارة الدفاع الوطنى فى إخراج فكرة تأسيس المتحف الحربى إلى حيز الوجود ، فوقع اختيارهم مؤقتاً على قسم التكية السليمانية فى دمشق ريثما يبدأ ببناء جديد للمتحف . والجدير بالذكر أن المديرية العامة .

للآثار والمتاحف وضعت كل طاقتها في سبيل إخراج هذا المتحف الجديد في أجمل مظهر وأحدث طريقة في عرض الأسلحة فخصصت إحدى القاعات لإعطاء الزائر لمحة عن الأسلحة التي استخدمت في الإقليم السوري (منذ العصور الحجرية ، وعهود العموريين والكنعانيين ، والحثيين والآراميين والتدمريين والمناذرة ، حتى الفتح الإسلامي) . وخصصت القاعة الثانية لذكريات الجيش السوري ، وعرض في القاعة الثالثة نماذج من الأسلحة المختلفة التي كانت مستعملة في النصف الأول من القرن العشرين ، وفي القاعة الرابعة عرضت المدافع المختلفة التي تعود من عهد إبراهيم باشا حتى مدافع الهاون ومصنوعات الجيش السوري .

متحف حلب :

وضع مشروع بناء جديد لمتحف حلب وبدى بتنفيذه لتعرض في المتحف الجديد روائع الآثار المكتشفة في ماري وأرسلان طاش ، وتل الأحمر وعين دارا ... الخ .

متحف تدمر :

أوشك المتعهدون على الانتهاء من بناء متحف تدمر ، وستعرض فيه الآثار المكتشفة في تدمر ولا سيما روائع فن النحت التدمري ...

متحف طرطوس :

لقد تم تحويل بناء المعهد القديم إلى متحف إقليمي عرضت فيه نماذج من الآثار المكتشفة في تلال المنطقة (تل سوكاس ، وتل الكزل ، وتل سمريان ، وعمريت ، وأوغاريت ..) ونماذج مصغرة للسفن الفينيقية الأروادية القديمة ، وبعض الأدوات الخاصة بالصناعات المحلية كمعاصر الزيت وبعض الملابس المحلية القديمة والنقود التي كانت متداولة .

متحف حماه :

لقد تم تحويل قصر العظم في حماه إلى متحف وطني ، وبدأت المديرية العامة للآثار والمتاحف في عرض الآثار فيه .

مشروعات متاحف جديدة :

وتقوم المديرية العامة للآثار والمتاحف بإعداد مشروع بناء متحف في دير الزور لتعرض فيه الآثار المكتشفة في مدينة مارى والرقه ، ... الخ . ومشروع تأسيس متحف في اللاذقية وآخر في أوغاريت ، وقد لا يمضي وقت طويل حتى يؤسس متحف جديد في السويداء لتعرض فيه التماثيل البازلتية وقطع الفسيفساء المكتشفة في جبل العرب ، ومتحف آخر في (بصرى) لتعرض فيه التماثيل والفخار والزجاج الجولاني .

المتحف الزراعى :

وتقوم المديرية العامة للآثار والمتاحف بالإسهام في إخراج المتحف الزراعى إلى حيز الوجود .

عرض النقود والطوابع :

وعلمت أن لدى البنك المركزى فكرة عرض مجموعات مختلفة من النقود ، وقد لا يمضى وقت طويل حتى تبدأ مديرية البريد والبرق والهاتف بإعداد ما يلزم لعرض مجموعات الطوابع .

إغناء المتاحف بالآثار :

يستنتج مما تقدم مدى الاهتمام بالمتاحف في الإقليم السورى وتزايد عددها ومختلف أنواعها ، وأهمية غاياتها ، مما يتطلب استمرار زيادة عدد الموظفين والمستخدمين والحراس والعمال ، وضرورة تأسيس دوائر جديدة تابعة للمديرية وزيادة عدد موظفيها مثل دائرة التفتيش والهندسة ، والمعمل

الفني ، وفرع التصوير ، والمكتبة ، ولا سيما دائرة الحفريات،
والدراسات التي تهتم بالإشراف على أعمال البعثات العلمية الأجنبية (البعثة
الفرنسية برئاسة الدكتور كلود شيفر في رأس شمرا) و (البعثة الفرنسية
برئاسة الأستاذ اندره بارو في تل حريري) ، و (البعثة الإنكليزية برئاسة
الدكتورة سيتون وليامس في تل رفعت) و (البعثة الألمانية برئاسة الدكتور
انطون مورتفات في تل خويره) و (البعثة الألمانية برئاسة الأستاذ كولويتز
في الرصافة) و (البعثة السويسرية برئاسة الأستاذ كولار في معبد بعل
شمين التدمري) و (البعثة البولونية برئاسة الأستاذ ميخالوفسكي في معسكر
ديوكليسيان في تدمر) و (البعثة الدانمركية برئاسة الأستاذ ريس في تل سوكناس) .
كما تقوم بأعمال الحفر والتنقيب بإشراف خبراء المديرية في تل الكزل
والرقة .. إلى آخره . كل ذلك مما يساعد على إغناء المتاحف بروائع الآثار والمتحف
الجميلة ، مما يتطلب تأسيس متاحف جديدة ، والتفكير جدياً في جعل
بعض الفروع متاحف مستقلة كما هو الحال بالنسبة لفرع الآثار السورية
القديمة في متحف دمشق .

مشكلة الحفائر السرية :

كما أن انتشار الآثار في مختلف تلال الإقليم السوري ، وكثرة الطلب
باستمرار على الآثار السورية ، مما شجع بعض العمال على القيام بحفائر سرية
وقد وجدوا من التجار من يدفع لهم مقابلها مبالغ كبيرة ، ومن حسن الحظ
أن بعض التجار يحرصون على حفظ تراث الماضي في الإقليم السوري مما
يدفعهم إلى بيع الآثار المشتراة إلى المتاحف السورية ولكنهم قلما يصدقون
القول في تعيين الأماكن المكتشفة حرصاً منهم على استموار شراء الآثار من
شركائهم ، وهناك بعض التجار الذين تغريهم الأسعار الدولية للآثار مما
يجعلهم يفضلون بيعها في خارج الإقليم السوري وهذا هو موضوع
مشكلة السماح أو عدم السماح بتجارة الآثار . إذ أن منع التجارة

بالآثار لا تتحقق الغاية منه بمجرد صدور قانون بذلك بل لابد من زيادة المراقبة على الحدود وفي مناطق التلال الأثرية ، ومنح بعض الصلاحيات للمفتشين الخ وتخصيص المكافآت لكل من يساعد أو يسهم في منع الحفائر السرية ، وحفظ الآثار في البلاد ، وإن خطورة هذا الموضوع وأهمية النتائج المترتبة على الحلول تجعلني أقترح تأليف لجنة من خبراء ومفتشي الآثار في الإقليمين لدراسة هذا الموضوع وكل الاحتمالات المتوقعة من نتائج الحلول التي يتوصلون إليها .. حفظا على الآثار المكتشفة ، ومعرفة مكان اكتشافها ، واتخاذ مبدأ سليم فيما يتعلق بطلبات بعض التجار بتصدير بعض الآثار ، وكل ما يتفرع عن هذا الموضوع من تفاصيل .

وختاما أرجو أن تفضلوا بالاطلاع على الاقتراحات الآتية :

- ١ - الاهتمام بدراسة اللغات القديمة ، وتأسيس معهد للفن والآثار يلحق بالمديرية العامة للآثار والمتاحف .
- ٢ - تأسيس المكتب العربي للمتاحف على أن يكون مرتبطاً باللجنة الثقافية في الجامعة العربية .
- ٣ - تشجيع هواة الآثار على تأسيس جمعيات (أصدقاء المتحف) .
- ٤ - الاهتمام بالمتاحف المدرسية . وتوجيه الطالب إلى أهمية المتحف وضرورة المحافظة عليها .
- ٥ - لفت أنظار المدرسين والمعلمين إلى أهمية المتاحف وغاياتها التربوية وكيفية اعتبار الآثار من أحسن وسائل الإيضاح .
- ٦ - ترغيب الطلاب في اختيار مواضيع رسالاتهم الجامعية في المواضيع المتعلقة بتاريخ وطننا العربي وآثاره ، وتسهيل مهمة الباحثين .
- ٧ - تعريف المواطنين بأوابد وآثار الإقليمين ، وذلك بإفساح المجال أمام المختصين لدراسة ونشر وإذاعة بحوثهم ودراساتهم .
- ٨ - إخراج أفلام سينمائية تمثل الأوابد والآثار في إقليمي الجمهورية لتعميم الثقافة في الداخل . وتأمين الدعاية لنا في الخارج .

- ٩ - تنظيم معارض متنقلة بين مدن الإقليمين والدول الصديقة .
- ١٠ - منح بعض الامتيازات للمختصين ، وتشجيعهم على الاستمرار في التوسع في اختصاصاتهم والاطلاع على آخر ما وصل إليه زملاؤهم المختصون في المواضيع إلى يهتمون بها .
- ١١ - الحرص على الاشتراك في مؤتمرات لجان المتاحف الوطنية التي تعقد في الدول الصديقة .
- ١٢ - إيفاد المختصين للاطلاع على مجموعات المتاحف الأخرى ، وتشجيعهم على إلقاء محاضرات علمية في تلك البلاد .
- ١٣ - تأليف لجنة من المختصين للبحث جدياً في توحيد المصطلحات المتعلقة بفن الرسم والنحت والعمارة وأسماء مختلف القطع الأثرية الخزفية والزجاجية . وتوحيد أسماء الوظائف في الإقليمين .
- ١٤ - توجيه أنظار طلاب معاهد الفنون التشكيلية في إقليمي الجمهورية إلى أهمية دراسة الأوابد الأثرية والتحف الفنية القديمة .
- ١٥ - تزويد المعامل الفنية بكل ما يلزم لمعالجة الآثار (ولا سيما المعدنية والعاجية والمنسوجات) بأحدث الطرق العلمية ، وإرسال المختصين إلى البلاد الأجنبية المتقدمة في ميدان معالجة الآثار وذلك للاطلاع على الابتكارات الجديدة وترشيح المبرزين من الفنانين العرب كخبراء دوليين .
- ١٦ - تشجيع مؤلفي قصص الأفلام السينمائية على زيارة الأوابد والأماكن الأثرية للعمل على تأليف قصص أفلام تتعلق ببطولات خالدة في تاريخنا
- ١٧ - توجيه أنظار الملحقين الثقافيين في سفارات جمهوريتنا في الدول الأجنبية إلى ضرورة تزويدنا بقوائم المؤلفات والبحوث المتعلقة بتاريخنا وآثارنا .
- ١٨ - تأليف دليل آثار لكل من الإقليمين في إطار تاريخي .

وَجُوبُ الْعَوْدَةِ لِلنَّالِيَةِ النَّارِ نَحْيٌ عَلَى أَسْيَاسِ الْخَطِّ

وَجْهٌ لِلْعُزَّةِ لِلنَّائِلِ النَّارِخِيِّ عَلَى سَائِرِ الْخَطِّ

٢ - نعرف للأقدمين فضل ابتداء أسلوب من أساليب تدوين التاريخ كثير الفوائد. ذلكم هو أسلوب التاريخ الآثاري (الآثار بكل أنواعها) ، وهو أسلوب الخطط . وهذا الأسلوب في يد من يحسن استخدامه يجمع بين مزايا المرجع ، يرجع إليه الإنسان لتحقيق جزئي أو تفصيلي ، ومزايا الدراسة المستفيضة لموضوع أو لمطلب . فإن شئت مثلاً بياناً عن مكان أمكنك أن ترجع إلى المعجم المفهرس للأمكنة ، فتجد فيه بياناً عما هو عليه المكان الآن ، وعما حدث فيه في الماضي من أحداث . وإن شئت بياناً عن رجل أمكنك أن تعثر سريعاً على ما يهملك من أمره في المعجم المفهرس بأسماء الرجال . وإن شئت بحثاً تاريخياً عن موضوع اقتصادي أو اجتماعي ، فإنك تجده في قسم الدراسات التاريخية المتنوعة للموضوعات . ولهذا الأسلوب فضل الجمع بين العلم القديم الموروث ، وبين ما طرأ عليه من تجديد أدى إليه تقدم البحوث .

٣ - والخطط مما ينبغي تجديده من وقت لآخر .

وآخر ما لدينا منه ما كتبه على مبارك (وبعبارة أصدق ما نشره على مبارك تحت اسمه) ، وصفة الجمع تغلب على خططه ، كما أن ترتيب مواده يقتضي من الباحث عناء وقتاً ، وعلى كل حال فقد مضى على نشره زمن طويل جعل أكثر مادته التاريخية الجغرافية بحاجة إلى إعادة الكتابة .

وآخر ما لدينا عن الشام خطط كرد على ، وهذه بها ميزات.
المصنف الذى يصدر عن مؤلف واحد ، ولكن الخطط ليست من
المشروعات التى يستطيع فرد أن ينهض بها وحده ، وعلى مبارك.
استعان بالكثيرين من رجال التعليم وغيرهم .

هذا وإن ما بلغه العلم من تقدم يقتضى إعادة الكتابة فى أكثر
موضوعات خطط كرد على وخطط على مبارك ، كما أن المرحلة الحاضرة.
من التاريخ التى نعيشها الآن تقتضى من المشتغلين بالتاريخ أن يقدموا
للباحثين والقارئ والمعلمين ومن إليهم أضبط المعلومات وأدقها . يكون
الاهتمام فيها بضبط الحقائق أغلب على التأويل . أخيراً تتيح الوحدة
المصرية السورية فرصاً فينبغى انتهازها لتنظيم الجهود والانتفاع من.
الكفايات .

٣ - بعض صعوبات المشروع :

وأهم هذه الصعوبات أن حدود الجمهورية العربية لا تتفق مع
ما تقتضيه الدراسات من مجاوزة لتلك الحدود .

وأقترح لذلك أنه كلما اقتضى البحث أن نجتاز الحدود فلا نتردد.
فى اجتيازها - فالنيل مثلاً لا يبدأ عند خط العرض ٢٢ شمالاً ، ولا يفهم
إلا إذا بدأنا به حيث ينبع فى الهضبة الاستوائية ، أو هضبة الحبشة ،
والفرات فى مجراه من منبعه إلى مصبه أكبر من الجزء المار بالشام - فلا
نتردد فى الدراسة الجغرافية من أن نجعلها شاملة الشمول الطبيعى البشرى.
الذى يقتضيه المنهج العلمى ، ومثل هذا يقال عن تاريخ الدول المصرية.
السورية ، فلا نتردد فى أن ندرسها وأن نضعها مع ما كانت عليه ،
وكذلك بالنسبة لتراجم رجالها وأماكنها .

٤ - أقسام الكتاب وأبوابه :

القسم الأول :

الباب الأول : الوصف الجغرافى ، الفصل مرتب إقليمياً .

الباب الثانى : الوحدات السياسية العامة والخاصة ، مرتبة إقليمياً
ترتيباً زمنياً .

الباب الثالث : تعاقب الحضارات ، مرتب إقليمياً ترتيباً زمنياً ..

القسم الثانى :

ويحتوى على دراسات تحقيقية تتعدى حدود الزمان والمكان ،
كالتجارة والسكة .

القسم الثالث :

الباب الأول : المعجم الجغرافى ، ويرتب هجائياً ترتيباً عاماً .

الباب الثانى : تراجم الرجال ، ويرتب هجائياً ترتيباً عاماً ..

الباب الثالث : الأطلس الجغرافى .

الفهارس العامة :

»

٥ - إذا أقرت الندوة المشروع من حيث المبدأ ، تكون المرحلة الأولى تقسيم
العمل بين المؤرخين والجغرافيين فى لجان المجلس ، وذلك لوضع أسماء
الفصول المختلفة فى جداول مستقلة . وعلى هذا الأساس يعاد عرض
الموضوع فى اجتماعات مشتركة ، لتقدير ما يلزمه من مال ووقت ووسائل .
نتقدم بطلبها من أولى الأمر .

دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي

كتاب في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي

المقريزي المؤرخ ، وهو شيخ الكثيرين من المشتغلين بالدراسات التاريخية في الجمهورية العربية المتحدة ، له كتاب مطبوع ضمن مؤلفاته الصغرى عنوانه « إغاثة الأمة يكشف الغمة » ، أحصى فيه مؤلفه ما اجتازته مصر من كوارث الغلاء والمجاعة ، منذ ما قبل الطوفان إلى عصره . والمقريزي في هذا الكتاب — فيما نعلم — هو المؤرخ العربى المصرى الأول الذى تعرض بالبحث العلمى لهذه الناحية الاقتصادية الاجتماعية فى التاريخ المصرى ، يقدر ما سمحت به المنهجية العلمية من طاقة محدودة وأفق محدود فى العصور الوسطى . ومع هذا حاول المقريزي فى تدوينه لأخبار الأغلبية والمجاعات أن يتقصى أسباب هذه الظواهر بروح عقلية ، بل اقترح بعض الوسائل الاقتصادية السليمة لعلاجها ، أو الوقاية منها ، كما أنه تناول طبقات المجتمع المصرى فى زمنه بالتقسيم والتصنيف ، ووصف كل طبقة من طبقاته فى شيء من التفصيل التشرىحي .

ويشير المقريزي فى عباراته الافتتاحية إلى سبب تأليف هذا الكتاب ، وهو أن مجاعة طويلة متقطعة حدثت فى زمنه من سنة ١٣٩٣ إلى ١٤٠٥ م (٧٩٦ — ٨٠٨ هـ) ، أى مدة اثنتى عشرة سنة ، حين كان عمره فى بدايتها ثلاثين سنة ، فرأى أن أسبابها وأسباب ما سبقها من غلاء متكرر ليس مرجعها دائماً إلى نقص النيل فقط ، كما زعم الناس دائماً ، بل توجد ثلاثة أسباب جوهرية أخرى ، أفاض هوفى شرحها فى فصل تحليلى طويل .

وهذه الأسباب هي : (أولا) ولاية الوظائف السلطانية والمناصب الدينية بالرشوة ، و (ثانياً) غلاء إيجار الأتبان وزيادة نفقات الحرث والزراعة على مبلغ ما تغله الأرض من محصول ، و (ثالثاً) رواج الفلوس النحاسية — وهي المحقرات — في المعاملات ، على حين ينبغي أن يستند النقد والتعامل على قاعدة الذهب والفضة .

ومن الجديد كذلك في هذا الكتاب أن المقريزي شرح هذه الأسباب شرحاً عقلياً ، تخللته إشارات واضحة إلى نظرية دورية الأزمات الاقتصادية ، وقانون طرد النقود الرديئة للنقود الجيدة من الأسواق والمعاملات ، وعملية إيقاف التضخم المالي ، بثبيت النقد على قاعدة الذهب والفضة .

وأدرك المقريزي ما يتأتى عن الأغلبية والمجاعات من الطواحين ، دون أن يتناول هذه الإشارة بشيء من التفصيل : غير أنه من المعلوم لدينا أن هذه الظواهر المتكررة ، في الشرق والغرب في العصور الوسطى ، تتحرك في العادة حركة دورية متتابعة الدوائر ، بحيث تكون الظاهرة الواحدة منها سبباً للظاهرة اللاحقة لها ، ونتيجة للظاهرة السابقة عليها ، وهكذا .

ومن الطواحين التي ملأت أخبارها الشنعاء كتب التاريخ ، في الشرق والغرب ، طاعون عام اشتعل وانتشر بالعالم القديم منذ سنة ١٣٤٦ م (٧٤٩ هـ) ، وسماه المؤرخون المعاصرون في مصر سنة الفناء ، وسماه المؤرخون الأوربيون عندهم الموت الأسود . ووصف المقريزي هذا الوباء في كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك (ج ٢ ، ص ٧٧٣ وما بعدها) وصفاً رائعاً ، منقولاً من مرجع معاصر لذلك الوباء ، ويبدو أنه مفقود ، أو أنه على الأقل غير معروف لي ، وهذا هو نص افتتاحية المقريزي : « ولم يكن هذا الوباء كما عهد في إقليم دون إقليم ، بل عمّ أقاليم الأرض شرقاً وغرباً ، وشمالاً وجنوباً ، وجميع أجناس بني آدم وغيرهم ، حتى حيتان البحر وطير السماء ووحش البر . وأول ابتدائه كان من بلاد القان الكبير .. وبعدها من توريز ... ثم اتصل الوباء ببلاد الشرق جميعها ، وبلاد

أزبك وبلاد اسطنبول وقيصرية الروم، ودخل إلى أنطاكية... (ص ٧٧٤) وعم.
الوباء بلاد قرمان... وبيغداد، وبأرض حلب، والشام ومصر وبرقة وإفريقية-
وببلاد الفرنج». ويستمر المقریزی في ذكر أخبار هذا الوباء حتى تبلغ صفحاته
عشرين صفحة مطبوعة من القطع الكبير، وهذه الأخبار واردة بنصها وفصها في
الجزء العاشر من كتاب «النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، لابن تغری بردی»
في عدد مقارب لذلك العدد من الصفحات. والمعروف أن ميلاد المقریزی كان
بعد وقوع هذا الوباء بثان عشرة سنة، وأن ميلاد ابن تغری بردی كان بعد
ميلاد المقریزی بسبع وثلاثين سنة، وأن ابن تغری بردی تتلمذ على المقریزی
وأخذ عنه، ونقل منه أخبار الوباء، وغيره من الأخبار، ومع هذا حلا-
لابن تغری أن يختتم صفحاته في وصف هذا الوباء بما نصه: «ورأيتُ أنا من
رأى هذا الوباء، فكان يسميه الفصل الكبير، ويسمونه أيضا سنة الفناء،
ويتحاكون عنه أضياف ما حكيناه، يطول الشرح في ذكره» وأراد ابن تغری
بردی بهذه العبارة المستندة إلى ضمير المتكلم أن يضيف على صفحاته هالة
المعاصرة أو شبهها، مع العلم بأن ستا وخمسين سنة تفصل بين ميلاده وتاريخ
هذا الوباء، على حين سبقه المقریزی إلى نقل أخبار هذا الوباء من مرجع
لم يذكره، لكنه لم يعقب على ما نقله بقليل أو كثير.

أما المراجع الأوروبية الخاصة بأخبار هذا الوباء في أوروبا، فأهمها في قائمة المؤلفات
المعاصرة كتاب ليالي ديكاميون، وهو الكتاب الذي ألفه بوكاشيو الفلورنسي،
ووصف فيه تجارب فئة من الفلورنسيين أيام الوباء، ويلى ذلك عدد من المقالات
أحصاها المؤلف الألماني الحديث نوهل "Nohl" في قائمة المراجع، بكتابه الذي
عنوانه «الوباء الأسود». ومن هذا الكتاب الحديث وغيره من الكتب
الأوروبية المكتوبة في أسلوب تاريخي منير يتضح أن هذا الوباء امتد - كما ورد
في المراجع العربية التي تقدم ذكرها - من بلاد الصين وتركستان عبر طرق
التجارة الآسيوية البرية إلى أوروبا والشرق الأدنى في العصور الوسطى،
فانتقل من آسيا الصغرى إلى إيطاليا وإسبانيا، ثم زحف إلى فرنسا عن.

طريق مرسيليا ؛ ودخل إنجلترا عن طريق مقاطعة دور تشستر ، ثم تحول شرقا فاجتاز ألمانيا وبلاد شبه جزيرة اسكنديناوة ، ومنها اشتعل في بولنده والنمسا وروسيا .

على أن هذه الإشارات الدالة على خط سير الوباء الأسود ، ومطابقة هذا الخط في جميع الأحوال لطرق التجارة الداخلية في أوروبا ، ليس غرضها هنا التمهيد لشرح حوادث هذا الوباء في البلاد الأوروبية ، أو مقارنة هذه الحوادث بأشبابها المتوازية معها زمنيا ببلاد الشرق ، بل غرضها أولا معرفة مانجم عن هذا الوباء في أوروبا ، وهو ما جهدت البحوث الأوروبية في استخراجها من كتب الأخبار والتاريخ التي أعقبت هذا الوباء ، ورتبت عليه معظم الحركات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في أوروبا ، منذ النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي ، فصاعدا .

لذا تكفى الإشارة هنا إلى أن هذا الفناء العظيم كان طاعونا دُمليا ، وأنه عكف على اختيار الشباب الأقوياء ، وأنه لم يمهل فريسة من فرائسه إلا يوماً أو بعض يوم ؛ وهكذا كان الحال في الغرب والشرق سواء . أما نتائج هذا الفناء في أوروبا ، فينبغي أولاً أن ندرك أنه لم يأت بانقلابات مفاجئة للمجتمع الأوروبي ، إذ الأقرب للمعقول والمقبول تاريخياً أنه حرك بمختلف البلاد الأوروبية الناقهة سلسلة وثيدة من التغيرات التي بلغت في مجموعها - وشمولها ونتيجتها - مبلغ الانقلاب العام . ففي الأديرة اضمحل النشاط الأدبي ، وفسد النظام الديري . وفي البلاد التي أباد الفناء معظم أهلها أقفرت كنائس الأبرشيات من القسس والمصلين . وفي إنجلترا حلت اللغة الإنجليزية محل الفرنسية في المدارس ، لأن المعلمين الأنجلونورمانين كانوا قلة أخذ الوباء أكثرها ، ولذا قامت على التعليم طبقة قومية جديدة من المعلمين الإنجليز ، كما بدأ التعليم يعتمد تدريجاً على اللغة الإنجليزية القومية .

وفى فن العمارة وهندسة البناء غلب الطراز المتعاند على الطراز القوطى القديم ، لبساطة التعامد وسهولة أشكاله وملاءمته لطاقت المعماريين ، بعد أن غدوا فئة قليلة مضطرة إلى سرعة الإنجاز وسرعة التنقل بين البلاد . وفى المزارع كذلك خطت حركة استبدال الأجور بالخدمة فى الحقول خطوات بالغة السرعة ، وهى الحركة التى أدت أخيراً إلى اختفاء القنية من الزراعة ، وتحطيم نظام المشاع والحقول المفتوحة فى زراعة الأرض فى العصور الوسطى .

أما السبب فى هذه الحركة الزراعية التى لم تقتصر على إقليم دون إقليم فى غرب أوروبا ، فهو أولاً قلة الأيدى العاملة فى الزراعة ، بسبب الفناء ، ومطالبة الفلاح القن لنفسه بأجر نقدي أحسن وأكثر إغراء من الخدمة فى الأرض ثمناً لعرق جبينه ، وهو ما جعل السادة الإقطاعيين أصحاب الضياع غير قادرين على زراعة أراضيهم إلا بتأجير الفلاحين بأجور نقدية ، من مختلف الجهات والبلاد الخارجة عن حيازتهم الإقطاعية .

وترأت هذه الحال الجديدة فى وضوح لأهل الطبقة الإقطاعية الحاكمة فى إنجلترا وفرنسا ، وأفزعهما ما سوف يترتب عليها من نتائج ثورية ، فسنت فرنسا قوانين حرمت على الفلاحين وسائر عمال الحرف أن يأخذوا أكثر من الثلث ، فوق أجورهم السابقة على الفناء . وقرر البرلمان فى إنجلترا بقانون العمال عودة الأتقان وعمال الحرف إلى أجورهم القديمة ، كما حرّم عليهم الانتقال من جهة إلى أخرى .

غير أن نواميس الاقتصاد لا تستطيع أن تقف جامدة راکدة ، وإن كان من المستطاع تعطيلها مدة قصيرة بقوة القانون ، ولذا لم تلبث القوانين التى شرعتها إنجلترا وفرنسا أن عجزت عن تعويق حركة أنشطتها الأحوال العامة المعاصرة ، بل بقلر ما قلت خدمة الفلاحين الأتقان فى أرض السادة الإقطاعيين على الطريقة القديمة ، وضحت فائدة استخدام الفلاحين الأحرار من مختلف الجهات ، على قاعدة الأجور النقدية .

وهكذا أخذت العوامل الاقتصادية الجديدة تقوّض من دعائم نظم العصور الوسطى شيئاً فشيئاً ، حتى إذا تحلل الفلاح القنّ مما يربطه بالأرض من قيود العرف الإقطاعي ، وغدا حراً في تسعير خدماته في سوق العمل ، لم تلبث الأصوات الاقتصادية الجديدة أن ارتفعت متحدية النظام الاجتماعي الأوربي كله ، منذرة بما سوف تمتلي به أواخر العصور الوسطى وأوائل العصور الحديثة من ثورات الفلاحين في إنجلترا وفرنسا وألمانيا والأراضي المنخفضة .

ومما ترتب على ذلك الوباء الأسود كذلك في غرب أوروبا أن كثيراً من المدن الأوربية الكبرى قامت بسلسلة من المذابح والتخريب ضد سكانها من اليهود ، على عادة الأوربيين ، ولا سيما في العصور الوسطى ، عند كل كارثة تنزل بأوروبا ، على حين عاش اليهود بالشرق الإسلامي في رغد واطمئنان في كل العصور ذلك أن الأوربيين اعتقدوا أن كل الكوارث كان سببها دائماً هم اليهود ، وقالوا مثلاً إن الوباء الأسود مكيدة خبيثة من أبناء هذا الجنس ، للقضاء على المسيحية الكاثوليكية .

وبقدر اشتعال الوباء في مختلف المدن الأوربية كان اشتعال الحرائق وخاصة في المدن الألمانية ، حيث سيقّت المئات والألوف من اليهود للموت حرقاً بالنار ، ونجم عن هذه الأعمال أمر على جانب من من الأهمية في التاريخ الأوربي ، إذ وجد اليهود الذين استطاعوا الهرب من غرب أوروبا ملجأ في بولندة وغيرها من أقاليم أوروبا الشرقية ، أي أن كارثة الوباء الأسود أدت إلى تغيير التوزيع السكاني اليهودي في العصور الوسطى وما تلاها من العصور الحديثة .

ولكارثة الوباء الأسود نتائج أخرى ، ففي فلورنسا نقلا عن الوصف المعروف الذي كتبه بوكاشيو في أخبار الوباء بتلك المدينة ، أسلم البعض أنفسهم لأنواع المللات ، واستولى على البعض طوف ديني ، وأولئك هم السياطيون الذين ساروا جهاعات في طرقات المدينة يضربون أنفسهم

بسياط من حديد ، تكفيراً عن ذنوب المذنبين من الناس ، وتزلفاً إلى السماء أن ترفع غضبها عن المخلوقات ، على حين اتخذ فريق لم يكونوا من هؤلاء ولا هؤلاء حياة اللصوصية وقطع الطرق سبيلاً للعيش .

وثمة نتيجة عابرة أخرى من نتائج هذا الوباء ، هي أن البابا كلمنت السادس – والكرسي البابوي وقتذاك في آفينون بفرنسا – دعا أرباب الطب إلى محاولة جريئة فريدة في تلك العصور الوسطى ، لتشخيص أسباب الوباء ، فنبشت قبور ، وأخرجت جثث للفحص . ومع أن هذه المحاولة الطبية الجريئة انتهت إلى لا شيء ، فإنها غيرت على الأقل من موقف الكنيسة نحو تشريح الجسم البشري ، في سبيل المعرفة والعلم .

”

هذه خلاصة ما جاءت به البحوث الأوربية في نتائج الوباء الأسود الذي بدأ في الشرق الأوسط كما تقدم ، وظل مشتعلًا به مدة أطول مما اشتعل في أوربا ، وهي خلاصة شارحة تجعل كثيراً من ملامح التاريخ الأوربي منذ أواخر العصور الوسطى واضحاً مفهوماً ، للمشتغلين بتاريخ أوربا الحديث : وينبغي أن يكون لدينا من نتائج بحث الباحثين في تاريخ هذا الوباء في الشرق الأوسط كله ما نستطيع به أن نفسر جوانب تاريخ مصر والشام مثلاً ، منذ القرن الرابع عشر الميلادي ، تفسيراً جديداً ، لأنه لا شك أن المجتمع في مصر والشام لم يقل حساسية عن المجتمع الأوربي ، ولا بد أن الوباء أحدث بمصر والشام مثلاً أحدث بإنجلترا وفرنسا ، أو ما هو أكثر من ذلك ، نظراً لزيادة طول مدة اشتعاله بالشرق .

وفي صفحات المراجع العربية المعاصرة لوباء أو القرية منه ما يسعف الباحث بالمادة الوفيرة ، ومثال ذلك ما أورده المقریزی في « كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك » من إشارات متنوعة متقطعة ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ، فضلاً عما سبق إيراده هنا من أخبار هذا الوباء ، ما كتبه المقریزی بالجزء الثاني من هذا الكتاب هكذا :

(ص ٧٧١) « وفيه انحلت إقطاعات كثيرة لموت الناس ... » .
(ص ٧٧٢) « فكانت سنة كثيرة الفساد في عامة أرض مصر والشام ،
من كثرة النفاق ، وقطع الطريق ... » .

(ص ٧٧٥) « وشمل الموت أهل البرلس ونستراوة ، وتعطل الصيد من
البحيرة لموت الصيادين ... وعمّ الوباء جميع تلك الأراضي ، ومات الفلاحون
بأسرهم ، فلم يوجد من يضمّ الزرع ، وزهد أرباب الأموال في أموالهم ،
وبذلوا للفقراء ... » .

(ص ٧٧٩) « وتعطلت بساتين دمياط وسواقيها ، وجفّت أشجارها ،
لكثرة موت أهلها ودوابهم ... » .

(ص ٧٨٥) « ثم كان الحال كذلك بأراضي مصر ، فما جاء أوان الحصاد
حتى في الفلاحون ، ولم يبق منهم إلا القليل ، فخرج الأجناد وغلماهم لتحصد ،
ونادوا : من يحصد ويأخذ نصف ما يحصده . فلم يجلدوا من يساعدهم
على ضمّ الزرع ، ودرسوا غلالهم على خيولهم ، وذروها بأيديهم ، وعجزوا
عن كثير من الزرع فتركوه . وكانت الإقطاعات قد كثرت تنقلها من كثرة
موت الأجناد ، بحيث كان الإقطاع الواحد يصير من واحد إلى آخر حتى
يأخذه السابع والثامن . فأخذ إقطاعات الأجناد أرباب الصنائع من الحياطين
والأساكفة والمنادمين (كذا) ، وركبوا الخيول ، ولبسوا الكلفة
والقباء ... » .

(ص ٧٨٦) « وتعطلت أكثر الصنائع ، وعمل كثير من أرباب الصنائع أشغال
الموتى ، وتصدى كثير منهم للنداء على الأمتعة ، وانحط سعر القماش ونحوه ،
حتى بيع بنحو ثمنه وأقل ، ولم يوجد من يشتريه . وصارت كتب العلم
ينادى عليها بالأحبال ، فيباع الحمل منها بأخمس ثمن وانضعت أسعار المبيعات
كلها ، حتى كانت الفضة النقرة التي يقال لها بمصر « الفضة الحجر » تباع
العشرة منها بتسعة دراهم كاملة ، وبقي الدينار بخمسة عشر درهما ، بعد ما

كان بعشرين . وعدهمت جميع الصنائع ، فلم يوجد سقاء ، ولا بابا ولا غلام . وبلغت جامكية غلام الخيل ثمانين درهماً في كل شهر ، بعد ثلاثين درهماً . فنودي بالقاهرة من كانت له صنعة فليرجع إلى صنعته ، وضرب منهم جماعة . وبلغ ثمن راوية الماء إلى ثمانية دراهم ، لقلة الرجال والمال ، وبلغت أجرة طحن الأردب القمح خمسة عشر درهماً ... » .

•

ومن الواضح من هذه الاقتباسات أن المقرئ مزج بين النتائج السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي نتجت عن هذا الوباء الكبير في مصر والشام ، وأنه لم يفرق بين القريب والبعيد من هذه النتائج .

على أن موضع الأهمية هنا هو وجود هذه الحقائق وأشباهاها في المراجع العربية الكبرى ، دون أن يجعل منها مؤرخ مصرى أو سورى في العصر الحاضر بحثاً تمهيدية لتاريخ اقتصادى للشرق الأوسط ، أو وسيلة لإضافات تفسيرية لتاريخ الدولة المملوكية الأولى منذ بداية عصر أولاد السلطان الناصر محمد إلى نهاية هذه الدولة .

ذلك أن المتواتر في المؤلفات التاريخية العامة أن سلطنات أولاد السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، وهم الذين تصف المراجع العامة عهودهم وأشخاصهم بالضعف ، هي التي أدت إلى نهاية هذه الدولة في سلسلة من اضطرابات وفتن داخلية ، محورها عجز أمراء الدولة عن أن يجدوا في تكوينهم المملوكى العسكرى متسعاً لقبول مبدأ التوريث في السلطنة ، أو أن يروا في السلاطين أولاد الناصر محمد موضعاً لاحترام أو هيبة أو خشية ، وكل من أولئك السلاطين في الواقع أسوأ من غائب عن شئون السلطنة . ولهذا وذاك عمل كل أمير من أمراء الدولة لحسابه في عنف وأنانية واستمرار ، وبدا المجتمع المملوكى في مصر والشام كأنما لكل أمير فيه قانون خاص به ، يجمع البروة والنفوذ لنفسه على مقتضاه ، ويبنى المسجد والمدرسة والزاوية

والقبة والضريح باسمه استجابة لمظاهر الدين ، أو إشباعاً للتقوى ، أو حباً للذكرى . على أن ذلك كله لم يكن مرجعه ضعف السلاطين الأنجال فحسب ، بل مرجعه كذلك ما طرأ على المجتمع المملوكى المصرى من تغيرات عميقة بسبب الفناء الكبير ، والأدلة على ذلك لا تقتصر على ما تقدمت الإشارة إليه من تعميمات المؤرخين ، بل تراءى مبعثرة في أخبار الدولة المملوكية وتكوين الجيش المملوكى ، وثورات الفلاحين والعربان .

ويقال مثل ذلك بصدد عجز الدولة المملوكية الثانية عن دفع الخطر التيمورى عن مصر والشام ، إذ تروى المراجع العامة أن هذه الدولة الناشئة لم تستطع أن تقف في وجه تيمورلنك ، أو أن تمنع مذلات الاحتلال التيمورى لدمشق ، لا لسبب سوى ضعف السلطان برقوق وابنه فرج ، بدليل أن هذه الدولة الجديدة لم تكن أقل قوى اقتصادية أو طاقات بشرية من دولة المماليك الأولى التى وقفت وقفها التاريخية المحيطة زمن السلطان قطز ضد هولاكو وجنوده ، أى قبل كارثة تيمورلنك بمائة وخمسين سنة تقريباً . غير أن هذا القول العام فيه شيء كثير من التناقض ، لأن السلطان برقوق مثلاً هو الذى أقام الدولة المملوكية الثانية ، وبرهن على مقدرات ومواهب خاصة ليس الضعف الشخصى جزءاً منها . ثم إن القوى الاقتصادية والطاقات البشرية التى تيسرت للسلطان فرج وبرقوق ، لم تكن شيئاً مذكوراً بالقياس إلى نظائرها السالفة زمن السلطان قطز . ولذا فالأقرب للمعقول فى ضوء الحقائق التاريخية غير الملحوظة ، أن المجاعة التى أكلت الحرث والنسل لمدة اثنتى عشرة سنة فى مصر والشام ، من منتصف عهد برقوق إلى منتصف عهد فرج ، والتى ذكرها المقرئى فى كتابه إغاثة الأمة ، هى التى أوهت قوى المقاومة المملوكية ضد تيمورلنك وجنوده ، وملأت البلاد بثورات الأمراء المماليك ، ومحاولة الخليفة العباسى وقتذاك أن يجعل شخصه مستودع السلطنة والخلافة معاً . والمعروف أن هذه المجاعة الطويلة تخللها وباء كبير ، وهذا الوباء الذى

أعجز بنية الجيوش المملوكية عن القيام بأية حركات هجومية ضد الدولة حتى زمن السلطان برسباى .

وليس يكفى للمؤرخ هنا أن يكون عالماً بقواعد البحث والكتابة فى التاريخ ، من جرح وتعديل وحساسية لمقتضيات التوزيع والتناسب والتنسيق والتركيز ، بل لابد له أن يكون كذلك عارفاً ، معرفة عملية على الأقل بنظريات علوم الاقتصاد والاجتماع وشروحها وبراهينها .

*

ولذا ينهز كاتب هذه السطور ما لديه هنا من فرصة ، للدعوة إلى ضرورة إدخال علوم الاقتصاد السياسى والاجتماع والفلسفة السياسية كذلك ، مع الجغرافيا واللغات الأجنبية ، فى أقسام التاريخ ، للتخصص فى هذه المواد تخصصاً ملائماً للأغراض التاريخية ، بحيث يغدو محتملاً أن نرى مؤلفات وطيدة القيمة العلمية فى جميع عصور التاريخ الاقتصادى ، والتاريخ الاجتماعى ، فضلاً عن مؤلفات جديدة فى التاريخ السياسى العام ، للشرق العربى كله ، فى المستقبل القريب .

الدكتور محمد كامل عياد

— ١٢ —

المُسْتَشْرِقُونَ وَالتَّائِيخُ الْعَرَبِيُّ

المستشرقون والتبليغ العربي

هناك كتابان فقط بالعربية يبحثان في الاستشراق : أولهما « المستشرقون » بقلم نجيب العقيقي ، وهو عبارة عن فهرس يتضمن تراجم أحوال المستشرقين من مختلف الجنسيات مع أسماء مؤلفاتهم ثم ، في خاتمته بحث عام للإشادة بفضل المستشرقين والرد على الانتقادات التي وجهت إليهم . والكتاب الثاني هو « الإسلام والحضارة العربية » الذي ألفه الأستاذ محمد كرد علي للرد على مطاعن المستشرقين والشعوبيين في العرب والإسلام . وعلى الرغم من أن الأستاذ كرد علي كان قد أشار في محاضرة له إلى « أن أكثر المستشرقين قد جعلوا علمهم لخدمة دولهم وأممهم » فهو لا يتعرض إلا إلى القلائل من المعروفين بالتعصب الديني ، كما أنه يعتمد كل الاعتماد على مستشرقين وكتاب غربيين آخرين في الدفاع عن العرب والإسلام .

إن موضوع الاستشراق خطير جداً ، وهو يحتاج إلى مباحث كثيرة ودراسات واسعة عميقة . ومهما كان رأينا في نوايا المستشرقين فلا بد لنا من الاهتمام بأعمالهم ، فنحن بحاجة إلى اقتباس طرائقهم في البحث العلمي والنقد التاريخي ، ولا يمكننا إدراك نقاط الضعف فينا وتكوين فكرة صحيحة عن أنفسنا إلا إذا عرفنا ما يقوله الآخرون عنا . ولا جدال في أن كل من يرغب في دراسة تاريخ العرب وحضارة الإسلام لابد له في الوقت الحاضر من الرجوع إلى مباحث المستشرقين . فإن هؤلاء قد سبقونا وأخذوا منذ أوائل القرن التاسع عشر ينشرون أهم المصادر عن تاريخنا وحضارتنا مع بدل

أعظم الجهود في تحقيقها علمياً ووضع الفهارس الضرورية والشروح الوافية لها . وقد أعيد طبع بعض هذه المصادر في البلاد العربية ولكن ، مع الأسف ، بصورة ناقصة ، مغلوطة ومشوهة ، في حين أن قسماً آخر هاماً لم تقدم على نشره حتى الآن . وإذا كنا قد بدأنا في السنوات الأخيرة نتبع طريقة المستشرقين في إحياء تراثنا القديم فإننا مازلنا مضطرين عند دراسة تاريخنا إلى الاعتماد على الطبقات الأوربية لمصادر عربية أساسية مثل الطبقات الكبرى لابن سعد، وفتوح البلدان للبلاذري، وتاريخ الرسل والملوك للطبري، وتجارب الأمم لابن مسكويه والآثار الباقية عن القرون الخالية للبيروني، وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي ، ونزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي وغيرها .

كذلك سبقنا المستشرقون إلى التنقيب عن آثار أجدادنا . وقد انتقل أكرم هذه الآثار ، ولا سيما النقوش الكتابية التي ظهرت في اليمن ، إلى المتاحف الأوربية .

أضف إلى ذلك الدراسات التي قام بها المستشرقون بالاستناد إلى الأخبار والوثائق والآثار التاريخية . ومن العسير جداً إحصاء المؤلفات التي نشرها المستشرقون منذ القرن السادس عشر حتى اليوم والتي تبحث في تاريخ العرب والإسلام من مختلف النواحي السياسية والدينية والفكرية والفنية . ولا بد من الاعتراف بأننا مازلنا عالة على هؤلاء المستشرقين عند دراسة النقوش الكتابية في اليمن وتدمير البتراء وعند معالجة الموضوعات المتعلقة بتاريخ العرب القديم على عهد الآشوريين والآراميين واليونان والرومان والبيزنطيين والتي تتطلب معرفة اللغات القديمة .

والآراء متضاربة بشأن مباحث المستشرقين في سيرة الرسول والفتوحات العربية وحكم الأمويين والعباسيين والحروب الصليبية والحضارة الإسلامية والنهضة العربية الحديثة . لأنه لاغنى لنا ، على كل حال ، عن الاطلاع على هذه المباحث سواء للاستفادة منها أو للرد عليها .

إننا لانستطيع تحصيل موقفنا من الاستشراق إلا بعد دراسة دقيقة له كحركة عامة تشمل فروعاً عديدة من الدراسات في المعاهد العلمية العالية والمؤسسات الخاصة من جمعيات ومجلات ومؤتمرات دولية . وهنا نصطدم بكثير من الأسئلة الشائكة والنقاط الغامضة التي تحتاج إلى الإجابة والتوضيح.

متى وكيف بدأ الاستشراق ؟ لماذا شعر الأوروبيون بالحاجة إلى دراسة (الشرق) على وجه التخصيص ؟ ثم ماذا يقصد بالشرق ؟ وكيف تحول هذا الاصطلاح الجغرافي - الفلكي إلى مفهوم سياسي - تاريخي ، وما هي الاختلافات والمنازعات التي رافقت ذلك على ممر العصور بين شعوب أوروبا من جهة وشعوب آسيا وإفريقيا من جهة ثانية ؟

عند الإجابة على هذه الأسئلة يتبين أن الاستشراق قد بدأ في القرنين الثالث عشر والرابع عشر لأهداف دينية وعلى الأخص للرد على الإسلام وللتبشير بالمسيحية بين المسلمين واليهود والصينيين والهنود . كذلك كانت البابوية تهتم بتوحيد الكنائس الشرقية والغربية وكان لابد من معرفة العربية واللغات الشرقية الأخرى في سبيل تحقيق هذا الهدف . وتأسيس الطباعة العربية في إيطاليا في أواخر القرن السادس عشر إنما تم بمجهود الكنيسة ولأغراضها التبشيرية . وهناك عامل ديني آخر دفع إلى دراسة اللغة العربية وأعني بذلك الإصلاح البروتستانتي ومارافقه من رغبة في قراءة الكتب المقدسة بلغاتها الأصلية وضرورة الاستعانة بالعربية في تفسيرها وفهمها .

لا شك في أن هذه النوافع الدينية قد تضاعف شأنها في العصور التالية وكادت تزول في بعض العهود وصار الكثيرون من المستشرقين ينكرون أحياناً الانقياد إليها ويحاولون أحياناً أخرى إخفاءها . ولكن تأثيرها ما زال ظاهراً حتى اليوم في معالجة الموضوعات الشرقية عامة والتاريخ الإسلامي خاصة . ويلاحظ أن عدداً كبيراً من المستشرقين الأوروبيين والأميركيين قد بدءوا حياتهم العلمية بدراسة اللاهوت قبل الانتقال إلى الاستشراق وأن

البعض من هؤلاء ظلوا يتولون وظائف دينية وتبشيرية وأن طائفة منهم ما زالت تتصف بالتعصب الشديد حتى في هذا العصر .

على أن الدافع الديني وحده لم يكن كافياً لتقدم الدراسات الشرقية واتساعها . وفي الحقيقة لم يتطور الاستشراق إلا بتأثير الاستعمار الغربي ولأجل تحقيق أغراضه السياسية والاقتصادية . ومن المهم جداً بالنسبة لنا أن نكشف عن العلاقة الوثيقة بين الاستعمار والاستشراق وأن نشرح كيف اندفع الهولنديون مثلاً إلى دراسة اللغات والديانات الشرقية وفي مقدمتها اللغة العربية والعقيدة الإسلامية حرصاً على مصالحهم التجارية الواسعة في البلاد العربية وسعيًا وراء مطامعهم الاستعمارية في الهند الشرقية . ويجب أن نوضح كيف تأسست معاهد الاستشراق وجمعيات المستشرقين مثل « معهد اللغات الشرقية » الذي أسسه بطرس الأكبر في روسيا و « الجمعية الآسيوية للبنغال » التي أسسها الإنكليز و « الجمعية الآسيوية » في فرنسا و « جمعية المستشرقين الألمان » وغيرها ، ولماذا كانت الحكومات تشجعها وتقدم لها الأموال الطائلة وكيف أنها جميعاً ، رغم تظاهرها بالسعي وراء أهداف عامية ، كانت ترمى إلى أغراض اقتصادية وسياسية ودينية . ولما كانت العلاقة بين الاستعمار والاستشراق متشعبة متشابكة معقدة ؛ فلا بد لنا من التعرض إلى مسائل كثيرة عويصة . هكذا يجدر بنا أن نتابع تطور دراسة المستشرقين واختلاف الموضوعات التي كانت تسترعى انتباههم في شتى أدوار الاستعمار من دور الغزو والتوسع إلى دور توطيد النفوذ الأوروبي في الشرق ثم دور مقاومة الثورات القومية التحررية . وينبغي أن نحصل على معلومات كافية عن المهمات التي كان يعهد بها إلى علماء الاستشراق ، إذ من المعروف أن كثيرين بين هؤلاء لم يكونوا أساتذة في الجامعات والمعاهد العالية وأعضاء في البعثات الأثرية فحسب ، بل كانوا أعضاء مستشارين وموظفين وجواسيس في دوائر الخارجية والمستعمرات والاستخبارات . ولا مناص لنا من التساؤل عن العلاقة بين جهود إنكلترا السياسية في القرن التاسع عشر لتأمين سلامة

طريق الهند وبين نشاط المستشرقين الإنكليز ورحلاتهم إلى الجزيرة العربية .
ومن المعلوم أن الدراسات العربية لم تتسع في فرنسا إلا بعد الاستيلاء على
الجزائر وتونس . وإذا رأينا المستشرقين الفرنسيين يوجهون كل عنايتهم
إلى قبائل البربر ويدرسون تاريخها وعاداتها وتقاليدها فالغاية الاستعمارية
واضحة .

ثم ما هي الأسباب التي تدفع المستشرقين عامة إلى تركيز اهتمامهم على
تاريخ الشعوب الشرقية في الماضي البعيد وإهمال تطور هذه الشعوب في
العصور الحديثة والسكوت عن نهضاتها القومية وحركاتها التحررية الحاضرة ؟
ولماذا يبالغون في تمجيد الحضارات الشرقية القديمة ولكنهم يقتصرون على
وصف العناصر البالية الميتة في هذه الحضارات دون الإشارة إلى عناصرها
الصالحة للحياة والتي كان لها تأثير في تقدم الإنسانية ؟

إن مباحث المستشرقين في النهضة العربية الحديثة قليلة جداً وهي مختصرة
وسطحية على العكس من دراساتهم عن تاريخ العرب القديم وعن التاريخ
الإسلامي ، فإنها كثيرة تكاد لا تحصى وهي تتعرض إلى عدد كبير من
المسائل ولكنها تحوم في الغالب حول الفن الأهلية والخلافات المذهبية ومظاهر
الانقسام والتفسخ . وهذه الدراسات قلما تعالج الحياة الاقتصادية والاجتماعية
والحركات الشعبية وتطور الأنظمة السياسية . إنها تتمركز حول المسائل
اللغوية والنصوص الدينية وأخبار قصور الملوك والأمراء والحفريات الأثرية .
ومن الغريب أن نرى المستشرقين يبذلون كل جهودهم للكشف عن العوامل
الخارجية والعناصر الغربية التي كان لها بعض التأثير في نشأة الإسلام والحضارة
العربية في حين أنهم يذكرون باختصار أو بالأحرى يهملون بالمرّة مظاهر
التطور والتجديد والابتكار عند العرب . على أن هؤلاء المستشرقين الذين
يحاولون إرجاع الفلسفة والعلوم العربية إلى أصولها اليونانية يعودون من جهة
ثانية ويتوسعون في بيان الفروق الجوهرية بين الشرق والغرب ، وينكرون
على الشرقيين وبينهم العرب أن يكونوا قد بلغوا مستوى اليونان القدماء .

وبالتالى مستوى الأوروبيين الحديثين فى إدراك فكرة الإنسانية ومفهوم العلم وحقيقة الفن .

ويدعى المستشرقون أن للشرقين « عقلية » خاصة وطريقة خاصة فى التفكير ويستنتجون من ذلك أنه لا يمكن مقارنة ما يجرى فى الشرق اليوم بما يشابهه من الحركات القومية فى الغرب وأنه يجب فصل تاريخ الشرق فصلاً تاماً عن تاريخ الغرب .

ولابد من أن يؤخذ فى الاعتبار أن المستشرقين المتأخرين أمثال (مرجليوث) و (قايتانى) و (لامنس) قد استطاعوا أن يوحّدوا بين الأغراض الاستعمارية والأهداف الدينية التبشيرية .

لا شك فى أن هناك عوامل أخرى كان لها أيضاً تأثير فى تقدم الدراسات الشرقية . مثال ذلك تقدم علم التاريخ فى القرن التاسع عشر . فقد أدرك الباحثون أنه لا يمكن الكشف عن قوانين التطور التاريخى العام إلا بالطريقة المقارنة التى تتطلب العناية بتاريخ الأمم الشرقية إلى جانب تاريخ الغرب . كذلك لا ننكر أن بعض المستشرقين قد اندفعوا إلى دراسة تاريخ العرب أو حضارة الصين بدافع من حب المعرفة والبحث عن الحقيقة ، ولكن الجهود العلمية التى يبذلها أمثال هؤلاء الأفراد لا يمكن أن تبدل الاتجاه العام فى حركة الاستشراق . ونحن وإن كنا مضطرين إلى الرجوع إلى مباحث المستشرقين فمن واجبنا أن نسعى إلى دراسة تاريخنا بأنفسنا وأن نصصح أخطاء المستشرقين ومغالطاتهم وأن نرد على دسائسهم ومطاعنهم بالطريقة العلمية الانتقادية التى يتبعونها .

تلك هى المسائل التى أبحث فيها بالوقت الحاضر . وقد بدأت فى السنة الماضية بإلقاء عدة محاضرات تمهيدية عنها على طلاب معهد الدراسات العربية العليا فى القاهرة . وأرجو أن تسمح لى الظروف بإتمام دراسة الموضوع فى سبعة قريية . . .

محمد عبد الله عنان

البحوث في الآداب الإسلامية

البحوث الأندلسية

جازت البحوث الأندلسية منذ أوائل القرن الماضي عدة مراحل ،
وتطورت تطوراً كبيراً . وهذا القول ينطبق أولاً على البحوث الغربية ،
لأن البحوث العربية لم تنشط خلال القرن الماضي في الميدان الأندلسي ،
وكان أخو مجهود ضخم بذل من جانبها في هذا الميدان هو كتاب « نفح
الطيب » لشهاب الدين المقري ، وقد كتب في أوائل القرن السابع عشر (سنة
١٦٣٠ م) . وقد لبث « نفح الطيب » خلال قرنين أشهر مرجع وأغزر
مصدر للدراسات العربية الأندلسية ، وذلك بالرغم من كونه ليس تاريخاً للأندلس
بالمعنى الصحيح ، إذ هو في الواقع عبارة عن مجموعة كبيرة من الروايات
والنصوص التاريخية والأدبية ، التي جمعت عن تاريخ الأندلس وآدابها ،
وذلك دون تمحيص أو تعليق أو اجتهاد نقدي من أى نوع .

وهكذا لبثت البحوث العربية راكدة ، خلال القرنين السابع عشر والثامن
عشر . ومنذ أوائل القرن التاسع عشر تنشط البحوث الغربية ، وتبقى البحوث
العربية على ركودها ، معتمدة على النقل الجرد من « نفح الطيب » وبعض
المصنفات العربية القليلة الأخرى ، مثل كتب ابن الخطيب ، وتاريخ ابن خلدون .
وقد بدأ نشاط البحوث الغربية عقب ظهور فهرس الغزيري باللاتينية
عن مخطوطات مكتبة الإسكوريال الأندلسية (ما بين سنتي ١٧٦٠ و ١٧٧٠ م)
وما ورد فيه من نبد ونصوص هامة عن تاريخ اسبانيا المسلمة ، وأحوالها
الاجتماعية والحضارية ، وما سجل فيه من المصادر المخطوطة الهامة ، المتعلقة
بتاريخ الأندلس وآدابها .

وقد كان في مقدمة الباحثين الذين انتفعوا بفهرس الغزيري ، العلامة اليسوعي الإسباني ماسدي ، حيث أخرج كتابه الضخم « التاريخ النقدي لإسبانيا والحضارة الإسبانية » Historia critica de España y de la Cultura Española. وهو يفسح في مؤلفه مجالا كبيرا للمراجع العربية ، وينقل منها نبذاً طيبة عن خواص المجتمع الإسلامي في إسبانيا ، ونواحي التفكير الإسلامية . وتلاه المؤرخ الإسباني يوسف كوندي ، فوضع كتابه الشهير « تاريخ دولة العرب في إسبانيا » Historia de la Dominación de los Arabes en España. وفيه ينقل كثيراً من الروايات العربية ، سواء من معجم الغزيري أو من المراجع العربية الأصيلة بمكتبة الإسكوريال .

وكوندي ينقل ما ينقل دون دقة ودون تمحيص أو مقارنة ، ويقع في كثير من الأخطاء التاريخية ، ولكنه يمتاز في تعليقاته وملاحظاته بالصراحة الجمة حتى أنه يذهب أحيانا إلى إصدار أشد الأحكام على أمته ومواطنيه . وقد كان مؤلف كوندي عرضة لمطاعن شديدة من بعض الباحثين الأوروبيين ، ولا سيما العلامة دوزي .

على أن البحوث الأندلسية تخطو على يد العلامة الهولندي رينهارت دوزي خطوة واسعة المدى . ودوزي هل أول عالم مستشرق ، استطاع أن ينتفع بالمراجع العربية أعظم انتفاع ، وأن يقدم للعالم الغربي وجهات النظر الإسلامية في صور قوية لامة . وقد كان كتابه « تاريخ المسلمين في إسبانيا حتى فتح المرابطين » Hist. des Musulmans d'Espagne jusqu'à la conquête de l'Andalousie par les Almoravides. فتحا حقيقيا في البحوث الأندلسية ، وكذلك فإن كتابه الآخر « بحوث في تاريخ إسبانيا وآدابها في العصور الوسطى » Recherches sur l'Histoire et la Littérature de l'Espagne pendant le Moyen Age. من أقيم ما كتب في موضوعه . ويلقى دوزي في كتابه أضواء كثيرة ، على أمور ومسائل عديدة في التاريخ الأندلسي . ولم تقف جهود دوزي عند التأليف في هذا الميدان ، ولكنه وفق كذلك إلى نشر مراجع

نفيضة عن تاريخ الأندلس وجغرافيتها منها ، « البيان المغرب » لابن عذارى ،
وبعض أقسام من « الحلة السراء » ، والمصادر المخطوطة لتاريخ بنى عباد ، ووصف
الأندلس للشريف الإدريسي وغيرها .

ويعتبر دوزى بحق أعظم باحث فى تاريخ اسبانيا المسلمة فى القرن
التاسع عشر ، وقد كان لجهوده فى هذا الميدان ، أعظم الأثر فى تطور البحوث
الأندلسية .

على أننا نستطيع الآن ، وقد مضى على بحوث دوزى نحو قرن ، أن
تبيين مصدر التفوق فى بحوثه ، فهو قد وضع يده ، ولأول مرة ، على نصوص
عربية مخطوطة استأثر بالانتفاع بها مثل : « البيان المغرب » لابن عذارى ،
و « اللخيرة » لابن بسام ، و « الإحاطة » لابن الخطيب ، وقد ترجم الكثير
من محتوياتها . ولو تتبعنا كتابه « تاريخ المسلمين فى اسبانيا » بإمعان لألفيناه
فى كثير من مواضعه ، عبارة عن ترجمة حرفية لكتاب « البيان المغرب »
لابن عذارى ، ولنبد مخطوطة أخرى من كتاب « الإحاطة » ، و « الحلة
السراء » . ونستطيع فيما يتعلق بالحلة السراء أن نقول إن دوزى من أجل
الاستثارة بمادته ، قد عمد إلى تمزيقه بطريقة تنافى الأوضاع العلمية السليمة ،
فنقل عنه سائر التراجم التى تتعلق ببني عباد ورجالهم ، فى كتابه : « تاريخ
بنى عباد » ، ثم استخرج منه التراجم الخاصة بالأندلسيين ونشرها على حدة ،
وترك الباقي لينشره باحث أوربي آخر هو المستشرق الألماني ميللر . وقد نشره
ضمن ما نشر فى مجموعته :

Beiraege zur Geschichte des Wesentlichen Araber.

وإلى جانب ذلك كله ، ومع اعترافنا بمقدرة دوزى النقدية ، وروعته
فى التصوير والعرض ، فإنه يبدى فى مواطن كثيرة تحاملا واضحا ، قومياً
ودينياً معاً . وليس هنا موضع تبيان هذه المواطن .

وقد كان لتلك الوثبة القوية التى وثبتها البحوث الأندلسية على يد العلامة
دوزى ، صداها العميق فى هذا الميدان ، فنشطت البحوث الأندلسية فى معظم

دوائر الاستشراق ، وبدأت المصادر العربية الأندلسية تخرج تباعاً على أيدي محققها من العلماء المستشرقين لتضع ثروات جديدة بين أيدي الباحثين . وكان من أقيم الجهود في هذا الميدان ، نشر المكتبة الأندلسية ، في عشر مجلدات ضخمة ، وذلك على يد لفييف من المستشرقين الإسبان ، فيما بين سنتي ١٨٨٣ ، ١٨٩٤ . وقد كانت أواخر القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن الحالى بالنسبة للاستشراق الإسباني ، فترة ازدهار قوى ، وقد بلغت البحوث الأندلسية في اسبانيا أوجها في تلك الفترة ، وهي التي نبغ فيها أعلام مثل كوديرا ، وريبيرا ، وپونس بويجس ، وسيمونيت ، وجسبار ريميرو ، وآسين بالاثيوس ، وجونثالث بالانثيا ، وغيرهم ممن أسدو إلى البحوث الأندلسية أقيم الخدمات .

وفي ميدان الاستشراق الفرنسي ، برز في البحوث الأندلسية في العصر الأخير ، بالأخص للمرحوم الأستاذ ليفي پروفتسال ، وهو قد أتم عمل دوزي في معنى من المعاني ، إذ نشر الجزء الثالث من «البيان المغرب» ، ونشر مؤلفات ونصوصاً أندلسية كثيرة أخرى ، ولا سيما جمهرة أنساب العرب لابن حزم ، وكتاب المرقبة العليا للنباهي ، وكتاب «التبيان أو مذكرات الأمير عبد الله بن بلقين» ، و«تكملة التكملة لابن الزبير» ونصوصاً كثيرة عن الموحدين ، والجزء الخاص بجغرافية الأندلس من الروض المعطار . وفضلاً عن ذلك فقد نشر بالفرنسية كتابه عن «تاريخ اسبانيا المسلمة» ، وهو مؤلف قيم ، لا يقل عن مؤلف دوزي من حيث قيمته العلمية والنقدية .

هذا ، وأما عن البحوث الأندلسية في بلادنا العربية ، فإنها قد لبثت عصراً طويلاً في ركود مؤسف . وقد لبثنا عصوراً نكتفى بقراءة كتاب «نفع الطيب» للمقرئ ، وبالنقل عنه دون تحفظ . ولم يبدل حتى أوائل هذا القرن أى جهد لنشر الكتب الأندلسية ، ولم تنشر منها مطبعة بولاق ، فيما نشرته من عديد الكتب والمراجع سوى «نفع الطيب» ، وهذا في نفس الوقت ، الذي كانت فيه دوائر المستشرقين ، تتحفنا بصورة مستمرة بالمراجع

والنصوص الأندلسية القيمة ، وتغزو ذخائرنا المخطوطة ، سواء في المشرق أو المغرب ، وتخرج منها النفيس والنادر .

وقد أخذت البحوث الأندلسية العربية ، منذ بداية هذا القرن ، تبدو في الأفق بطيئة قليلة ، تغشاها في نفس الوقت الأساليب العتيقة من النقل المجرد ، ومن غلبة الأدب والشعر على النصوص التاريخية ، ومن فقد الروح النقدي ، والتمحيص العلمي . وبدأ في نفس الوقت نشر المراجع التاريخية الأندلسية ، وكان من أهم مانشر منها في بداية هذا القرن جزءان من كتاب الإحاطة لابن الخطيب . وبالرغم من أن الجامعة الرسمية أنشئت بمصر منذ سنة ١٩٢٥ ، فإن التاريخ الأندلسي لم يأخذ في جامعاتنا مكانته الحقة ، ولم تتخذ دراسته العناية الكافية . ولم تقم جامعاتنا بنشر أية نصوص أندلسية ، سوى أجزاء قليلة من كتاب « الذخيرة » ، قامت على نشرها جامعة القاهرة ، ثم توقفت منذ أعوام طويلة .

بيد أنه مما يدعو للارتياح أن نرى الدراسات الأندلسية العربية ، تنشط في العهد الأخير ، وينشط كذلك نشر المراجع الأندلسية . وقد نشر في الأعوام العشرين الأخيرة بالقاهرة كثير من المراجع الأندلسية القيمة ، مثل : « أزهار الرياض للمقرئ » و « معجم ما استعجم » لأبي عبيد البكري و « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم و « المغرب » لابن سعيد ، والجزء الأول من « الإحاطة » بتحقيق جديد ، و « حلية الفرسان » لابن هذيل ، وعدة مراجع أخرى قام على نشرها الاستاذ ليفي بروفسال ، وذكرناها فيما تقدم ، وأعيد كذلك نشر طائفة من المراجع الأندلسية الهامة . ونشرت كذلك بالمغرب في الرباط ، وفي تطوان ، مراجع أندلسية عديدة يضيق المقام عن ذكرها .

وظهرت في نفس الوقت بالعربية طائفة من الكتب والبحوث الجديدة في تاريخ الأندلس تمتاز بالدقة ، وبتمحيص الرواية ، وبروحها النقدي ، وتضارع مثيلاتها من الكتب الغربية في هذا الميدان .

. ومما هو جدير بالذكر أن الخزانة العامة (المكتبة العامة) بالرباط : قد استطاعت في العامين الأخيرين أن تضع يدها على كثير من المخطوطات من محتويات الزوايا والمجموعات الخاصة . وقد وجد من بينها لحسن الحظ ، عدة من المراجع الأندلسية الهامة ، ومنها نسخة فريدة من الجزء الثالث من « البيان المغرب » ، يمتد سياقها التاريخي حتى أواخر عهد الموحدين ، وتمتاز بزيادات كثيرة في البداية والنهاية على سائر المخطوطات الماثلة ، وهو في نظرنا كشف هام ، يفتح آفاقاً جديدة لدراسة عصر الموحدين في المغرب والأندلس .

وقد كان من أبرز الظواهر في البحوث العربية الأندلسية في الفترة الأخيرة أنها تعنى عناية خاصة بالبحوث العربية الإسبانية ، وتستقصى المصادر والمراجع والوثائق في مواطنها الأصلية بالإسكوريال وشنت منكمش ، ودور المحفوظات الإسبانية التاريخية ، وكذلك في مكتبات المغرب الحافلة بالدخائر والمراجع الأندلسية .

ولا يسعنا إلا أن ننوه هنا بما بذله « معهد الدراسات الإسلامية » بمديره في ذلك الميدان من جهود موفقة ، وما يبذله من معاونات قيمة لطلاب البحوث العربية الإسبانية ، وقد كان لقيام هذا المعهد الجليل أثره القوي في تنشيط الدراسات الأندلسية .

الْعَرَاكُ بَيْنَ الْمَمَالِيكِ وَالْأَعْرَاكِ

العراك بين المماليك والأتراك

يخيل لبعض الباحثين أن استيلاء السلطان سليم العثماني على بلاد الشام ومصر ، كان ابن وقته وأن سببه مناصرة السلطان الغوري لشاه إيران ، ولكن النصوص التي نهىها للنشر توحى بأن مطامع الأتراك العثمانيين بالبلدان العربية تمتد إلى عصر السلطان محمد الفاتح ، فهو بعد أن تم له فتح القسطنطينية سنة (٨٥٧ هـ) ووطد أركان ملكه فيها ووضع القوانين لدولته تطلعت عينه إلى البلدان العربية ، وإلى تقويض أركان أعظم مملكة في ذلك العصر وهي مملكة المماليك المؤلفة من بلاد مصر والشام .

في سنة (٨٧٠ هـ) اغتيل نائب الأبلستين سيف الدين ملك أصلان وهو في صلاة الجمعة فأحضر سيفه إلى القاهرة وأخبر السلطان الملك الظاهر خشقدم بما جرى ، فعين بدله أخاه « شاه بداق » نائباً على الأبلستين وأعمالها . وقام « الأمير سوار » وهو أخ ثان للأمير المغدور قطالب بالإمارة وأنهم سلطان القاهرة باغتيال أخيه ، واستعان بالسلطان محمد الفاتح وأعلن الثورة على الدولة المملوكية .

فمن ذلك الوقت أخذت عين السلطان العثماني تتطلع إلى الاستيلاء على حولة المماليك ومساعدة الأمير سوار في ثورته .

وقد اهتمت حكومة المماليك بهذه الثورة ، ففي سنة (٨٧٢ هـ) أرسلت حملة عسكرية لإخمادها ولكن هذه الحملة هزمت شر هزيمة ، فأرسلت حملة ثانية في هذه السنة فأخفقت أيضاً .

وفي سنة (٨٧٣ هـ) أرسلت حملة ثالثة فلم تنجح وهزمت ، وكثيراً ما يجد المطالع في كتاب «الضوء اللامع» للسخاوي في تراجم المماليك أن فلاناً قطعت يده في كائنة سوار ، وفلاناً قُلت عينه في كائنة سوار ، وفلاناً قُتل في كائنة سوار .

أنهكت هذه الحملات المتقدمة الدولة في المال وأفقدتها عدداً كثيراً من الرجال ، وانحطت هيبتها أمام الدول المجاورة لها وطمعت في الاستيلاء على بعض حدودها ، فبذلت الدولة المملوكية كل جهد وجهزت جيشاً لجباً بقيادة « الأمير يشبك الدوادار » ، وقدمت له كل ما تستطيع من قوة ورجال وعتاد ، وجهزته بعدد من المكاحل (المدافع) وساعدت جميع البلاد الشامية بأموالها وجنودها فاستطاع الأمير يشبك القضاء على هذه الثورة في الحملة الرابعة ، وتمكن من القبض على سوار والإتيان به إلى القاهرة فصلب على باب زويلة في سنة (٨٧٦ هـ) .

وبنيت على قمة جبل قاسيون المطل على مدينة دمشق قبة تذكارية عرفت بقبة النصر على سوار بقي بعض أطلالها إلى سنة (١٩٤١ م) فهدمتها جيوش الحلفاء في الحرب العامة الأخيرة خوف اتخاذها علامة لضرب المواقع العسكرية .

وضع شمس الدين محمد بن محمود بن خليل بن أجا الحلبي قاضي الجيش في هذه الحملة كتاباً سماه السخاوي « سفرة يشبك » وهو عبارة عن رحلة عسكرية استمرت من سنة (٨٧٥ - ٨٧٦) ابتدأت من القاهرة ومرت ببلاد الشام وانتهت إلى بلاد الإمارة الدغادرية التي كانت تقوم على ما يسمى قديماً « بالعواصم والثغور » وقد وصف فيها المؤلف تحركات الجيش وما جرى له من شئون وكيف هزم الأمير سوار وألقى القبض عليه ، ثم يصف فيها رحلة ثانية للمؤلف قام بها من هذه البلاد إلى تبريز واجتمع هناك بالأمير حسن الطويل ووصف بلاده وبلاطه ومناظرته لعلماء السلطان المذكور وهو وصف فريد في بابه .

اطلعت على هذا الكتاب منذ عشر سنين في مكتبة المجمع العلمي العربي بدمشق فنسخته وحققته ثم توسعت بعد ذلك في الدراسة فوجدت هذه الرحلة لا تحتوي غير وصف الحملة الرابعة، فأضفت لهذا الموضوع ما ينقصه من بحوث كما أضفت إليه نصوصاً كثيرة عن الحملات الثلاث التي تقدمته ، وأضفت إضافات أخرى عن الإمارة الدلغادرية التي ينسب لها سوار الثائر ووجدت الثورة لم تطفأ نارها بعد القبض على «سوار» فإن السلطان محمداً الفاتح دفع على دولت أخا شاه سوار إلى إشهار الثورة والعصيان على المماليك فعادت الدولة المملوكية تجهز الجيش تلو الجيش حتى قضت على هذه الثورة أيضاً .

وأخيراً برز السلطان العثماني إلى الميدان وتظاهر بالعداء لدولة مصر والشام فكانت بين الدولتين معارك عديدة كان النصر في أكثرها حليف دولة مصر ، وقد أسر في هذه المعارك أحمد هرسك صهر السلطان محمد الفاتح وأتى به إلى القاهرة ، وشيدت بهذه المناسبة في القاهرة بناية تذكارية نقش عليها كتابة تاريخية تسجل أسر صهر السلطان الفاتح العثماني .

ولا يمضي على هذه الحوادث خمسن وعشرون سنة إلا ويتم فيها احتلال الشام ثم مصر من قبل السلطان سليم ، ولذلك رأيت تتميم هذه السلسلة بإضافة « كتاب تاريخ السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان مع قانصوه الغوري سلطان مصر وأعمالها تأليف الشيخ أحمد بن زنبيل الرمال المحلي » وهو كتاب شعبي طريف طبع طبعة حجرية سنة (١٢٧٨ هـ) وقد أصبح نادراً جداً ، وأضفت إلى ذلك نصوصاً كثيرة عن ابن طولون في هذه الموضوعات ومن أجملها وأندرها وصف موكب السلطان الغوري . وأتبع ذلك بذكر ثورة جان بردى الغزالي نائب دمشق من قبل العثمانيين وانتفاضته على العثمانيين بعد موت السلطان سليم وتولى السلطان سليمان .

وإني أرجو أن أكون قدمت هذه البحوث خدمة لتاريخنا العربي وذللت عقبات صعباً أمام الباحثين والدارسين .

موضوعات الكتاب

المقدمة :

وصف كتاب «سفرة يشبك الدوادار» ، اسم هذه الرحلة ، مؤلف هذه الرحلة ، نهج تحقيق هذه الرحلة ، علاقة الشام بمصر ، العواصم والثغور ، بلاد الإمارة الدلغادرية ، تحقيق تسميتها بالدلغادرية — أو — ذى القدرية ، ملخص تاريخ هذه الأسرة .

نصوص وإضافات على الرحلة :

أول الفتنة بين الدلغادرية ودولة المماليك ، شاه سوار ، سبب ثورته ، التجريدة الأولى ، الملك الأشرف قايتباى الظاهري ، التجريدة الثانية ، التجريدة الثالثة ، التجريدة الرابعة ، حربها مع شاه سوار ، القبض عليه ، إعدامه بالقاهرة ، حسن الطويل ودولته ، تحرشه ببلاد المماليك ، إرسال تجريدة لحربه ، انسحابه من حدود دولة المماليك ، تجريدة لتأديب سيف أمير آل الفضل لقتله نائب حماه ، يشبك الدوادار أمير هذه التجريدة ، طمعه في الاستيلاء على بعض بلاد حسن الطويل وتأسيس دولة جديدة فيها ، حصاره لمدينة الرها ، قتل الأمير يشبك الدوادار وإبادة جيشه ، على دولت ، وقوع الخلاف بين دولة المماليك والدولة العثمانية ، السلطان محمد الفاتح ومساعدته الثائرين ضد دولة المماليك ، حرب المماليك مع العثمانيين وأسر أحمد هرسك ، الصالح مع السلطان العثماني ، فتح السلطان سليم ببلاد الشام ومصر ، ثورة جان بردي الغزالي على العثمانيين بعد موت السلطان سليم ، القضاء على هذه الثورة .

•

أما ما اعترضني من عقبات فهي تتلخص في الأمور الآتية :

١ — عدم وجود مخطط يمتد من القاهرة إلى دمشق لتحديد فيه منازل الجيش المصري الذي خرج من القاهرة إلى حدود البلاد التركية ، وهذه المنازل .

هى مراكز البريد المذكورة فى صبيع الأعشى تقريباً وهى : القاهرة ،
الريدانية ، سرياقوس ، بلبيس ، الخطارة ، الصالحية ، الغرابى ، قطيا ،
بير العبد ، السوادة ، العريش ، الزعفة ، الخ .

٢ — الأسماء الدخيلة الواردة فى « سفرة يشبك الدوادار » وغيرها .

٣ — أسماء البلاد الواردة فى « سفرة يشبك » وغيرها ، وقد تغيرت أسماؤها ولم
يعرف موضعها فى المخططات الحديثة ، أو كانت بلدة كبيرة فأصبحت
قرية ليست ذات شأن فلم تذكر فى المخططات العامة .

»

لذلك فإنى أقترح الأمور الآتية :

١ — وضع معجم للأسماء الدخيلة الواردة فى كتب التاريخ العربى وخاصة فى
العصر الأيوبى والمملوكى إلى آخر العهد التركى العثمانى .

٢ — وضع مخططات تاريخية للبلدان والقرى الواردة فى الكتب العربية .

٣ — وضع مخططات تاريخية للدولة المصرية فى العهود الإسلامية وما كان
يتبعها من بلدان .

٤ — وضع مخططات تاريخية للدول الشامية وما كان يتبعها من بلدان .

مثلا دولة مصر أيام الفاطميين كانت تشمل صقلية ، ومملكة دمشق
أيام السلجوقيين كانت تشمل بلاد ديار بكر ، ودولة دمشق أيام الملك
الأشرف الأيوبى كانت تمتد إلى خلاط فى قلب البلاد التركية اليوم ،
ومملكة مصر والشام أيام المماليك كانت تشمل القطر المصرى والأردن
وفلسطين ولبنان وقسم كبيراً من البلدان التركية وغيرها .

٥ — وضع مخطط لمراكز البريد فى العهد المملوكى يشمل جميع مراكز البريد
فى المملكة المصرية وملحقاتها ، ولهذا المخطط ميزة خاصة لأنه تبين
به طرق المواصلات فى أنحاء هذه المملكة .

لبيلي الصَّبَاغ

جَوْلَتَانِي بِبِلَادِ الشَّبَاغِ
فِي الْقَرْنِ الْعَاشِرِ الْهَجْرِيِّ - السَّنَةِ عِشْرِينَ مِائَةً

مَجْلَدُ التَّأْرِيخِ بِإِلَاحَةِ الشَّيْخِ
فِي الْمَرْكَزِ الْعِلْمِيِّ - الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الْبَلَدِيِّ

يركز معظم المؤرخين العرب المعاصرين بحوثهم في التاريخ العربي الحديث على القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين ضاربين صفحا عن تاريخ القرون التي سبقتهما كالقرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر ، أو ملمحين تلميحاً . ولعل الدافع لهم في هذا الاتجاه هو تأثيرهم كمواطنين عرب بالحركة القومية التي نبض بها كيان المجتمع العربي في القرن الثالث عشر الهجري ، وبالأزمات الدولية ، والتطورات الداخلية التي عاناها هذا المجتمع في هذه المرحلة من التاريخ فندشطوا في دراساتهم باحثين عن الجذور التاريخية لهذه الثورة العربية الجديدة ، والتفاعلات العميقة التي ولدتها أو أحاطت بها ، ولأنهم نادراً ما يندفعون في استقصائهم إلى ما وراء القرن الثاني عشر ، وبذلك وقعوا فيما وقع فيه زملاء لهم في أوروبا في مطلع عصورها الحديثة ، إذ انصرف أولئك - كما انصرف مؤرخونا اليوم - عن بحث العصور الوسيطة مندفعين وراء تألق النهضة الحديثة وألوانها الإبداعية الشتى ، وكرسوا جهودهم كلها للإحاطة بتلك الیقظة التي عاصروها . فقد تبذت لهم العصور الوسيطة وهم الذين يفتتحون على عالم كله جدة وحركة وحياة ، فترة ركود وجمود تصم المجتمع الأوربي الناهض آنذاك بوصمة التخاذل والضعف ، فهي من ثم لا تستحق منهم الدراسة والعناية وإنما الإهمال والنسيان .

وهكذا تخلل التاريخ العربي بل العصر الحديث ثغرات عديدة يجب ملؤها بالدراسة والبحث كيلا يبقى هذا التاريخ سلسلة متقطعة الحلقات ، ناقصة التكوين .

ومن هذه الثغرات تاريخ سوريا أو بلاد الشام في القرن العاشر الهجري وخاصة النصف الأول منه عندما انتقلت هذه البلاد من سلطة المماليك لتقع في أيدي الأتراك العثمانيين وتتألم بنظمهم . ولا يقصد بسوريا هنا الإقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة فحسب وإنما بلاد الشام بحدودها الطبيعية فهذه المرحلة من تاريخ بلاد الشام مرحلة غامضة في الأذهان عامة ، مرتبكة الأحداث وسطحية البحث في كتب المؤرخين ، يدرسها الأتراك منهم ، المعاصرون لها كجزء من التاريخ العثماني فتبدو هزيلة في خضم تاريخ الإمبراطورية العثمانية الواسعة الأرجاء ، ويكتب فيها مؤرخو المماليك فتظهر مقلصة في تلافيف سقوط الدولة المملوكية ، ويبحث فيها مؤرخو التاريخ الإسلامي فتضيع في ثنايا هذا التاريخ العام الزاخر ، ويشير إليها مؤرخو الفرس والمؤرخون الغربيون إشارة عابرة على أساس أن سوريا لعبت دوراً صغيراً أو كبيراً في النزاع الذي احتدم أواره في ذلك القرن في هذه البقعة من العالم . وفي كل الأحوال تبدو هذه الحقبة من الزمن في تاريخ سوريا مهتزة الصور ، مبهمة المعالم ، مع ما لها من أهمية كبيرة في مجرى تاريخ الشرق الأدنى عامة والبلاد العربية وسوريا خاصة .

فقد كانت على حد تعبير المؤرخ « توينبي » مرحلة صدام بين المجتمعين الإيرانيين المسلمين القائمين آنذاك في كل من آسيا الصغرى وبلاد فارس انتهت بتغلب المجتمع الإيراني السني منها المحتل بالدولة العثمانية على المجتمع الإيراني الشيعي المحتل بالدولة الصفوية ، كما أسفرت عن حجب المجتمع الأخير من الامتداد غرباً والوصول إلى حوض البحر المتوسط ، وتطويره بحيث غدا جزيرة شيعية منعزلة وسط بحر سني لجب .

كما أنها كانت الحقبة من الزمن التي اضطرع فيها المجتمع الغربي ممثلاً بالدولة المملوكية الحاكمة في بعض أجزائه بالمجتمع الإيراني السني ، وانتهى فيها ذلك الصراع بابتلاع المجتمع الإيراني السني للمجتمع العربي المتمايز عنه ، الذي كان يمتد على بلاد سوريا ومصر وشبه الجزيرة العربية وشمال إفريقيا ، كما أدى إلى إعادة بلاد العراق التي انفصلت عن المجتمع العربي منذ سقوط الخلافة العباسية في بغداد بيد التتر عام ٦٥٦ هـ ، إليه أو بمعنى آخر أدى إلى إعادة الوحدة السياسية للعالم العربي اليه ثانية .

وإلى جانب ما ذكر فإن هذه المرحلة التاريخية تمثل في الواقع نهاية المطاف في المقاومة الإيجابية التي أبدتها المجتمع العربي في سوريا ومصر ضد الأزمات العنيفة التي هزت وجوده منذ القرن السادس الهجري . من حملات صليبية وغزوات تترية ، فبعد أن تمكن من إخراج الصليبيين من أرضه ورد التتر عنها تراخت قواه أخيراً أمام طرقات الأتراك العثمانيين فوقع في قبضتهم ليعيش تابعاً لهم وفي إطار امبراطوريتهم لأربعة قرون كاملة .

ويلاحظ أنه في هذا القرن تبلور اهتمام الغرب بمنطقة الشرق الأدنى عامة وسوريا خاصة ، لاعتبار أنها محط الأماكن المقدسة المسيحية كما نادى بذلك الصليبيون الغزاة سابقاً ، وإنما لأنها منطقة اقتصادية تقع على مفترق الطرق التجارية العالمية العامة : فهي ضرورية لكيان أوروبا التجارية وتطورها الاقتصادي الجديد في مطلع عصورها الحديثة . ومن ثم بدأ التنافس بين الدول الأوروبية للحصول على امتياز تركيز جالياتها التجارية فيها ، وأخذت تلك الجاليات بدورها تنشط فيها .

ومن هذا يستنتج أن تاريخ سوريا في القرن العاشر للهجرة لم يكن تاريخاً محلياً منعزلاً يرتبط بتاريخ منطقة الشرق الأوسط فحسب أو تاريخ البحر المتوسط فقط — كما نظر إليه معظم المؤرخين — بل كان تاريخاً ملتصقاً بالتاريخ العالمي لتلك الفترة الزمنية . فالفتح العثماني مثلاً لم يكن حدثاً صغيراً عابراً نجم عن صراع ديني سني شيعي فحسب بين الدولة الصفوية والدولة العثمانية ،

أو عن تناحر وتنافس بين الدولتين المملوكية والعثمانية في هذه البقعة من العالم؛
وانما هو حدث عالمي ناتى من تفاعلات سياسية دولية أوسع مدى من نطاق
الشرق الأدنى وأسهمت في إخراجه الى جيز الوجود دول من أوروبا وآسيا
وأفريقيا على السواء كالبرتغال والبندقية واسبانيا وفرنسا ، ولعب فيه التطور
الاقتصادى الجديد لأوروبا آنذاك دوراً كبيراً الى جانب العاملين السياسى
والدينى المحليين .

وكما تبدو أهمية هذه المرحلة الزمنية في بناء التاريخ السياسى لمنطقة الشرق
الأدنى وللعالم العربى فلانها تظهر واضحة في البناء الاجتماعى والاقتصادى
والإدارى والفكرى لسوريا ، هذا البناء الذى استمر مع ترميمات ضئيلة حتى
وقتنا الحاضر . ففي القرن العاشر الهجرى هذا وُضعت أو ثُبِتت بالأحرى
الأوضاع التى عاش المجتمع العربى السورى في ظلها أربعة قرون كاملة ولا
يزال يعيش في بعض من بقاياها حتى الآن . ولا يعنى هذا أن الأطر الاجتماعية
والاقتصادية والإدارية والفكرية قد أطبقت بها الدولة العثمانية المحتلة على المجتمع
العربى في سوريا فأوقفت حركته وجمدته كما يترأى لأول وهلة، وكما درج
على القول كثيرون ممن عالجوا هذا الموضوع ، وإنما يتبين أن هذه الأحوال
بغتها وسميتها قد ورثها المجتمع من ماضيه . ولم تعمل الدولة الجديدة الحاكمة
سوى أنها حافظت عليها إيماناً بها بكمالها وصلاحها أو عدلت في بعضها لنقص
رأته فيها . وفي الحقيقة ، لقد لعبت الرعية بسليتها تارة وإيجابيتها أخرى دوراً
معيناً في تثبيت الأوضاع العامة التى تجمد المجتمع العربى السورى في قالبها . وإذا
كان يلاحظ أن سليتها أكثر من إيجابيتها . ولهذا وصفت دائماً مرحلة
الاحتلال العثمانى للبلاد العربية الركود الحياتى - فإن هذا لا يرجع فقط - كما
نحنا كثير من المؤرخين - إلى الدولة الحاكمة الجديدة وإنما إلى ضعف تمكن
من المجتمع في القرون التى سبقت الفتح العثمانى ، واستفحل أمره في العهد
العثمانى نفسه ، لأن الدولة العثمانية لم تكن لتحمل معها حضارة بالغة أو نظاماً
مبتكرة أو قوى إبداعية ذاتية تبثها في حنايا المجتمع العربى السورى المتهافت

على نفسه : فقد كانت وريثة لحضارات ذاوية كالحضارة البيزنطية والفارسية ؛
ومن ثم لم تتمكن من رفع مستوى المجتمع الذي ضمته إليها في هذه المرحلة
الزمنية أو في المرحلة التي تلت .

•

وإذا كانت هذه الثغرة في التاريخ العربي في العصر الحديث تجذب
الباحث إليها إلا أن هناك عقبات عدة تقف عائقاً في وجه الاستقصاء
والتمحيص .

أولها :

صمت المؤرخين النسبي عند الكلام عن سوريا بالذات ، فكل
من كتب في هذا الموضوع أو حوله من المؤرخين الذين عاصروا تلك الحقبة
من الزمن أو الحديثين منهم وجه دراسته لبلاد مصر على اعتبار أنها كانت
آنذاك مركز الخلافة الإسلامية والمقر الأول للإمبراطورية المملوكية . كابن
إياس ، وابن زنبيل وغيرهما . إذا تناول سوريا فبالإشارة العابرة أحياناً
والسريعة أخرى ؛ وإذا حاول التفصيل فلأن ذلك مقدمة أو جزء متمم للبحث
في فتح العثمانيين لمصر وتركيز حكمهم فيها . فسوريا بالنسبة إليهم كانت فقط
أرضاً اجتازها العثمانيون وضموها إلى إمبراطوريتهم ليصلوا منها إلى مصر ، وإذا
كانت مؤلفات ابن طولون ، المؤرخ الدمشقي المعاصر ، والنعماني ، والغزي ،
والبوريني تسرد فجوة كبيرة في البحث ، إلا أن تركيز الأول والثاني بحثهما
على مدينة دمشق بالذات جعل ما كتبه محلياً بحثاً ولونهما محدوداً نسبياً ، هذا
إلى أن كتب التراجم مثل « الكواكب السائرة » و« تراجم الأعيان » تتطلب
دراسة عميقة ودقيقة لاستخلاص ما يجب استخلاصه من أحوال المجتمع عامة ،
لأن تلك الكتب في واقعها ، وبخاصة منها ما كتبه البوريني ، وصف غير مباشر
لتلك الأحوال والأوضاع ، وإن كان وصفاً ناقصاً .

■

ثانيها :

عدم معرفة الباحث للغة التركية القديمة السائدة في تلك الحقبة من الزمن ، تلك اللغة التي كانت مزيجاً من الكلمات الفارسية والتركية والعربية والأولى منها هي الأطنى ، ويبدو أن تلك اللغة عويصة حتى على الأتراك المثقفين منهم اليوم ككتاب « تاج التواريخ » لسعد الدين .

•

ثالثها :

عدم توافر المصادر والمراجع المعاصرة لتلك الحقبة من الزمن بين أيدي الباحث. ولا يمكن إعطاء صورة صادقة وواضحة عن ذلك العهد ، وربما تصحيح كثير من الآراء والأفكار الدارجة ، إلا باطلاع والبحث في كل ما أنتج فيه من أدب وتاريخ وعلم وفن ، وفرمانات سلطانية ، وتنظيمات حكومية . ولا بد أن هناك مؤلفات عديدة في شتى النواحي إلا أنه على ما يبدو مما جمعه « بروكلمان » وما قامت به الجامعة العربية وما كتبه « جرجي زيدان » عن إنتاج هذا القرن ، أن هذه المؤلفات مبعثرة في مكتبات العالم ، ولم تدرس بعد الدراسة الكافية ولم تمحص كما أنه لم يحقق فيها ولم ينشر منها إلا النزر اليسير . وقد حاولت الجامعة العربية جمع أسماء تلك المؤلفات والحصول على صور لها ، إلا أنها لا تزال تثوى في مكتبتها وتحتاج إلى تحقيق ونشر وبحث ودراسة .

•

رابعها :

عدم وجود أية وثائق حكومية عن تلك الحقبة في بلاد الشام بالذات تستمد منها معلومات واقعية عن مختلف التنظيمات ، ولعل هذا يرجع إلى عدم انشاء — حتى سنة مضت فقط — مكتبة للوثائق فيها أو مديرية لها تسهر على جمعها وترتيبها وتصنيفها والحفاظة عليها . مما يدفع الباحث إلى

الاعتماد على ما نشره « عمر لطفى باركان » المؤرخ التركى المعاصر عن التنظيم المالى والاقتصادى فى الامبراطورية العثمانية ، وماترجمه من تلك الوثائق « مانذان وسوقاجه » ، وما جمعها المؤرخ « أحمد رفیق » التركى . وماترجمه « أوريل هير » من فرمانات .

خامسها :

ارتباط تاريخ هذا القرن بالأحداث العالمية لا بأحداث محلية . محدودة جعل ملاحظته فى مختلف المصادر العربية والتركية والفارسية . والإنكليزية والألمانية والإيطالية . وخاصة منها تقارير قناصل البنادقة فى هذه الحقبة ، ضرورياً وعسيراً وطويلاً لعدم تمكن فرد واحد من الإلمام باللغات المختلفة الشتى هذا إلى وجود كثير من الكتب التى تشير إليها بعض المصادر الأجنبية فى المكتبات العربية .

وأمام هذه العقبات أرى من الضروري لتشجيع البحث فى هذا الميدان الهام من ميادين التاريخ العربى وتسهيابه للباحث ومده بكل ما يحتاج إليه من وسائل أن نعمل متضافرين لتأمين مايلى :

١ - أن توجه الجامعات والمعاهد أقسامها التاريخية الى بحث هذه الحقبة الزمنية . من جميع النواحي وخاصة منها الناحية الفكرية والاجتماعية والاقتصادية بتجرد علمى بحث ، وذلك بأن تكون مواضيع بعض الرسائل الجامعية . تدور حول هذه المرحلة .

٢ - أن تعلم فى تلك الأقسام اللغة التركية القديمة والحديثة واللغة الفارسية . لطلاب التاريخ العربى الحديث ، لما لاجتماعنا فى هذا القرن من اتصال بالفرس والآتراك معاً .

٣٠ - أن يجرى بحث دقيق من قبل المؤرخين عن الإنتاج الفكرى والفنى لهذه الفترة التاريخية ، وأن يكلف بعضهم بزيارة مختلف مكتبات العالم للتحقق من وجود تلك المؤلفات فيها ، وأن يحصر هذا الإنتاج بمختلف مؤلفاته فى فهرس خاصة توضع فى مختلف المكتبات العربية الكبرى : وتلحق بتلك الفهارس تعريفات مختصرة لكل مؤلف من تلك المؤلفات .

٤٠ - العمل على تحقيق وطبع ونشر كثير من المخطوطات التى تدور بحوثها حول هذا العهد كمخطوط «تاريخ ابن طولون» وتتممة «تراجم الأعيان» للبورينى ومؤلفات «رضى الدين الحنبلى» (٩٧١ هـ) [الزبد والضرب فى تاريخ حلب] و [در الحلب فى تاريخ أعيان حلب] إلى غير ذلك من المخطوطات المبعثرة فى أنحاء العالم .

٥٠ - أن تجرى اتصالات منظمة بين المؤرخين الأتراك المعاصرين الذين يبحثون فى الامبراطورية العثمانية ونظمها وبين المؤرخين العرب الذين يبحرون مثل هذه البحوث فى القرن السادس عشر . وتكون هذه الاتصالات على شكل مؤتمرات صغيرة يتداول فيها ما وصل إليه الطرفان ، أو عن طريق تبادل البحوث بالمراسلة أو بطريق المجلات .

٦٠ - أن تنقل صور أمينة عن جميع الوثائق والفرمانات التى تخص بلاد الشام فى هذا القرن من أرشيف استامبول وأنقرة . وأن تحفظ فى مكتبة الوثائق فى الإقليم الشمالى ، وأن يعمل على ترجمتها إلى اللغة العربية لتكون فى متناول الباحث العربى .

٧٠ - أن تعمل دور الكتب فى الشام على ضم كل مؤلف تاريخى صدر عن تاريخ هذه الحقبة دون النظر إلى جنسية مؤلفه أو نوعيته .

٨٠ - أن يؤلف فهرس لجميع ما كتب حول هذا القرن فى بلاد الشام تجمع مادته من مختلف المكتبات العالمية ويضم بالطبع المخطوطات والكتب الأجنبية منها كانت لغتها .

٩. - أن تزود دور الكتب في الإقليم الشمالى بصور عن المخطوطات التى تبحث فى هذه الفترة الزمنية أو حولها سواء أكانت هذه المخطوطات فى مكتبات الاقليم الجنوبى أو فى مكتبات العالم .

١٠- أن تجمع كتب الرحالة الأجانب الذين زاروا هذه البقاع فى هذه المرحلة الزمنية وأن تترجم من لغاتها إلى اللغة العربية .

•

وإذا وضعت هذه الاقتراحات موضع التنفيذ فإن الباحث العربى سيجد مستنداً له وعوناً ليحقق عملاً أوفى .

الدكتور نادر العطار

أهميّة الوثائق وتاريخ الأقباط السُوريّ

أهمية الوثائق وتاريخ الأقاليم الشيرازي

ليس هناك من شك في القيمة العظمى التي يتمتع بها التاريخ بين العلوم الأخرى وفي أثره عليها وخصوصاً على العلوم السياسية والتربية القومية الأمر الذي حدا بالدول المتقدمة الكبرى إلى الاهتمام به على نطاق واسع فجمعت له الأصول وألفت له الموسوعات والبحوث ، وأقامت دور الوثائق وخصصت له أقساماً محترمة في المكتبات العامة عدا المكتبات التاريخية الخاصة .

وأقدم المؤلفات التاريخية ، بالمعنى المقصود من الكلمة ، بدأت سرداً ووصفاً ، ثم انتقل الكتاب إلى التفسير والاستنتاج . واقتصروا على الناحيتين السياسية والدينية بادئ ذي بدء ، ثم انتقلوا إلى دراسة التاريخ وأسبابه من كافة النواحي الإنسانية ولما كان التاريخ صعباً بل شبه مستحيل إذا لم تتوفر الآثار والوثائق الدالة على أحداثه ووقائعه ، فقد عمد المؤرخون إلى مراجعة الوثائق الأصلية ، ومن هنا كانت أهمية الوثائق للتاريخ ، نظراً لأن الحوادث التاريخية تخرج عن نطاق التجريب كالعلوم الطبيعية ، وتقتصر على عرض الماضي بشكل علمي بالاعتماد على مختلف المصادر وخصوصاً الوثائق التي هي أصول للتاريخ والتي يسبب ضياعها ارتباك المؤرخ وحيروته ، واعتماده على الاستنتاج والتخمين ، وهو في ذلك معرض للخطأ والصواب ، والخروج على هدف التأريخ العلمي الذي يتوخى الحقيقة ويبحث عنها في كل مكان بصرف النظر عن جميع العوامل الأخرى .

وقد انتبه الأقدمون إلى أهمية هذه الوثائق فسمعنا عن مجموعات قيمة منها في مصر منذ العصور الغابرة ، وحدثنا المؤرخ اليهودي يوسفوس عن مكتبة الوثائق في مدينة صور ، أما في أثينا فقد حفظت تلك الوثائق في دور خاصة تدعى أرخيون Archaiion ثم في الهيكل المسمى ميترون Metroon كما اعتنى الرومان بذلك أيضا اعتناء ، فخصصوا للمحفوظات أمكنة معينة ، وعينوا لها موظفين مختصين ، وحفظوا ما أمكنهم من تلك الوثائق الهامة .

أما في العصور الحديثة فقد أقامت الدول الأوروبية دور الوثائق الكبرى ، وأسست لصيانتها المدارس مثل معهد الوثائق في باريس (Ecoles des Chartes) ولترميمها وتعقيمها المشاغل الكبرى مثل مستشفى الكتاب في روما (Clinique du Livre) وأنشأت لجمعها وحفظها وتنسيقها وترتيبها الأبنية الفنية التي تجمع بين جدرانها الوثائق الرسمية بصورة علمية من محفوظات المؤسسات العامة وإدارات الدولة والسجلات الرسمية وجميع الوثائق والقرارات والبراءات والمراسيم والمستندات الخاصة المحفوظة عند الأشخاص والأسر المختلفة . حيث تصان ، وتصنف وت فهرس وتسهل مراجعتها وتحفظ للدولة تاريخها القومي وتشكل المنبع الصحيح لماضيها بكل مظاهره ، وهكذا رأينا دور الوثائق القومية (Archives Nationales) في فرنسا ودار المحفوظات (Record Office) في إنكلترا وأميركا والوثائق العامة (Archives Générales) في بلجيكا ، ودار الوثائق (Archivbauten) في ألمانيا الخ . . . ولم تقتصر تلك الدور على الوثائق الخطية والقرطاسية ، بل تعدتها إلى حفظ الأفلام والوثائق الصوتية والأشرطة المسجلة وكل ماله علاقة بتاريخ البلد وماضيه ، وأصدرت لها المجلات الخاصة وطبعت لها الفهارس المنتظمة ثم انتقل العمل إلى المجال الدولي فتألف مجلس الوثائق الدولي Conseil International des Archives وبدأت تصدر بإشراف اليونسكو مجلة الـ Archivum وعقدت المؤتمرات الدولية التي كان آخرها المؤتمر الرابع للوثائق الذي عقد في استوكهولم في ١٧ / آب - أغسطس -

سنة ١٩٦٠ حيث تم تبادل وجهات النظر في أحدث الوسائل لصيانة
المخطوطات والاعتناء بها .

ولا شك في أن افتقار الإقليم السوري إلى دار للوثائق من هذا النوع في
الماضي جعل تاريخ هذا الإقليم سلسلة من الأحداث متقطعة الحلقات تنخلها
عصور غامضة يحار المؤلف في التأريخ لها واستنباط أحداثها ، لعدم وجود
الأصول التاريخية التي توضح له السبيل وتدله على الحقيقة التاريخية ، وكثيراً
ما يعتمد في ذلك على الكتب الأجنبية ومؤلفات المستشرقين وفي الكثير منها
تشويه للحقائق وتعصب على العروبة والإسلام بحيث يصعب على الباحث
النزاهة التسليم بها كحقائق تاريخية مجردة ، كما يصعب عليه الرجوع إلى
الوثائق الأصلية التي تبين له الحق من الباطل وتجلو له ما غمض وما نقص
في المؤلفات المذكورة ، لعدم وجود دور الوثائق الخاصة بذلك في الإقليم ،
الشيء الذي أساء إلى تاريخه الحديث وسبب هذه الثغرة في المكتبة العربية ،
وأقصد وجود دراسة عربية دقيقة لتاريخ سوريا الحديث وهو ما يفتقر إليه
التاريخ العربي العام حتى الآن .

تاريخ سوريا في القرن السادس عشر والسابع عشر مثلاً ، ليس له
مصدر موثوق ، ولم يؤرخ حتى الآن بالمعنى العلمي الصحيح ، وهذه الحقبة
من تاريخ هذا الإقليم لا تزال غامضة على البعثة ، فيما عدا قبسات من خلال
كتابات المستشرقين وبعض وثائق الأسر الخاصة ، وبالمقابل فإن تاريخ سوريا
بين سنتي ١٨٣٣ - ١٨٤٠ مدروس على أساس الوثائق المصرية المتعلقة
بمراسلات محمد علي وإبراهيم ، أي من جانب واحد ، بينما لم تصدر عن
تلك الحقبة نفسها أية دراسة تستند على الوثائق العثمانية ، الجانب الآخر الذي
يفسر ما غمض من المراسلات المذكورة ، ولكن الدراسة المومي إليها سدت
على كل حال ثغرة في التاريخ السوري وجعلت ذلك العهد أكثر وضوحاً
للهؤرخ والبعثة على السواء .

ولتلافي هذا النقص أنشئت في الإقليم السوري (مديرية الوثائق التاريخية) التي حدد القانون أهدافها بجمع وحفظ وصيانة وترتيب الوثائق الخاصة بتاريخ هذا الإقليم وما يتعلق به في جميع العصور ونشر ما يمكن نشره منها وتيسير دراستها على البعثة والعلماء .

وقد بدأت المديرية المذكورة أعمالها منذ أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٥٩ فاتصلت بمختلف الإدارات الحكومية والشخصيات السياسية والأسر العريقة، فإذا بصعوبات جمة تعترض الطريق أولاً من بعض الإدارات الحكومية التي اعتبرت أن نص القرار الصادر عن وزارة الثقافة والإرشاد القومي غير ملزم لها بتسليم الوثائق التي هي في حوزتها حتى غير اللازمة منها ، رغم أنها كانت تقوم بإتلاف هذه الأوراق أو بيعها إلى مصانع الورق لجعلها ورقاً مقوى (كرتون) في الماضي ، وقد وجدت في جولتي الأخيرة للمحافظات السورية ، أن كميات كبيرة من الوثائق العثمانية - الهامة وبعض الوثائق عن عهد الانتداب الفرنسي في سوريا قد أحرقت وأتلفت أو بيعت إلى معامل الورق ، ولذلك فقد التاريخ مجموعة ثمينة من المصادر ، وبعض عناصرها لا تعوض ، كما أن هناك كميات كبيرة من تلك الوثائق في زوايا أقبية بعض دور الحكومة ومستودعاتها تعاني من التمزيق والتشويه والغبار عدا العوامل الطبيعية التي أفسدت أكثرها وشوّهته كالأمطار والرطوبة والعفونة، وعدا الحشرات التي عملت في بعضها تمزيقاً واستئصالاً .

أما من ناحية الأفراد ، فإن الشرقي بصورة عامة دأب على النظر إلى الوثيقة الأصلية الصفراء القديمة نظرة إهمال وازدراء ، جعلته يتلفها ، أو يتركها عرضة لكل العوامل آتفة الذكر التي تقوم بإفسادها أو إزالتها من الوجود وعلى هذا كانت بعض وثائق الأفراد عديمة القيمة ، أما وثائق المثقفين ، والمتعلقة على الأغلب بأقربائهم المتوفين أو وثائقهم الخاصة فإنهم - يرفضون تسليمها أو بيعها أو التنازل عنها بأية صورة من الصور ، رغم أنهم يقتنعون

بأن وجود تلك الوثائق في المديرية الخاصة بها يحفظها ويصونها ويعرضها على الباحثين ويرفع اسم الأسرة بحفظ أعمالها ومناقبها إلى الأبد مع باقي أصول تاريخ الإقليم .

أما الصعوبة الثالثة التي نواجهها فهي تبعض الوثائق وتفرقها ، في أرجاء الإقليم من جهة ، وفي العواصم الأوربية من جهة أخرى ، مثل باريس ولندن وينا واستانبول وجنوا والبندقية ومرسيليا وغيرها ، وبعض تلك الدول ترفض إمدادنا حتى بصور عن الوثائق التي في حوزتها - لأسباب سياسية بحتة ، ومعظم تلك الوثائق دبلوماسية أو تقارير قنصلية .

وقد استطاعت مديرية الوثائق التاريخية أن تتخطى الكثير من الصعوبات وسارت قدماً في تنفيذ الأهداف التي قامت من أجلها ولكننا على كل حال مازلنا في مبتدأ الطريق ، وهو وعر وشاق .

ولإزاء أهمية الوثائق المذكورة بالنسبة لتاريخ الإقليم السوري ، كمستندات وصكوك تزييه في الأعم الأغلب ، يرى المؤرخ بين ثنايا سطورها من الحقائق ما يسد الثغرات الناقصة ويستكمل الحلقات المفقودة ، ورغبة في تجنيب الطلاب والعلماء والباحثين العرب عناء السفر إلى الغرب كلما حاول أحدهم الكتابة عن تاريخ الإقليم المذكور ، أقترح ما يلي لمعالجة الصعوبات آنفة الذكر :

١ - إصدار توصية من المجلس إلى مرجعه رئاسة الجمهورية بضرورة إصدار نص قانون يلزم الدوائر الحكومية في الإقليمين على تسليم الوثائق التي لم تعد تلك الإدارات بحاجة إليها ، وعدم إتلاف أية وثيقة أو أي نوع من الأوراق إلا بعد موافقة لجنة تمثل فيها مديرية الوثائق في الإقليم صاحب العلاقة ، وذلك بعد الاتفاق على تلك الوثائق حسب كل إدارة من الإدارات.

٢٠ - استصدار نص قانوني آخر ، من رئاسة الجمهورية ، بناء على توصية المجلس الأعلى يجبر الإدارات والمؤسسات العامة على ترتيب الوثائق التي تحتاج إلى الاحتفاظ بها على أساس علمي حديث ، مستعينة بأحد موظفي مديرية الوثائق إذا احتاج الأمر ، حتى يأتي وقت تسليمها إلى هذه المديرية ، وذلك لأن الكثير من هذه المؤسسات ترفض تسليم محفوظاتها القديمة نظراً لوجودها بحالة يرثى لها وعدم التمكن من تنظيمها وإعدادها لتسليمها إلى مديرية الوثائق .

يؤخذ بعين الاعتبار عند هذا التنظيم مايلي :

أ - المحفوظات التي يجب على الإدارة حفظها إلى أجل غير مسمى .
ب - المحفوظات التي يجب على الإدارة حفظها لأجل مسمى ، تنتهي حاجتها إليها بانتهائه وعندئذ يصار إلى تشكيل لجنة تمثل فيها مديرية الوثائق ، لانتقاء مايلزم من هذه - المحفوظات ، والسماح بإتلاف الباقي .

ج - المحفوظات التي يمكن تسليمها حالاً إلى مديرية الوثائق .
د - تعيين كل إدارة ترتيب الوثائق التي بحوزتها ونوعها ويضع جهازها الإداري والقانوني نظاماً لذلك تبلغ نسخة عنه إلى مديرية الوثائق وتجرى عمليات التسليم والتسليم على أساسه .

٣ - توصية دور الإذاعة والتلفزيون ومديرية الدعاية والأنباء (أو مصلحة الاستعلامات) بضرورة نشر الوعي عن أهمية الوثائق وضرورة الحفاظ عليها والتنبيه إلى ضرورة تسجيلها وصيانتها ، أو تسليمها إلى مديرية الوثائق بدلاً من تركها إلى التلف والاهتراء والحشرات في منازل أصحابها ، ويكون ذلك بأحاديث وبرامج في الإذاعة والتلفزيون والمقالات العامة في الصحف والمجلات ودور النشر وغيرها من وسائل الإعلام .

٤ - إصدار نشرات خاصة عن الوثائق المتعلقة بالكفاح الوطنى لكل من إقليمي الجمهورية .

٥ - إيفاد بعثات تدريبية قصيرة المدى إلى البلاد العريقة فى هذا الفن لموظفى الوثائق لتدريبهم - كل حسب اختصاصه - على تنسيق وترتيب وفهرسة الوثائق وتعقيمها وترميمها لأن وجود شخص واحد أو اثنين لا يكفى لتنهض الدار بأعبائها كاملة .

٦ - إيجاد مادة دراسية خاصة بالوثائق والمستندات والصكوك وأهميتها فى التأليف والمراجعة فى كل من كليتى الآداب والحقوق ، تعيين الطالب فيما بعد على البحث والتنقيب ، وتخلق مؤرخين على أساس علمى ، وتوفير لمديريات الوثائق حاجتها من الموظفين لمديريات الوثائق فيما بعد .

٧ - التوصية إلى وزارة الخارجية بإجراء مفاوضات مع البلاد التى تحتفظ بقسم كبير من الوثائق المتعلقة بالإقليم السورى ، كإيطاليا وفرنسا وإنكلترا والنمسا وتركيا ، للاتفاق على تبادل أو شراء أو تصوير الوثائق المتعلقة بالإقليم ، اعتماداً على اتفاقية بروكسل المؤرخة فى ١٥ آذار - مارس سنة ١٨٨٦ (المتعلقة بالتبادل الدولى للمستندات الرسمية والمطبوعات العلمية والأدبية والجريدة الرسمية والنشرات والمستندات البرلمانية) وعلى الاتفاق الدولى المؤرخ فى ٣ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٨ المتعلق بالتعاون الفكرى ، والاعتماد على الأونسكو أحياناً فى هذا الصدد وإبرام اتفاقيات خاصة عند اللزوم .

٨ - ومتى تم ذلك يؤخذ أحد الموظفين المختصين لانتقاء الوثائق اللازمة المتعلقة بالإقليم لاستنساخها أو تصويرها أو غير ذلك مما يكون قد تم الاتفاق عليه .

*

كل هذا يسهل الحصول على وثائق بجمة القيمة ، ويحفظ لتاريخنا القومى وثائق تحتوى على معلومات هامة ، بعضها على غاية الخطورة يكشف النقاب عن أسرار نجد أنفسنا فى أشد الحاجة إليها لإدراك خفاياها السياسية الدولية والأصول التاريخية والسياسية للمطامع الأجنبية ، وفهم بعض أخطاء الماضى وتجنبها فى المستقبل ، وفى بعضها الآخر تقوية لمعنويات الجيل الجديد وإعدادة بشكل قومى صالح ، عدا ما يتيح استكمال الوثائق للبحاث والمؤرخين من إجراء دراسات عن تاريخ الإقليم السورى وسد الثغرات التاريخية العربية ببحث ما غمض من هذا التاريخ ، وبالبدا فى تأليف الموسوعة التاريخية والمعجم التاريخى اللذين نفتقر إليهما كل الافتقار من الناحيتين القومية والدولية .

إن التاريخ اليوم لم يعد يقتصر على الحوليات والسرود والنسبة والنقل ، بل تعدى ذلك إلى الطرق العلمية التى تعتمد على التمهيش والنقد والتفسير والضبط والربط والاجتهاد وكل ذلك يستدعى وجود الأصول التاريخية ، والوثائق الأساسية التى بدونها يشك القارىء فى كل ما يراه من تاريخ مكتوب

وليس أجدر من هذا العهد المبارك باستكمال ذلك فى نطاق النهضة العلمية الكبرى التى أخذ العرب بتلايها ، وفى زمان أصبح فيه إيمان الجندى وتربيته القومية والتاريخية لا تقل أهمية عن سلاحه وذخيرته ، إن لم يفوقها فى الأهمية وتقرير المصير .

الدكتور نور الدين حاطوم

انفصال الناس النار مخيفة في الألفية السيرة

ازمنة الدراسات التاريخية والأدبية في سورية

يرى الباحث في نهضة سورية الثقافية الحديثة منذ خمسين عاماً أن الدراسات التاريخية تعاني أزمة ملحوظة ما زالت آثارها ماثلة للعيان في نقص المؤرخين وقلة المؤلفات التاريخية التي تبحث في التاريخ العام من جهة ، وفي التاريخ العربي والتاريخ الإقليمي من جهة أخرى .

١ — قلة المؤرخين :

أما نقص المؤرخين فيمكننا أن نعزوه لعدة أسباب : منها أن الدراسات التاريخية كانت تعتبر نوعاً من ترف أو من دراسة كمالية لا يهتم بها إلا الهواة . المتفرغون الذين يجدون من فراغهم ومقدرتهم المادية ما يسمح لهم بالقيام بهذه الدراسات التي هي هامة ومفيدة في آن واحد لا سيما وأن التاريخ يتمتع بمحظوة خاصة في جميع الأوساط .

ومما لا شك فيه أن النهضة الثقافية التي قامت في سورية منذ أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن قد تناولت التاريخ كما تناولت غيره من الدراسات الإنسانية . ونشأت نتيجة ذلك طبقة من المؤرخين مخضرمة جمعت بين الثقافة التقليدية الاتباعية والثقافة الحديثة وحاولت جهدها أن تنتج آثاراً تبحث في تاريخ سورية من القديم إلى الحديث ، أو في تاريخ بعض البلدان السورية . ولكن هذه الطبقة لم يبق منها إلا نفر قليل . ومن الواجب أن نعترف بفضلها وبالمجهود العلمي الذي قدمته ؛ لأنها كانت في الحقيقة صلة الوصل .

بين مؤرخينا القدامى ومؤرخينا المحدثين ، ولأن الأعمال التي قامت بها يمكن أن تعتبر نقطة انطلاق للدراسات التاريخية الحديثة :

ومن هذه الأسباب أيضاً أنه لم يكن في سورية في العهد العثماني أو في ظل الانتداب الفرنسي كلية للآداب تعنى بالتاريخ وتعد الشبيبة المحبة له الإعداد الكافي للعمل في الحقل التاريخي :

وأخيراً أن البحوث العلمية التي كانت توفدها الدولة السورية للخارج كانت تتجه في الغالب نحو الجامعات الفرنسية لتحضير الليسانس في الآداب (قسم التاريخ والجغرافيا) بغية تدريس هاتين المادتين في المدارس الثانوية ، وإذا عرفنا الشروط الصعبة التي كانت توفد فيها المبعوث ، وقلة المدارس الثانوية في سورية آنذاك ، أمكنا أن ندرك قلة مدرسي التاريخ ، هذا بالإضافة إلى أن هؤلاء المدرسين كانت تشغلهم أعمالهم التدريسية فلا ترك لهم مجالا واسعا من الوقت يجعلهم يتطلعون إلى القيام بعمل تاريخي رصين ، ولذا كانت المؤلفات التاريخية التي صدرت عنهم خاصة بالمدارس الثانوية :

أما البحوث الخاصة القائمة على التثبتات الفردية والغواية الشخصية فلم تكن موجودة في حقل التاريخ ، وإذا وجدت كانت في حكم النادر ، لأنها كانت تعتبر بمثابة خروج على إرادة الأهل الذين يفضلون أن يوفدوا أبناءهم لتحضير الدكتوراه في الطب أو الدكتوراه في الحقوق لأن التخصص في هذين العلمين يدر على الطبيب أو المحامي أرباحاً طائلة من تعاطى المهنة . ومن التدريس في كليتي الطب والحقوق وهما الكليتان الوحيدتان اللتان كانت تضمهما الجامعة السورية (جامعة دمشق بعد الوحدة) في عهد الانتداب الفرنسي . أما الدكاترة في الآداب الذين تخرجوا في جامعات الغرب فقلة وأقل من ذلك وأندر الدكاترة في التاريخ .

وظلت حال البحوث العلمية على هذا النحو إلى أن بدأ الحكم الفرنسي في البلاد يترسخ تحت تأثير المقاومة الوطنية وضغط الظروف الدولية ، وأصبح

بالإمكان التفاهم بين قادة البلاد وسلطة الانتداب وتسلم الزعماء الوطنيين زمام الأمر، ولو بصورة مقيدة، منذ عام ١٩٣٦ إلى أن تم جلاء القوات الفرنسية أخيراً عن سورية ونعمت البلاد بالاستقلال.

ولقد أدركت الحكومات الوطنية المتعاقبة حاجة البلاد إلى الاختصاصيين في مختلف فروع العلوم والآداب فأكثرت من البعث، وحاولت في هذه المرة أن توجهها حسب الوجهة التي تريدها إلى القاهرة وإلى الجامعات الأجنبية التي تثق بقوة تعليمها أو تخصصها من غربية وشرقية.

ووجد في ديار الغرب ولاسيا في الجامعات الفرنسية نفر من الطلاب لم يتمكنوا من العودة لبلادهم في أثناء الحرب العالمية الثانية فلبثوا حيث هم وأفادوا من إقامتهم الطويلة ومواظبتهم على الدراسة الجامعية والقيام بالبحوث العلمية خبرة واسعة، وتمكنوا من تحضير الدكتوراه والاضطلاع بمادتهم ومزاولة البحث التاريخي والتأليف فيه.

وبعد الحرب وضعت على بساط البحث قضية توسيع جامعة دمشق بكليات الآداب والعلوم والمعهد العالي للمعلمين (كلية التربية حديثاً) والهندسة لتزويد البلاد بالاختصاصيين والمدرسين. وضمت كلية الآداب في هذا العهد قسماً للتاريخ يجهز الطلاب بالثقافة التاريخية الضرورية ويعودهم على البحث العلمي ويؤهلهم لنوال الليسانس في الآداب (قسم التاريخ) ويحبب إليهم العمل التاريخي.

وقد احتضن قسم التاريخ، عند افتتاح كلية الآداب عدداً من الدكاترة ممن تخصصوا في الغرب ويبدشرون بالنتاج العلمي الرصين، ولكن ما لبث عقد هؤلاء الدكاترة أن انفرط بعد أن استدعتهم وظائف أخرى في الدولة فلبوا نداءها وأصبحوا عن العمل التاريخي في شغل شاغل، أو استهواهم العمل في الجامعات الأجنبية فغادروا البلاد دون ما أمل بالعودة، ونحسر قسم التاريخ

من افتقاد هؤلاء وأولئك خسارة لا تعوض بسهولة ويسر ، وآلت به الحال إلى أن أصبح يضم في الوقت الحاضر أستاذاً للتاريخ الحديث ومدرساً للتاريخ الإسلامي .

وحاول القسم سداً للعوز أن يستعين بالأساتذة الاختصاصيين العرب من غير أبناء الجمهورية وبالأساتذة المحاضرين وتكليف هؤلاء بساعات تدريسية إضافية إلى عملهم الوظيفي خارج الجامعة ، وهؤلاء على ما يتمتعون به من مؤهلات علمية وخبرة ونشاط لا يستطيعون التفرغ إلى العمل التدريسي والتأليف التاريخي نظراً لتعلقهم بوظائفهم الأساسية واستيعاب هذه الوظائف أكثر وقتهم وجهدهم .

كما حاول القسم أيضاً الإعلان عن الوظائف الشاغرة لضم أكبر عدد من الاختصاصيين بغية التدريس أو الانقطاع للتأليف علماً منه بأن جو الجامعة أكثر ملائمة لهذه الأعمال من غيره .

وبالرغم من هذه الصعوبات المختلفة التي يعانيها قسم التاريخ في الحاضر فإن المستقبل يبشر بإقبال المؤرخين ممن يعدون حالياً في جامعة القاهرة وجامعة عين شمس ومعهد الدراسات العربية العالية والجامعات الأجنبية الأوربية والأمريكية ، ولكن يجب أن ننتظر بضع سنين آخر لضم هذا الجيل الصاعد إلى القسم .

٢ — التأليف التاريخي :

لقد تضافرت هذه العوامل الآتفة الذكر وأدت إلى قلة المؤرخين بل وإلى ندرتهم أيضاً . ولا شك في أن نقص العنصر البشري هذا أدى إلى نقص آخر وهو نقص المؤلفات التاريخية التي تعالج القضايا التاريخية عامة والتاريخ العربي والإسلامي والإقليمي بصورة خاصة . وإلى الآن ما زالت المكتبة التاريخية في سورية تضم عدداً محدوداً جداً من المؤلفات التاريخية للمؤلفين السوريين ،

أضف إلى ذلك أن نوعية بعض هذه المؤلفات ليست على درجة من عمق البحث وقوة الطريقة التي تجعلها في مصاف المؤلفات التاريخية العالمية ، وما زلنا نشكو إلى الآن من عدم وجود سلسلة تاريخية كبرى تتضمن تاريخ سورية منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر بحيث يصبح أن تعتبر مرجعاً أساسياً لكل باحث . وكل ما بين أيدينا إنما هو كتب مقتضبة أو كتب معربة عن كتب أجنبية غير وافية - بالغرض أو كتب تتناول ناحية معينة بالذات كأن تكون ناحية سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو دبلوماسية إلى آخره ، أو كتب تبحث في تاريخ فترة قصيرة أو رسائل عن قضية من القضايا لمؤلفين سوريين قدمت إلى جامعة من الجامعات لنوال درجة الدكتوراه أو الماجستير . والطابع العام لهذه المؤلفات هو أنها غير متكاملة مع بعضها ، إذ ما زالت هنالك ثغرات كبيرة ، بل وفترات زمنية طويلة نجهل منها الشيء الكثير ، وكل ما نعرفه عنها إنما هو معرفة يسيرة نستشفها في الغالب خلال المؤلفات الأجنبية من كتب الرحلات وغيرها .

ومن هنا نرى الضرورة الماسة إلى تأليف تاريخ عام لسورية يعرفنا بمختلف التطورات التي مر بها الإقليم عبر العصور التاريخية . وتنفيذ هذا التاريخ يتطلب أولاً وجود المؤرخين الاختصاصيين ، وثانياً تعاونهم على إخراجه بنظرة سورية عربية ، وإذا ألحنا على هذه النظرة فذلك لأن المؤلفات التي تبحث في تاريخ سورية ولا سيما الأجنبية منها كثيراً ما ألفت خدمة لوجهة نظر خاصة أو مصلحة معينة أو منفعة ذاتية ، أي أنها كتبت بروح مغرضة . يضاف إلى ذلك أن المؤلفين الأجانب تغيب عنهم أمور كثيرة من أخلاق البلاد وعاداتها وأعرافها ونزعاتها وطبيعة لغتها ، فيلجئون إلى تفسير هذه الظواهر الاجتماعية تفسيراً خاطئاً ، إن لم يكن مقصوداً . وهذا ما يقتضي منا إجراء التصحيحات اللازمة لهذه الأخطاء الأجنبية بتأليف تظهر وجهة نظرنا وتعليقنا للحوادث تعليلاً مستمداً من واقع حياتنا .

٣ — المكتبة التاريخية :

هذا ولا يغرب عن البال أن مثل هذا التأليف التاريخي يحتاج إلى وسائل عمل كافية توضع تحت تصرف المؤرخين للقيام بالبحوث . والمكتبة العامة في دمشق ومكتبة الجامعة ما زالتا تفتقران إلى العديد من المصادر المختلفة المبعثرة في مكتبات أوربة ، أو في دكاكين الوراقين وباعة الكتب والخزائن الخاصة ، هذا بالإضافة إلى الوثائق التي تحاول وزارة الثقافة والإرشاد القومي في الإقليم جمعها في مديرية الوثائق المنشأة حديثاً .

واقتناء وسائل العمل هذه يتطلب جهوداً متضامنة من نواحي مختلفة، ومثل هذه الجهود لما تبذل بعد ، ولما يرسم لها أي تخطيط ، فضلاً عن الاعتمادات الضئيلة التي تخصص غالباً لشراء الكتب الحديثة دون الاهتمام في البحث عن أمهات الكتب والمصادر القديمة الضرورية ، والعقبات المالية والشكليات الرسمية المختلفة وما إلى ذلك من روتين قرطاسي ، وغنى عن البيان أن نقول إن الباحث المتعمق يصادم لأول وهلة بهذا النقص ، في المصادر ولا يجد حلاً مباشراً حتى ولو حاول ذلك . فقد يقع أن دراستنا تضطربنا بين حين وآخر إلى زيارة مكتبتى الجامعة الأمريكية والجامعة اليسوعية في بيروت لا لاستكمال المصادر التي نبحثها في مكتبات دمشق ، بل للبحث عن هذه المصادر بالذات التي هي موفورة ومعدة في المكتبتين السالفتين . ولكن مثل هذه الزيارة إن جاد بها الزمان مرة فقد لا يجود بها إلا بمقدار نظراً للصعوبات والعقبات التي تصنعها الإدارة في وجه المسافرين إلى بيروت حتى ولو كان هذا السفر في طلب العلم والبحث عن الحقيقة ، ولا شك في أن كل هذه العوامل مجتمعة تعمل على عرقلة البحث إن لم تحذفه تماماً وتحلّ دون إنتاج الأثر العلمي الأصيل .

٤ - قلة الآثاريين :

وإذا كانت هذه حال الدراسات التاريخية ، فليست الدراسات الأثرية بأحسن منها وضعاً ، وذلك لأن تدريس الآثار غير موجود بعد ، وإعداد الآثاريين الاختصاصيين الضروريين للبلاد مازال في حيز الإعداد الضئيل إن لم يكن في حيز العدم . وكلية الآداب في جامعة دمشق لا تضم قسماً خاصاً بالآثار . والدراسات الأثرية لا تأتي في قسم التاريخ إلا عرضاً أو مساعداً ، هذا مع العلم بأن سورية لا تجمع إلا نفراً قليلاً من الآثاريين والمهتمين بالدراسات الأثرية ، على الرغم من خصب الأرض السورية بالآثار المتنوعة التي خلفتها العصور التاريخية ، والبحوث الأثرية وأعمال الحفريات والتنقيب عن الآثار والتفاسير الضرورية للكشفات الأثرية وما إلى ذلك من تقارير أولية مازالت عالية على الآثاريين والباحثين الأجانب ممن تستعين بهم المديرية العامة للآثار والمتاحف . والحق يقال إن جهود هذه المؤسسة ممثلة في شخص مديرها وأعضائها لتستحق كل ثناء وتقدير وإعجاب .

ولكن القضية التي توضع بالنسبة إلينا هي إعداد الآثاريين السوريين بحيث يتوافرون في البلاد لدرجة تسمح في يوم من الأيام بالاستقلال الذاتي . والاستغناء عن الأجانب كهدف أساسي ، ولقد آن لإقليمنا السوري أن يتحرر من وصاية الأجانب والاتكال عليهم في كل شيء ليكون لنا آثاريونالذين ننشر بهم وبتنقيباتهم وموافاتهم كما يعتز إقليمنا المصري بالنخبة المختارة من آثارييه ونشاركه بهذا الاعتزاز نحن أبناء الإقليم السوري .

.

ونعتقد بعد هذا أن من حقنا أن نقترح إعداد طبقة من الآثاريين السوريين ، في جامعات الإقليم المصري وفي الجامعات الأجنبية ، مستكملين .

لجميع الشروط الضرورية التي تؤهلهم للقيام بما يأتي :

١ - التدريس في قسم خاص بالآثار ينشأ في كلية الآداب بجامعة

دمشق لهذا الغرض ويجهز بوسائل العمل الكافية .

٢ - القيام بأعمال التنقيب للكشف عن الحضارات القديمة في

سورية .

٣ - إعداد طبقة من المشتغلين بالآثار على أيديهم .

٤ - القيام مع أعضاء قسم التاريخ بالدراسات التاريخية والأثرية

التي تكشف النقاب عن ماضي الإقليم، وتمد المكتبة التاريخية

والأثرية بالبحوث العلمية التي يصح أن تتخذ مرجعاً للباحثين .

•

ولا يخفى أن دراسة التاريخ القديم والآثار تتطلب من المختصين بها

معرفة باللغات القديمة ، ومثل هذه المعرفة ما زالت تنقص المشتغلين بالآثار

عندنا من أبناء الإقليم . ولما ينشأ بعد في كلية الآداب قسم خاص باللغات

القديمة والدراسات الكلاسيكية . ونرى أن إنشاء مثل هذا القسم ضروري

للاسباب الآتية :

١ - تزويد المؤسسات الأثرية بالمختصين باللغات القديمة

والدراسات القديمة .

٢ - تجهيز الأقسام الأخرى بكلية الآداب بالمدرسين الأكفاء

لتعليم هذه اللغات والدراسات القديمة حسباً تتطلبه مناهج

الدراسات الحديثة .

٣ - القيام بالدراسات الإنسانية واللغوية المقارنة التي تفتقر إليها

أكثر الأقسام في كلية الآداب .

•

هذه بالجملة أسباب الأزمة التي تعانيها الدراسات التاريخية والأثرية في الإقليم السوري . ونعتقد أن حل هذه الأزمة منوط بالتسهيلات وتهيئة الوسائل الملائمة التي يجب على المؤسسات العلمية المعنية أن توفرها للعمل التاريخي والأثري ، وذلك يكون بما يلي :

١ - إعداد المؤرخين والآثارين حسب الخطة التي قدمتها لجنة التاريخ والآثار في الإقليم السوري إلى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية وأقرتها شعبة العلوم الاجتماعية في هذا المجلس وقدمت بها مذكرات إلى الجهات ذات العلاقة .

٢ - العمل على إنشاء قسم خاص للآثار في كلية الآداب بجامعة دمشق وتجهيزه بما يلزم من وسائل العمل .

٣ - العمل على إنشاء قسم خاص باللغات والدراسات الكلاسيكية وإعداد جهازه التعليمي ووسائل عمله قبل تأسيسه .

٤ - العمل على إنشاء قسم خاص باللغة الألمانية ومثله للأسبانية والروسية والشرقية لتزويد طلاب قسمي التاريخ والآثار باللغات الحية التي تتطلبها طبيعة الدراسة ، هذا فضلاً عن ضرورة إنشاء هذه الأقسام نظراً لحاجة البلاد إليها .

٥ - العمل على إنشاء مكتبة خاصة بالتاريخ والآثار وتجهيزها بالمصادر الكافية التي تسهل على الباحثين والدراسين أعمالهم في البحث والدرس والتأليف

*

ونرى بعد هذا أن أزمة الدراسات التاريخية والأثرية ستحل من نفسها وأن الإنتاج في هذا الحقل سيكون خصيباً وطيباً ، وأن العمل التاريخي سيؤدي رسالته .

الدكتور علاء الدين الخاني

استكمال التأهيل العلمي لمبتدئ ليّ

استكمال التأهيل العلمي لمدرسي التاريخ

ليس في مدارس الإقليم السوري الإعدادية والثانوية معضلة خاصة بالمؤهل العلمي لمدرسي التاريخ إذ أن جامهم يحمل الإجازة في التاريخ من الجامعات العربية أو الأجنبية . حتى أن وزارة التربية والتعليم بدمشق اكتفت منذ العام ١٩٥٩ بما لديها من مدرسات ولم تعلن عن مسابقة لوظائف جديدة لمن في مادة التاريخ . إلا أن الموضوع الذي يشغلنا ويشكل بحثنا هنا هو استكمال هذا التأهيل العلمي وتجديده ليكون مدرس التاريخ ذا ثقافة تاريخية كافية ومتكاملة تساعد على تأدية مهمته التعليمية خير أداء وتفسح له مجال التتبع والتقصي والبحث .

ولانتعرض هنا للتأهيل التربوي لأن إدارة التدريب في وزارة التربية والتعليم تعنى به حالياً ، كما لانتعرض لمدرسي التاريخ غير الاختصاصيين وأكثرهم من حملة الإجازة في الحقوق ، لأن هذه الوزارة تعمل على الانتفاع بهم في مجالات أخرى كالإدارة وغيرها .

فهدفنا إذن استكمال الثقافة التي يتلقاها مدرسو التاريخ في جامعاتهم وتجديدها وتنمية شغف المطالعة والتتبع والبحث ، وإذكاء الوجدان والحياد العمليين .

أولا - الواقع العلمي لمدرسي التاريخ

١ - التكوين الجامعي :

يتلقى طلاب التاريخ الاختصاص في الجامعات على مدى أربع سنوات ، ويتزودون خلالها بالمعلومات عن التاريخ القديم ، والتاريخ الوسيط ، وتاريخ العرب والإسلام ، وتاريخ العصور الحديثة ، وتاريخ العرب الحديث ، ومنهج البحث التاريخي . ويقومون بتأريين في القراءات التاريخية وتفسير النصوص الأجنبية . وكان خريجو كلية الآداب بدمشق إلى وقت قريب يقدمون بنهاية عامهم الجامعي الرابع بحثا يؤلفونه ويحصلون بنتيجته على درجات تفيدهم في نجاحهم الأخير ، ثم ألغى هذا النظام منذ العام ١٩٦٠ : إلا أن الواقع ، وهذا من صلب النظام الجامعي ، يظهر لنا ما يلي :

أن طالب التاريخ القديم مثلا لا يتلقى تاريخ الشعوب القديمة كلها ، بل ولا تاريخ الشرق القديم بكامله وإنما يتلقى بحثا من التاريخ القديم : بحثا عن أمم دون أخرى وعن حضارات دون حضارات أخرى ، وترك له البحوث الباقية لدراستها بوسائله الخاصة . ذلك أن الجامعة لا يعترض فيها ، ولا بد ، أن تعطى طالب الآداب جميع البحوث التي تدخل في دائرة اختصاصه ، بل تقدم له نماذج عنها ، وفيرة أحيانا يستفيد منها في السير على منوالها في دراساته الشخصية .

ولكن يصدف غالبا أن الطالب لا يدرس مطلقا هذه المواد التي تركت له أو يدرسها بصورة سريعة ، وإن درسها فإنه في بعض الأحيان يدرسها في كتب ومؤلفات لا يطمئن إليها العلم التاريخي .

فينجم عن ذلك أن خريجي قسم التاريخ عندما يصبح مدرسا يحمل ثقافة اختصاصه معهود إليه أمر استكمال الناقص منها ، ويحمل ثقافة جامعية في بعض البحوث الهامة متروك إليه أمر تنميتها ، بالإضافة إلى أنه يلاقى أبحاثا

مستجدة يلزم عليه دراستها . وهذه الفجوات في دراسته التاريخية يظهر أثرها في ممارسة مهمته التعليمية إن لم يتداركها بالدراسة ، وتصبح هذه الفجوات خطيرة جداً إن كانت تتعلق بتاريخ الوطن المحلى بصورة خاصة أو تاريخ الوطن العربى الكبير عامة والتاريخ العام بصورة أعم .

هذا من حيث التكون الجامعى العلمى ، أما من حيث اكتساب ملكة المطالعة والبحث ، والوجدان العلمى ، أثناء الدراسة الجامعية ، فإننا لانشك في ذلك قط ، إذ أن النظم الجامعية تلاحظ تنمية روح المطالعة والبحث لدى الطلاب والتقىد بالوجدان العلمى والحياد التام في تحليل حوادث التاريخ . ولكن الواقع يظهر لنا بالنسبة لوسائل الدراسة عند الطلاب ، إن هؤلاء يعنون أول ما يعنون بدراسة الكتب ومذكرات الأساتذة التى يفحصون بها دون غيرها ، ولا يميلون إلى قراءة المؤلفات الأخرى أو الكتب التى لاتدخل بحوثها في مواد فحوصهم . وقد تكون هذه البحوث هامة جداً والمؤلفات ذات قيمة علمية عالية ، فيفقد الطالب فائدة الاطلاع عليها وتبقى ثقافته محدودة بالمعلومات الجامعية .

هب أن طالباً لم يطلع على كتاب التاريخ للطبرى أو لابن الأثير ولم يقرأ كتاباً في الحروب الصليبية أو في الحضارة العربية ، أو اليقظة العربية في القرن العشرين ، ولم يعرف كتاب خطط الشام للأستاذ كرد على ، وكتب الأستاذ عبد الرحمن الرافعى وغيره ، ولم يقرأ كتاباً في الثورة الفرنسية أو في النظم الاقتصادية الكبرى . . . الخ ، فكيف نطمئن إلى ثقافته التاريخية وإلى تمكنه من مادته التى سيصبح مدرساً فيها ؟

فالجامعة ، في هذه الناحية ، مدعوة إلى العناية بكتب المطالعة والترغيب فيها ، وهى مهما ألحت على طالب التاريخ في قراءة أمثال هذه الكتب بل وسأأته أثناء الفحوص عن دراسته لها فهى لاتبالغ في ذلك ولا تشتد عليه . وهى أيضاً مهما اهتمت بتدريب الطالب على الإنشاء التاريخى وجمع الوثائق والمصادر

لا تكن قد خرجت عن مهامها ، إذ أن اكتساب الطالب روح البحث وطريقة الدراسة وملكة الكتابة التاريخية يوازي تماما التدريس الجامعي النظري بل يدعمه ويوصله إلى الغاية المنشودة ، وإذا كانت المعاهد الأمريكية تبالغ بعض المبالغة في هذه الناحية فمن الممكن اتخاذ موقف وسط يؤمن الفائدة التي نبيها .

ويجب ألا يغرب عن البال أن معرفة الطالب الجامعي باللغة الأجنبية ضعيفة أشد الضعف . ولا نرغب هنا في أن نقدم أمثلة على ذلك واكتنا نكتفي بالقول بأنها لا تحقق الغرض المرجو منها . والخريج الجامعي الذي لا يتقن لغة أجنبية حية هامة يبقى فاقدا وسيلة رئيسية من وسائل الثقافة التاريخية لا يعوض عنها نشاط حركة الترجمة . والمسئولية في هذا الضعف لا تقع وحدها على الجامعة بل تشترك فيها المدرسة الثانوية وقبل الثانوية . فهل يستطيع المدرس أن يرقى إلى مستوى مهمته واختصاصه إن بقي غريباً عن المصادر والمؤلفات والبحوث الأجنبية ؟

*

٢ - المطالعة والدراسة بعد التخرج الجامعي

إن وسائل المطالعة والتتبع أصبحت متيسرة في الوقت الحاضر أكثر من ذي قبل ، وهي سائرة في ازدياد مستمر . فدور النشر تعيد طبع عدد من الكتب التاريخية العربية الكبرى وتصدر مؤلفات قيمة في كثير من الموضوعات وتنشر كتباً ثمينة مترجمة عن اللغات الأجنبية ، وأصبحت المكتبة العربية غنية بالكتب التاريخية على تنوع موضوعاتها . ولكن المطالعة والدراسة عند المدرسين لا تبلغ الحد الذي نرغب به . وقد يكون للتكون الجامعي أثر في ذلك ، ولا سيما بالنسبة للغة الأجنبية ، إذ أن ضعف المدرسين في اللغة الأجنبية أدى بهم مما أدى إلى ضعف هواية المطالعة والدراسة بعد التخرج الجامعي ، ولكن ليس للتكون الجامعي كل الأثر في ذلك ، فهناك أسباب أخرى سنتطرق لمعالجة

بعضها في هذا البحث . والشئ الملاحظ عند جمهور المدرسين أن عدداً منهم يجعل اهتمامه بالمطالعة والدراسة أمر ثانوياً بالنسبة لمشاغله الأخرى ، بل إن بعضهم يكتفى بالثقافة التي تلقاها في أثناء الدراسة الجامعية ويستذكر معلوماته قبل إعطاء الدرس من الكتاب المدرسي . وهذا الأمر يصبح خطيراً جداً إذا نظرنا إلى أننا نضطر في بعض الأحيان إلى الاستعانة ببعض هؤلاء لتقويم الكتاب المدرسي أو لتدقيق الكتاب المقدم للمسابقة وما هو مهم جداً هو أن بعض هؤلاء المدرسين قلعجز عن ملاحظة خطأ وارد في الكتاب أو تصحيح فكرة شخصية واردة فيه أو بعيدة عن الصحة التاريخية .

ولا يعم هذا القول جميع المدرسين إذ أن هنالك عدداً منهم عرف بالدراسة الحثيثة والدأب على المطالعة بل والتتبع والتأليف . وقد برز أثرهم في المؤتمر التوجيهي لمدرسي العلوم الاجتماعية الذي أقامته إدارة التدريب لوزارة التربية والتعليم في منتصف العام الدراسي السابق . ويتصف مدرسو التاريخ بصورة عامة في الإقليم السوري باتساع الثقافة العامة وحسن التعبير ووضوح التفكير .

•

٣ - التتبع والتأليف التاريخي وحيازة المكتبة الشخصية :

إن روح التتبع والتأليف التاريخي ما تزال ضعيفة في جمهرة المدرسين . وأسباب ذلك كثيرة منها انهماكهم بمهمتهم التعليمية وقصر العطلة الصيفية وعدم اهتمامهم بالمكتبة الشخصية وبتغذيتها بالكتب الهامة ... الخ . والمكتبة الشخصية ذات أثر كبير في تنمية حب المطالعة والدرس والتتبع وهي جليلة الفائدة للمدرس .

ينجم عن ذلك ضآلة الاتجاه العلمي لدى أغلب المدرسين وضعف الرغبة الحقيقية في متابعة الدراسة والتقصى والتنقيب . فكأن الإجازة في التاريخ قد حققت غايتها بحصول صاحبها على الوظيفة . ولا ننكر أن لدينا عدداً من

المدرسين يقوم حالياً بالتأليف المدرسي إلا أن أغاب هذا التأليف تنقصه الأصالة والتحريرات الجدية ، بل يتأثر عامة بالكتب المدرسية الأخرى الأجنبية أو العربية . هذا مع اعترافنا بأنه صدر في الإقليم السوري عدد من الكتب المدرسية القيمة جداً، الأصيلة . إلا أن معظم أصحابها انتقلوا إلى جامعة دمشق ودوائر الدولة الأخرى وفقدتهم التعليم الثانوى .

وإن من أسباب ضعف الحركة العلمية لدى مدرسي التاريخ عدم وجود جمعيات تاريخية في الإقليم ، ومكتبات عامة غنية بكتب التاريخ ، ومجلات تاريخية ... الخ .

ولسنا نبالغ في إلحاحنا بتوجيه المدرسين إلى وجوب العناية بالتتبع العلمى ، إذ أن معظم مناطقنا ذات ماضٍ تاريخى عريق ، تشجع المدرسين على القيام بدراسات محلية جزيلة الفائدة .

•

يفتج مما ذكرنا عن واقع مدرسي التاريخ أن معظمهم اختصاصيون في مادتهم . ينتقون خير انتقاء ، لا تنقصهم الرغبة الحسنة في الاطلاع والدراسة والاستزادة من الثقافة المسلكية . إلا أن الظروف الحالية التي هم فيها تجعلهم بصورة عامة أقل تمكناً بمادتهم من أقرانهم في البلدان الأجنبية الراقية وإن كانوا يستطيعون أن يبزوهم لو أتاحت لهم الشروط الثقافية والعلمية المتوفرة لهؤلاء . وهناك حلول وتدابير عديدة تساعد على خلق الجو العلمى لدى المدرسين والسير بهم نحو إنماء ثقافتهم التاريخية . ولا نتعرض هنا إلا إلى ما يخص وزارة التربية والتعليم ، تاركين بعض الحلول التي تتعلق بالجامعة وغيرها إلى التوصيات التي سنوردها بآخر هذا المقال .

ثانياً — الحلول والتدابير

يمكن استكمال الثقافة التاريخية لمدرسى التاريخ وتنميتها ، فيما يخص وزارة التربية والتعليم ، بالحلول والتدابير الآتية : وهى تتضمن مجموعة من التوجيهات الفنية والتدابير الإدارية :

١ — التوجيهات الفنية :

توجه وزارة التربية والتعليم إلى مدرسى التاريخ عددا من البلاغات التوجيهية تتعلق بالنواحي التالية :

— لزوم تهيئة الدروس التى سيعطيها المدرس ، فى كتب أوسع ثقافة وأكثر تفصيلا من الكتب المدرسية

— لزوم العناية التامة بدراسة تاريخ الجمهورية العربية المتحدة : خاصة ، وتاريخ الأمة العربية عامة ، وذلك فى جميع فترات التاريخ : القديم والعربى الإسلامى والحديث وفى التاريخ الحضارى إلى جانب التاريخ السياسى ، على ألا تقتصر هذه الدراسة على المؤلفات القديمة بل تشمل ما يستجد من بحوث وألا تقتصر على مايؤلف باللغة العربية بل تشمل مايؤلف باللغة الأجنبية .

— لزوم الاطلاع الكافى على التاريخ العام ، تاريخ الإنسانية فى مختلف العصور ، والانتباه إلى الترابط المشترك بين أحداث العالم وإلى الأثر المتبادل فيما بينها .

— لزوم العناية بدراسة القضايا الدينية المعاصرة والقوة الاستعمارية التى تتألب على الوطن العربى .

— سؤال المدرسين عن الموضوعات العامة التى يودون استكمال ثقافتهم التاريخية بها أو تنميتها ، فتبعث إليهم الوزارة بقائمة بالكتب العربية والأجنبية عنها .

— لزوم الاهتمام بتنمية المعرفة بإحدى اللغات الأجنبية والتدرب على ترجمة بعض المقالات التاريخية عنها .

— تذبذبه المدرسين إلى أن الثقافة التاريخية النامية تساعدهم على كشف الأخطاء التي قد ترد في الكتاب المدرسي بسبب الطباعة أو سهو المؤلف فيعمل على تصحيحها . كما تساعده على حسن أداء الدرس وحسن التصرف بعرضه .

إن المدرس الواسع الاطلاع يستطيع التوفيق بين الاتجاهات السياسية والقومية المعاصرة وبين ظروف الأحداث التاريخية والأسس التي قامت عليها ، مثال على ذلك : نذبذ نحن العرب ، فكرة الاستعمار والسيطرة الاستعمارية . فبحث المدرس في التوسع الفينيقي الذي هو صورة فذة عن نشاط أبناء وطننا القدماء يجب مع ذلك ، أن يأخذ شكلا ينسجم مع تفكيرنا فلا نعرضه على الطلاب بشكل يعطيه صورة الاستغلال والاستثمار .

مثال آخر : ذكرى الحركة العربية ، في أوائل هذا القرن وتمجيد رجالها وشهداءها وقادة الثورة العربية ، عزيزة على نفوسنا ، إلا أن انحراف أنجال الشريف حسين عن مبادئ الثورة وتعاون بعض قادتها مع الاستعمار يجب ألا يفسد على الأجيال ذكرها . فالمدرس الواثق من ثقافته يستطيع أن يوفق بين كل ذلك فيوضح انحراف الثورة فيما بعد وخروج بعض رجالها عن أهدافها السامية .

مثال ثالث : إن إعجابنا بالحضارة الهلينستية وآثارها المنتشرة في إقليمى الجمهورية لا تنسينا أن نظهر للطلاب أن الحكم المكدونى — وحكم كليوباترة بالذات — إن هو إلا حكم أجنبي استعماري غريب عن هذا الوطن . فالمدرس الواعى لا يلهو عن هذه الحقيقة ولا يسترسل في تمجيد عهد المكدونيين . وكذلك بالنسبة للرومان ... الخ .

— تذكير المدرسين بفائدة الكتابة في المجلات والصحف ، المدرسية منها وغير المدرسية ، لأنها تساعد على إنماء الإنشاء التاريخى والتأليف . والرحلات العلمية مناسبة هامة لتنمية ملكة الملاحظة والمشاهدة والكتابة فى الانطباعات الشخصية .

— تنبيه المدرس إلى الاستفادة من وجوده في إحدى المناطق النائية للتعلم .
بدراسة بعض أحوالها وتقصى تاريخها وجمع المصادر والوثائق عنها .
ولا يظن المدرس أن عمله يجب أن يقتصر على الأحوال الماضية بل يمكن
أن يتركز حول الأوضاع الاجتماعية القائمة . فيدون مشاهداته ويجمع
المستندات والإحصاءات عنها ، ويسجل انطباعاته .

— تنبيه إلى أن الدراسة والتتبع هما بدء العلم . ولا تعطى الدراسة
والتتبع ثمارها إلا في الاختصاص الدقيق . فعلى المدرس أن يتعرف على ميوله .
واتجاهاته ثم يعين الناحية التي يرغب التخصص بها ويتعمق بدراساتها ويطلع
على ما ألف فيها ويسلك سبيل التحليل والنقد وينتبه إلى ما ينبثق من دراسته .
من أفكار واستنتاجات فيدونها ويحقق فيها . ثم يكتب عنها أو يؤلف فيها .
ويجب أن يعلم أن كل كتابة أصيلة هي مساهمة فعالة في ارتقاء العلم بل
هي معلم بلداته . ويجب أن يعلم المدرس أن باستطاعته دوماً أن يكون عاملاً
فعالاً في تأليف التاريخ وأن يضع لبنة في بناء صرح التأليف التاريخي .
ولا يتحقق له ذلك إلا إذا اتسم علمه بالحياد والدقة في سرد الوقائع .
فالوجدان العلمي شرط أساسي من شروط المؤرخ . لا يطلب من المؤرخ
أن يستخلص العبر من الأحداث التي يؤرخ فيها ولا يعطى رأيه فيها ، فذلك
من مهام رجال آخرين : نقاد أو فلاسفة أو مربين ، وإنما يطلب منه
تصوير الحوادث على النحو الصحيح حسبما شاهدها وسرد الأقوال كما
سمعها . لا يتخلى المؤرخ قط عن واجب التدقيق والتحقيق عند دراسة
المصادر ، والمقابلة فيما بينها ، ولكن ليس عليه أن يقوم بأي تحوير . لقد
كتب كثيرون من أدباء أوربا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر عن
الدولة العثمانية وعن الشرق وادعوا أنهم يؤلفون تاريخاً . ولكن لم تكن
كتاباتهم إلا مجرد صحائف أدبية ، خيالية ، شخصية . لذلك اندثرت
وبقي بدلا عنها تقرير صغير من شاهد عيان مقيم في هذه المدينة أو تلك ،
لا تمحوه السنون . وكذلك فالمدرس في قرية نائية أو مدينة مهما صغرت

حين يشاهد الحوادث التي تمر بها ويكتب عنها ، تبقى كتاباته ذات قيمة لا تمحى .

ولا يطلب من المدرس أن يدون من الحوادث تلك التي يعتقد أنها تاريخية فحسب ، بل يمكنه تدوين أى حادث هام يجد أنه ذو أثر سياسى أو اجتماعى أو اقتصادى أو فنى فى تاريخ المنطقة أو الوطن أو فى تطور المجتمع وللنقاد وللأجيال من بعده أن تتحقق فيما قال أو كتب وتستخلص النتائج ، ولكن يكفيه رضا أنه صدق فيما ذكر وقدم للمحققين من بعده مصادر للبحث ، وأسهم إسهاماً فعالاً ، مهما ضوئت قيمته ، فى تطور علم التاريخ وارتقائه . على أن يلتزم فى كتاباته قبل كل شئ قواعد الطريقة العلمية فى البحث ، تلك التي عرفها فى أثناء دراسته الجامعية .

— توجيه المدرس إلى وجوب تكوين مكتبة تاريخية شخصية وتنميتها باستمرار حتى تصبح لاثقة بمدرس التاريخ . وتحتوى مكتبة المدرس الشخصية — بالإضافة إلى المؤلفات العامة والكتب الاختصاصية ، الصور والوثائق والمستندات ، ومقتطفات عن الصحف وعن أقوال رجال الفكر والسياسة ، وبعض وسائل العمل التاريخى كالمعاجم والأطالس وغيرها ، يجب ألا يغرب عن بال المدرس أن النظر إلى الحارطة والتمعن بها تفاعل ذاتى عميق مع الأرض التي يرى صورة مصغرة عنها ومع الأمة التي تنبئ عنها . والرأى صحيح أيضاً بالنسبة لروائع الفن وصور الأثر القديم .

هنالك فن فى تكوين المكتبة الشخصية وتنميتها . إذ أنها تعطى صورة عن ميول صاحبها واتجاهاته وأفكاره الشخصية . ولا يمكن أن تكون المكتبة الشخصية حاوية كل شئ ، فالفن فى حسن الانتقاء .

إن تنمية ملكة المطالعة والدراسة وخلق روح البحث العلمى والتتبع لدى المدرسين تساعدان على وضعهم فى الجو العلمى الذى تهيئوا له وتحببان إليهم الاختصاص الذى اختاروه وتنميان ثقافتهم ، ويشع نور ذلك كله

على تلامذتهم . فيكون للدرس التاريخ عند هؤلاء أثر في نفوسهم وأى أثر وتكون للمدرس عندهم حرمة وأى حرمة .

٢ - التدابير الإدارية :

متابعة تنفيذ التوجيهات - حلقات البحث العلمى - الدورات التدريبية - كتاب المدرس - قائمة الكتب الرئيسية لاستكمال الثقافة التاريخية -... الخ .

١ - متابعة تنفيذ التوجيهات :

يجب ألا تبقى التوجيهات الفنية التى تعم على المدرسين مجرد نصائح وإرشادات يأخذ بها المدرسون أو لا يأخذون ، بل يجب معرفة مدى تفهمهم لها وتنفيذها . ويتحقق ذلك بصورة خاصة عن طريق المفتشين . يستطيع هؤلاء إبان جولاتهم التفتيشية أن يتحدثوا مع المدرسين عن فائدة النواحي التى تطرقت إليها التوجيهات وأهميتها ويوضحوا ما أشكل لهم بشأنها ، ويسألوهم عن تنفيذها . يجب أن يشجع المفتشون المدرسين على استكمال ثقافتهم الاختصاصية وتنميتها ويقدرُوا المتبعين والباحثين ويفيدوا منهم فى المهام العلمية . المفتش قبل كل شئ مرشد وموجه ، إذ أن العلاقة بين المدرس والإدارة التعليمية تبقى دوما علاقة ود وتعاون ، فالمدرس موضع ثقة مطلقة من الجميع . ولا يمكن أن يشككنا فيها إلا تقصير متعمد . لذلك يجب أن يتركز حديث المفتش مع المدرسين حول مدى فائدة الطلاب من الكتب والمناهج ووسائل تحقيقها والمعضلات التى تنجم عنها وحلولها ، وتبدأ هذه الحلول يتمكن المدرس من مادته وتنمية اختصاصه ، وإن متابعة المفتش تنفيذ التوجيهات التى ذكرناها آنفا خير ضامن على الفائدة المرجوة منها .

ب - حلقات البحث :

يستطيع المفتشون أيضاً أن يعقدوا في مناطقهم حلقات بحث يناقشون فيها بعض النقاط التي يقع الاختلاف فيها بين المدرسين .
مثال على ذلك : هل يجب التوسع - في المدارس الإعدادية - بفتنة عثمان أم أنه يجب عدم التوسع بها بل إغفالها . إن مثل هذه الناحية قد يختلف فيها المدرسون - وقد اختلفوا فعلاً - بناء على وجهة نظر كل منهم في لزوم تزويد طالب الإعدادية بجميع النواحي الثقافية التاريخية أم عدم تزويده بها لئلا نتوسع بإيراد هنات التاريخ العربي .
مثال آخر : هل يجب التوسع بالفتوحات في العهد الأموي في المرحلة الإعدادية أم عدم التوسع بها مطلقاً ، بناء على رأى القائل بعدم الاهتمام بالحروب في المنهج المدرسي . أو الرأى القائل بوجوب الاهتمام بهذه الحروب الأموية بالذات لأنها أساس بناء الدولة العربية ؟
إن هذه المناقشات وأمثالها مفيدة جداً . فيستطيع المفتش في حدود منطقته أو الوزارة في الإقليم أن تعقد حلقة بحث علمي تناقش به هذه النقاط في ضوء توجيهات المنهج .

ويمكن أيضاً عقد حلقة علمية من قبل المفتش أو من الوزارة نفسها بمستوى علمي بحث . مثال على ذلك : مصادر (Sources) تاريخ الثورة العربية سنة ١٩١٦ والحكومة العربية في سورية (١٩١٨-١٩٢٠) أي مصادر تاريخ الحركة العربية قبيل الدستور العثماني وبعده - مقدمات الثورة - يومياتها Chronologie الوثائق الرسمية العربية والأجنبية - المذكرات - آراء المعاصرين - المؤلفات العربية - المؤلفات الأجنبية - مقتطفات من الصحف - الصور والرسوم والخرائط - الأزياء العسكرية والمداليات والأساحة - الأناشيد والقصائد الوطنية والزجل الشعبي - التحقيقات (الأعمال) الإدارية للحكومة العربية بدمشق - الاستعداد العسكري - السياسة الدولية - الخ ... الخ ...

فيطلب من المدرسين عند الإعلان عن موعد هذه الحلقة أن يرشح كل منهم نفسه لواحد من هذه المواضيع ، فيهيئ المصادر المتعلقة بها ، ويقدم في الحلقة بياناً ودراسة عن هذه المصادر .

والأمثلة عن البحوث التي يمكن أن تعقد بها حلقات علمية محلية أو عامة كثيرة ليس من الضروري الآن إيرادها .

حـ - الدورات التدريبية العلمية :

- هنالك موضوعات كما قلنا في بدء هذا البحث لم يطلع عليها المدرسون في أثناء دراستهم الجامعية أو لم يتوسعوا بدراستها ، كما أن هنالك موضوعات برزت أهميتها حديثاً بسبب نمو حركة التحرر العربي والحركة التحررية للشعوب الأخرى . فيجب دراسة هذه البحوث من جديد والاهتمام بها الاهتمام اللازم . فالدورات التدريبية كفيلة بتحقيق هذا الغرض . ونورد فيما يلي عدداً من هذه الموضوعات لنذكر أهميتها القصوى :
- استقلال الأقطار العربية في السنوات العشر الأخيرة .
 - علاقة إمارات الجزيرة العربية بالدول الاستعمارية .
 - الكفاح العربي في الجزائر منذ الاحتلال حتى وقتنا الحاضر .
 - ثورة السودان ١٩٥٨ .
 - قضية لواء الإسكندرون .
 - السياسة الاستعمارية في سورية عقب الحرب العالمية الأولى (خلق كيانات جديدة في سورية ، لبنان ، فلسطين ، شرق الأردن) .
 - أهداف ثورة ١٩٥٢ في الإقليم المصري وتحقيقاتها .
 - الأحلاف الاستعمارية ومؤتمرات الحياض الإيجابي (باندونج ، بريوني ، القاهرة) .
 - أنظمة الحكم في سورية من نهاية الحرب العالمية الأولى حتى قيام الجمهورية العربية المتحدة (النضال الوطني في سورية والمحاولات السياسية الفاشلة للسلطة الاستعمارية — سياسة الحكومات الوطنية بعد الجلاء لصيانة الاستقلال)

- أثر كارثة فلسطين في تحقيق الوعي العربى .
- التحقيقات (Réalisations) الاجتماعية والاقتصادية للجمهورية العربية المتحدة .
- صور من المقاومة الشعبية فى الإقليم المصرى ضد بونابرت وضد السلطة العثمانية (عمر مكرم ... الخ) .
- اتحاد مصر وسورية زمن الأيوبيين وأثره فى طرد الصليبيين من بلاد العرب .
- السياسة الاستعمارية والتميز العنصرى زمن الرومان فى إقليمى الجمهورية العربية المتحدة .
- السياسة الاستعمارية والتميز العنصرى زمن المكدونيين (البطالمة والسلوقيين)
- التكامل الاقتصادى بين أقطار الوطن العربى .
- واجبنا نحو المستقبل .
- الحركات الاستقلالية فى إفريقيا السوداء والجمهوريات المستقلة حديثاً فيها ... الخ ... الخ .
- تقام هذه الدورات العلمية فى كل من الإقليميين وتنظمها وتشرف عليها وزارة التربية والتعليم التنفيذية . والدورة التدريبية تقام لواحد من هذه الموضوعات ولموضوعين أو أكثر . وتنتهى المحاضرات بثبت بالمراجع . وتطبع وتوزع على المدرسين .
- إن الدورات التدريبية وحلقات البحث تشكل ، بالإضافة إلى الفائدة العلمية المباشرة ، جواً علمياً يحجب إلى المدرسين الدراسة والتتبع العلمى ويرقى بهم إلى مستوى رفيع ويدفعهم إلى تنمية اختصاصهم ويخفف عنهم المتاعب التى يلاقونها فى مهامهم التعليمية .
- والمهم فى هذه الدورات التدريبية تزويد المدرسين بثقافة نامية فى الموضوعات الجديدة والهامة ولا سيما العربية منها وإرشادهم إلى الكتب الأساسية التى تعالجها .

د - إبلاغ المدرسين قائمة بالكتب الضرورية للثقافة التاريخية ولتكوين نواة المكتبة الشخصية :

لابد وأن المدرسين قد عرفوا أثناء دراستهم الجامعية وممارستهم التعليم أسماء عدد من الكتب الهامة والأساسية المتعلقة بموضوعات اختصاصهم . فمن الممكن تذكيرهم بها وإبلاغهم بأسماء مصادر أخرى ومصادر في الموضوعات الجديدة . وتقديمنا للمدرسين قائمة بالكتب الهامة فيه فائدة كبرى إذ أنها تساعد على التعرف عليها وشراؤها ودراسة ما لم يدرسوه منها . وكأننا أيضاً بهذه الوسيلة نساعد على تكوين مكتبة تاريخية متكاملة ضرورية لهم من أجل مهنتهم التعليمية ومتطلباتها . ولسنا نطمح في أن نقدم لهم قائمة واسعة في الكتب بمختلف عصور التاريخ وبمختلف البحوث وإنما قائمة بكتب أساسية يحسن بكل مدرس حيازتها ،

وهذه القائمة تتضمن كتباً عن :

نشأة الحضارات - تاريخ الأمم القديمة - الفراعنة وتاريخ الشرق القديم - الإغريق والهيلينستين - الرومان والبيزنطيين - البرابرة - الجزيرة العربية منذ أقدم العصور - الدعوة الإسلامية والفتوح العربية الإسلامية - الممالك الإسلامية والعربية - تاريخ العرب في الأندلس - الإقطاع في أوروبا - القرون الوسطى الأوروبية - الحروب الصليبية - الدولة العثمانية - أوروبا والعالم منذ الثورة الفرنسية - تاريخ العرب الحديث - الكفاح العربي واستقلال الأقطار العربية .

وبعض الكتب في : تطور الفكر الإنساني - المذاهب السياسية - المذاهب الاقتصادية - الحضارة الأوروبية - الحضارة العربية - الاقتصاد العربي .. الخ - خرائط وأطلس تاريخي .

وهذه القائمة تشمل كتباً عامة ؛ عربية وأجنبية تتعلق بالتاريخ العام والتاريخ العربي والإسلامي ، وكتباً خاصة ببعض البحوث ، وكتباً متعلقة بموضوعات معاصرة .. الخ .

وسنقدم بمناسبة أخرى صورة عن هذه القائمة - وفق الأسس التي ألمعنا إليها - تلك التي يستطيع المدرسون اقتناء كتبها في سنين قليلة لتكون نواة لمكتبتهم الشخصية .

هـ - كتاب المدرس :

وهناك ندير إدارى آخر عظيم الأهمية يحقق جزءاً كبيراً من الأغراض التي نسعى إليها ويزود المدرسين بالثقافة لتأدية واجبهم التعليمى . خير تأدية ألا وهو كتاب المدرس .

يشترط فى كتاب المدرس أن يكون :

- شاملاً المنهج الأخير لوزارة التربية والتعليم .
- متوسعاً بالبحوث الأخرى سعة تامة كافية لتزويد المدرس بالمعرفة التاريخية ولربط الأحداث فيما بينها .
- مؤلفاً وفق روح المنهج وأهدافه وتوجيهات وزارة التربية والتعليم دون مساس بالحقائق التاريخية الثابتة .
- متضمناً الوسائل التعليمية المساعدة كالخرائط والصور والخطوط البيانية والإحصاءات والوثائق اللازمة والقرارات التاريخية ومصادر البحث وأسماء كتب يمكن أن يوجه الطلاب إلى قراءتها .
- والكتاب المدرسى مفيد جداً لا نبالغ مهما توسعنا فى تبيان فائدته وعند ما يصبح لدى مدرسينا كتاب عن كل صف من صفوف المرحلة الإعدادية والثانوية خاص بهم يبدأ لدينا الاطمئنان على مستقبل تعليم التاريخ فى الجمهورية العربية المتحدة وعلى مستوى المدرسين العلمى والثقافى التى يحملها التلاميذ من سنى دراستهم .
- إن تحقيق أهداف المنهج وغاياته يتوقف قبل كل شىء على شخصية المدرس إلا أن العامل الأول فى هذه الشخصية ونجاح المدرس فى عمله هو تمكنه من مادته وتوسعه فى ثقافته الاختصاصية .

ثالثاً — التوصيات (بما يخص الإقليم السوري)

١ — التوصيات المتعلقة بجامعة دمشق :

- تعيين عدد من الكتب في كل سنة من سني الاختصاص لقراءتها من الطلاب ، عدا الكتب المقررة ، وسؤالهم عنها ومناقشتهم في موضوعاتها أثناء الفحوص الشفهية .
- عند اقتصار الأستاذ الجامعي على تدريس جزء من المادة يطلب إليه تبديل هذا الجزء كل سنتين حتى يصلر عن المدرس أو الجامعة في مدى عدة سنوات دراسة وافية عنها .
- على كل أستاذ أن يقدم لطلابه في بدء السنة الجامعية بياناً بالمصادر عن الموضوع الذي سيدرسه ، مبوبة حسب فصول هذا الموضوع :
- على كل أستاذ عند ذكره أثناء التدريس كتاباً من الكتب أن يظهر خاصته ويدعو الطلاب إذا رأى لزوماً لذلك إلى دراسته واقتنائه .
- توصية قسم التاريخ في كلية الآداب بزيادة العناية بتدريب الطلاب على قراءة الوثائق التاريخية وتفسيرها وتحليلها ، وكذلك قراءة صفحات من مؤلفات المؤرخين ونقدها ، وذلك في كل سنة من سني الاختصاص .
- تعميم مبدأ فرض الوظائف التاريخية على الطلاب مرة على الأقل في كل سنة على أن تناقش هذه الوظيفة أمام عموم الطلاب وتنفذ من الأستاذ ويجعل لها علامة (درجة) ذات أثر في نجاح الطالب .
- زيادة العناية باللغة الأجنبية بصورة تجعل الطالب قادراً على المطالعة بها بسهولة والانتفاع منها ، كأن تزداد مثلاً الساعات المخصصة لها أسبوعياً... الخ
- العناية بتزويد مكتبة الجامعة أو مكتبة كلية الآداب — إذا كان للكلية مكتبة خاصة بها — بالكتب التاريخية اللازمة والمجلات والخرائط والأطالس.

- تخصيص قاعة خاصة للأستاذ في مكتبة الجامعة وفي مكتبة الكلية .
- الإكثار قدر الإمكان من الرحلات التاريخية للطلاب مع تنظيمها التنظيم الدقيق على أن يشرف عليها أحد الأساتذة .
- إيجاد مجلة لكلية الآداب يخصص بها ركن للتاريخ يشرف عليه وينظمه رئيس قسم التاريخ ويشترك الأساتذة والطلاب في تحريره .

٢ — التوصيات المتعلقة بوزارة التربية والتعليم :

- تنفيذ التوجيهات الفنية التي أوردناها في هذا البحث ، صفحة ٢٣٥
- تنفيذ التدابير الإدارية التي أوردناها في هذا البحث ، صفحة ٢٣٩
- تضمين المناهج في المرحلتين الإعدادية والثانوية شيئاً من التاريخ العام أو على الأقل البحوث الهامة من التاريخ العام والبحوث التي لها ارتباط بتاريخ الوطن المحلي والوطن العربي الكبير .
- تطوير طباعة الكتب المدرسية بشكل تصبح فيه وسائل الإيضاح (الصور — الرسوم — الخطوط البيانية ..) واضحة وجميلة وجذابة ، مع الإكثار بالقدر اللازم من أجزاء المطالعة الحرة (كالوثائق التاريخية والنصوص وفقرات من الكتب الهامة ... الخ) على أن يكون الكتاب حسن التجليد سهل الاستعمال .
- تغذية مكتبات المدارس بالكتب التاريخية ليرجع إليها المدرسون عند الحاجة .
- تنمية مكتبة الوزارة ومكتبات مديريات التربية والتعليم في المناطق بالكتب التاريخية الأمهات والكتب الأخرى الهامة ، العربية والأجنبية .
- تشجيع المدرسين الباحثين والدارسين . وذلك بالإفادة منهم في المهام الفنية ونشر بحوثهم في مجلة الوزارة أو طباعها على حسابها الشخصي . وخاصة بإيفادهم ببعثات دراسية .

- إقامة رحلات تاريخية للمدرسين في حدود المنطقة أو الاقليم أو الجمهورية أو الوطن العربي الكبير أو البلدان الأجنبية ومساعدتهم مادياً في نفقات بعض هذه الرحلات .
- تبادل المدرسين بين إقليمي الجمهورية .
- عدم التضييق على المدرسين في منحهم الإجازات الدراسية لفترة قصيرة أو لعدة سنوات .
- تسهيل المطالعة بمكتبة الوزارة أو بمكتبات مديريات التربية والتعليم بالمحافظات . وذلك بفتحها في الأوقات التي تناسب المدرسين ، أو بالسماح لهم باستعارة الكتب لمدة محدودة .

*

٣ — التوصيات الخاصة بوزارة الثقافة والإرشاد القومي :

- تجهيز المكتبة الوطنية بدمشق والمكتبات العامة بالمحافظات بالكتب التاريخية الكبرى والكتب الحديثة والهامة وبمجموعات كاملة عن بعض الصحف ... الخ .
- تمديد فترات المطالعة بهذه المكتبات ولا سيما الفترة المسائية .
- تخصيص قاعة في كل مكتبة وطنية للمدرسين والباحثين .
- تزويد المكتبات الوطنية والعامة بالكتب الأجنبية الهامة .

*

٤ — التوصيات الخاصة بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية :

- تشجيع البحث التاريخي عن طريق تقديم جوائز للباحثين .
- تعيين بعض البحوث وإجراء مسابقة بها وتقديم جوائز للمؤلفين المتفوقين .

- إحداء مكتبة تاريخية كبرى .
- إيجاد مجلة للعلوم الاجتماعية عامة وللأاريخ والآثار بصورة خاصة .
- إحداء جمعية تاريخية وآثارية فى السنوات القليلة المقبلة .
- السعى لتسهيل اقتناء الكتب عن طريق تحديد أسعارها بالقدر الممكن ٥
- السعى لتسهيل حصول المدرسين الباحثين على الوثائق الرسمية السرية أو على المحلات العربية والأجنبية التى لا تدخل الجمهورية ٥
- السعى لتنظيم اطلاع المدرسين الباحثين على المصادر الإخبارية التى فى حوزة إدارات الدعاية والأبناء :

النَّوْصِيَّاتُ

التي أقرتها الحلقة

التوصيات

أولا - التوصيات الخاصة بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

- ١ - تأليف مجموعة تاريخية جغرافية أثرية للجمهورية العربية المتحدة على أساس الخطط ، وتشكيل لجنة من المجلس للنقد بمشروع كامل النواحي .
- ٢ - التوصية بعمل سجل تاريخي أثري مصور لآثار الجمهورية العربية المتحدة في مختلف العصور ، ويكون شاملا لجميع الآثار بأنواعها وتفصيلها حسب ترتيبها الزمني والمعجمي لإظهار التطور التاريخي والتأثيرات المتبادلة والمميزات الفنية في كل من إقليمي الجمهورية ، على أن يبدأ المشروع بالعصور الإسلامية .
- ٣ - وضع مخططات (أطالس تاريخية) للعصور التاريخية المختلفة في الجمهورية العربية المتحدة بإقليمها .
- ٤ - وضع معجم للمصطلحات التاريخية بجميع أنواعها الواردة في مراجع التاريخ العربي في مختلف عصوره .
- ٥ - وضع معجم لتراجم المشاهير من الرجال والنساء في مختلف العصور .
- ٦ - وضع معجم تاريخي للبلدان والأمكنة العربية في مختلف العصور .
- ٧ - التوصية بعمل معاجم للموضوعات الاجتماعية المختلفة كالملابس والأدوات المنزلية والأثاث ... الخ في مختلف العصور .

- ٨ - وضع فهرس تحليلي لمراجع تاريخ الجمهورية العربية المتحدة ، المتحدة
في مختلف العصور التاريخية من قديم ووسيط وحديث ومعاصر ،
٩ - القيام بدراسة وافية علمية تمحيصية انتقادية عن الاستشراق
وأغراضه وأهدافه .
١٠ - العناية بالنواحي الاقتصادية والاجتماعية في تأليف الكتب
التاريخية .
١١ - العناية بدراسة الأندلس والمغرب العربي من حيث التاريخ
والآثار والمخطوطات والوثائق .
١٢ - توجيه الرأي العام للاهتمام بالوثائق عن طريق دور الإذاعة
والتلفزيون ومديرية الدعاية والأنباء (مصلحة الاستعلامات)
وضرورة الحفاظ عليها ، والتنبيه إلى ضرورة تسجيلها
وصيانتها أو تسليمها إلى مديرية الوثائق بدلا من تركها عرضة
للتلف .
١٣ - التقدم بتوصية إلى بلديات محافظات الإقليمين برعاية الأمكنة
التي تضم أبنية أثرية .
١٤ - التقدم بتوصية إلى جامعة الدول العربية بإنشاء مكتب اتصال
في إدارتها الثقافية ليكون مركز الصلة بين الآثاريين
والمؤرخين في البلاد العربية ، وأن يصدر عن هذا المكتب
نشرة دورية تعرف المؤرخين والآثاريين بما يجري من بحوث
تاريخية أثرية وما يصور من مخطوطات ، وما يصدر من
مؤلفات في التاريخ والآثار في جميع تلك البلاد .
١٥ - التوصية بعقد مؤتمر للدراسات التاريخية والأثرية بين المختصين
من أبناء البلاد العربية كلها .
١٦ - طبع البحوث والصور التي قدمت إلى الحلقة مع المناقشات
التي دارت فيها والتوصيات التي أقرها الأعضاء في كتاب مستقل .

ثانياً — التوصيات الخاصة بوزارة التربية والتعليم المركزية :

١٧- زيادة الاهتمام بتدريس اللغات الأجنبية في المدارس الثانوية وفي كليات الجامعات المختلفة .

١٨- العناية بالمكتبات في المدارس الثانوية ، وفي أقسام التاريخ والآثار في الكليات الجامعية والمعاهد العليا ، وإنشاؤها في المدن التي لا توجد بها مكتبات عامة .

١٩- التوصية بالعناية بالدورات التدريبية لمدرسي التاريخ في المدارس الثانوية لتجديد ثقافتهم التاريخية وتنميتها .

٢٠- التقدم بالتوصية بوجوب العناية بأمر المتاحف المدرسية .

٢١- تشجيع الممتازين من مدرسي التاريخ في المدارس الثانوية بإيفادهم في بعثات دراسية قصيرة أو طويلة الأمد لاستكمال دراستهم .

٢٢- إعداد أخصائيين في التاريخ والآثار والعلوم المساعدة ، بإرسال بعثات إلى الجامعات في الخارج .

٢٣- إرسال بعثات علمية من خريجي الجامعات لدراسة علم الوثائق وطرق صيانتها وتنظيمها ، وإرسال بعثات تدريبية لموظفي إدارات الوثائق بالجمهورية العربية المتحدة للوقوف على أحدث النظم في تنظيم الوثائق وصيانتها .

٢٤- إرسال عدد من خريجي كليات الهندسة والفنون الجميلة والفنون التطبيقية في بعثات عملية تطبيقية إلى الخارج لدراسة ترميم الآثار .

٢٥- إرسال بعثات علمية إلى الأندلس والمغرب العربي لحصر ودراسة الآثار والمخطوطات التي لم يسبق دراستها .

ثالثاً — التوصيات الخاصة بالمجلس الأعلى للجامعات :

- ٢٦ — إصدار مجلة لكلية الآداب بجامعة دمشق لنشر ما يقدمه أعضاء هيئة التدريس وغيرهم من الباحثين .
- ٢٧ — إنشاء معاهد عليا لدراسة الآثار في كليات الآداب بالجمهورية العربية المتحدة .
- ٢٨ — التوصية بإنشاء قسم لدراسة اللغات الشرقية القديمة والحديثة في كلية الآداب في جامعة دمشق .
- ٢٩ — العمل على إنشاء قسم خاص باللغات والدراسات الكلاسيكية في جامعة دمشق وإعداد جهازه التعليمي ووسائل عمله قبل تأسيسه .
- ٣٠ — التوصية بتدريس اللغات الحية كالألمانية والأسبانية والروسية والإيطالية وغيرها في جامعات الجمهورية العربية المتحدة .
- ٣١ — توصية جميع كليات الآداب بإدخال مادتي تاريخ الحضارة وحضارات الشرق القديم في مناهجها حسب حاجة الطالب العربي ، ووضع مؤلفات ونشر نصوص تاريخية عنهما .
- ٣٢ — الدعوة إلى إدخال مواد التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والفلسفة السياسية بالإضافة إلى الجغرافية واللغات الأجنبية في أقسام التاريخ بجامعات الجمهورية العربية المتحدة ، والعمل على إيفاد بعثات لخريجي أقسام التاريخ للتخصص في هذه المواد تخصصاً ملائماً للأغراض التاريخية .
- ٣٣ — مساعدة أساتذة التاريخ والآثار على التفرغ لبحوثهم بتقليل ساعات التدريس ومنحهم إجازات التفرغ المنصوص عليها في لائحة الجامعات .

رابعاً — التوصيات الخاصة بوزارة الثقافة والإرشاد القومي المركزية:

٣٤- التوصية بتنفيذ ما سبق أن اقترحته كل من اللجنتين بعمل كتيبات عن تاريخ كل محافظة من محافظات الجمهورية على حده ، ووضع كتيبات في تاريخ ووصف المناطق الأثرية الهامة فيها .

٣٥- التوصية بتنظيم معارض متنقلة بين مدن إقليمي الجمهورية ممثلة للحضارات في كل من إقليمي الجمهورية في العصور المختلفة.

٣٦- التوصية برعاية الصناع الأنحصائيين بترميم الآثار وتشجيعهم والعمل على إيجاد فئة جديدة تحمل محلهم إبقاء على صناعتهم .

٣٧- التوصية باستصدار التشريع الكفيل بتسليم الوثائق التي لم تعد الإدارات الحكومية بحاجة إليها إلى مديرية الوثائق على أن تؤخذ بعين الاعتبار عند إصدار هذا التشريع النقاط الآتية :
أ - المحفوظات التي يجب على الإدارة حفظها إلى أجل غير مسمى .

ب - المحفوظات التي يجب على الإدارة حفظها لأجل مسمى وتنتهي حاجتها إليها بإنتهائه ، وعندئذ يصار إلى تشكيل لجنة تمثل فيها مديرية الوثائق لانتقاء مايلزم من هذه المحفوظات والسماح بإتلاف الباقي .

ج - المحفوظات التي يمكن تسليمها حالاً إلى مديرية الوثائق .

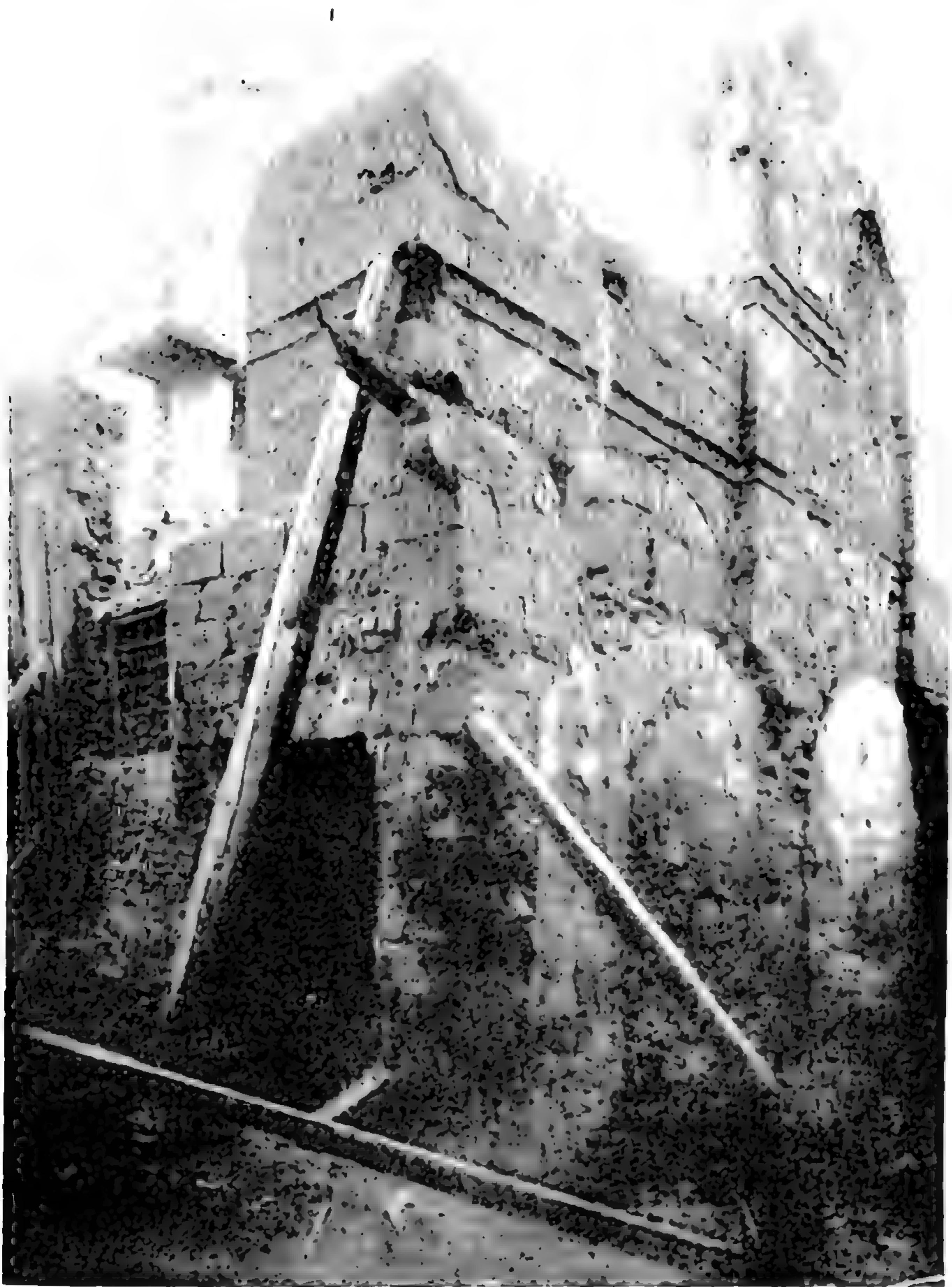
د - تعين كل إدارة ترتيب الوثائق التي بحوزتها ونوعها ويضع جهازها الإداري والقانوني نظاماً لذلك وتبلغ نسخة منه إلى مديرية الوثائق وتجرى عمليات التسليم والتسليم على أساسه .

مقرر اللجنة

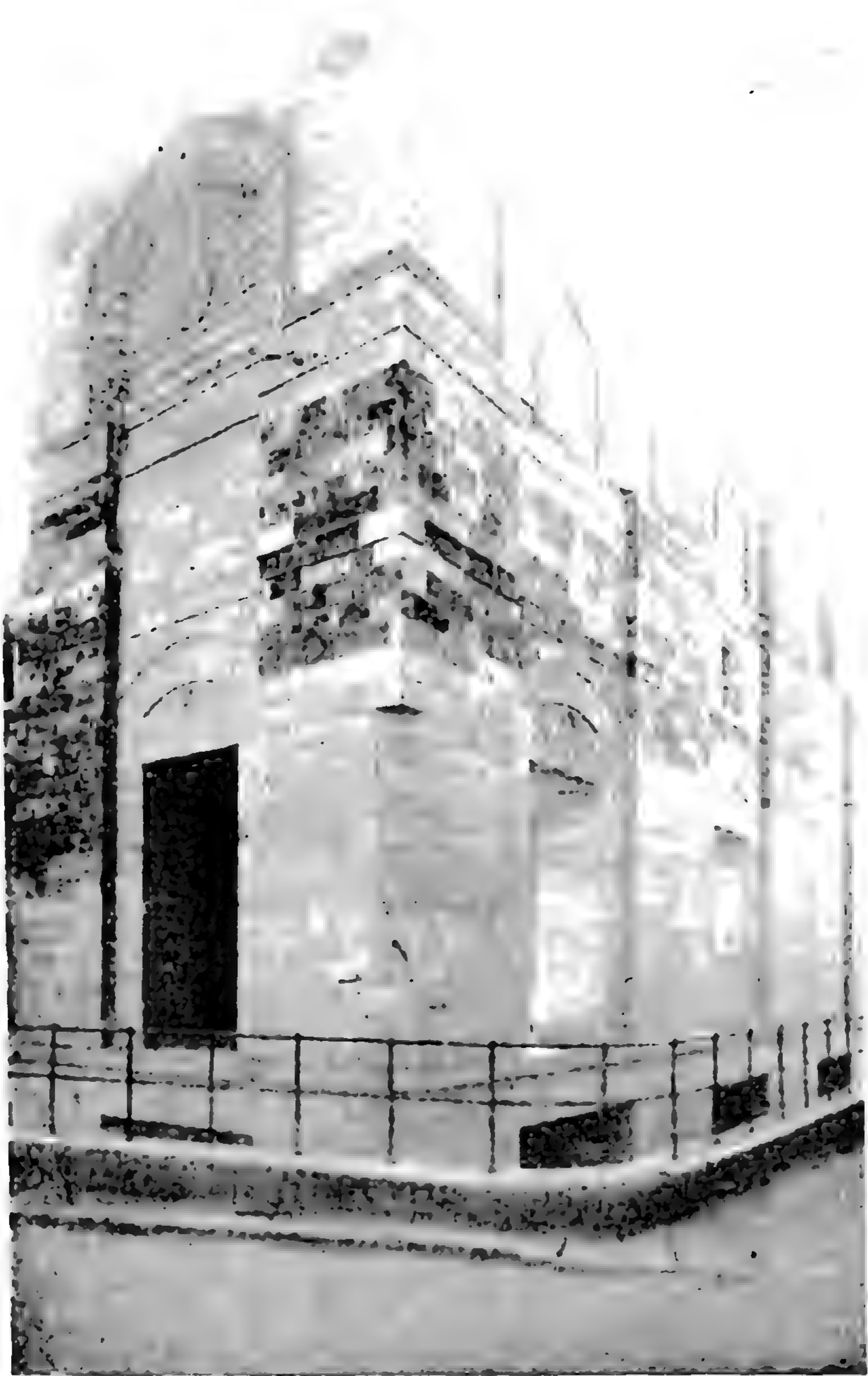
الاورحات الخاصة بموضوع

ترميم الابواب

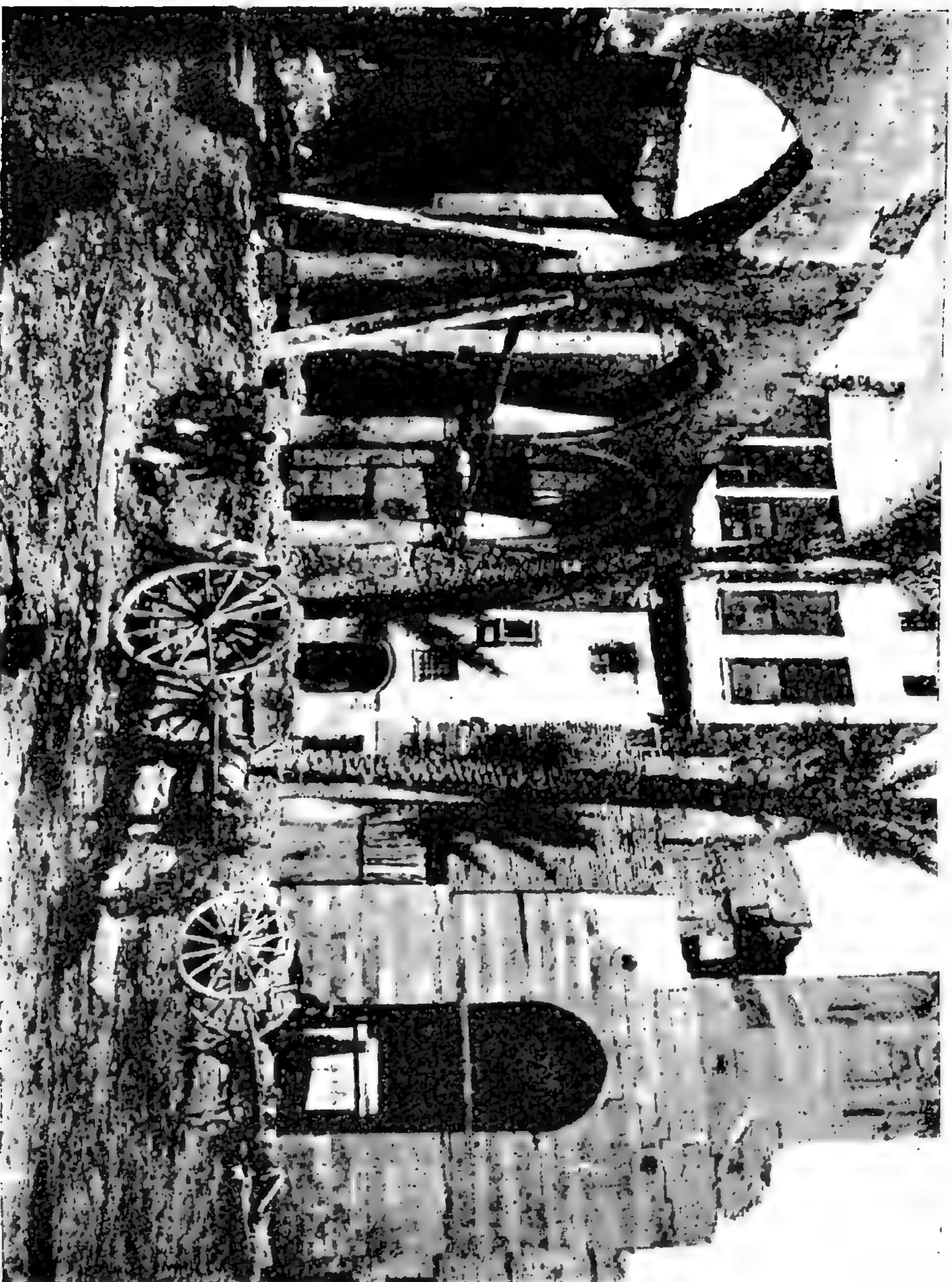
للمهندس محمد عبد الفتاح حلمي



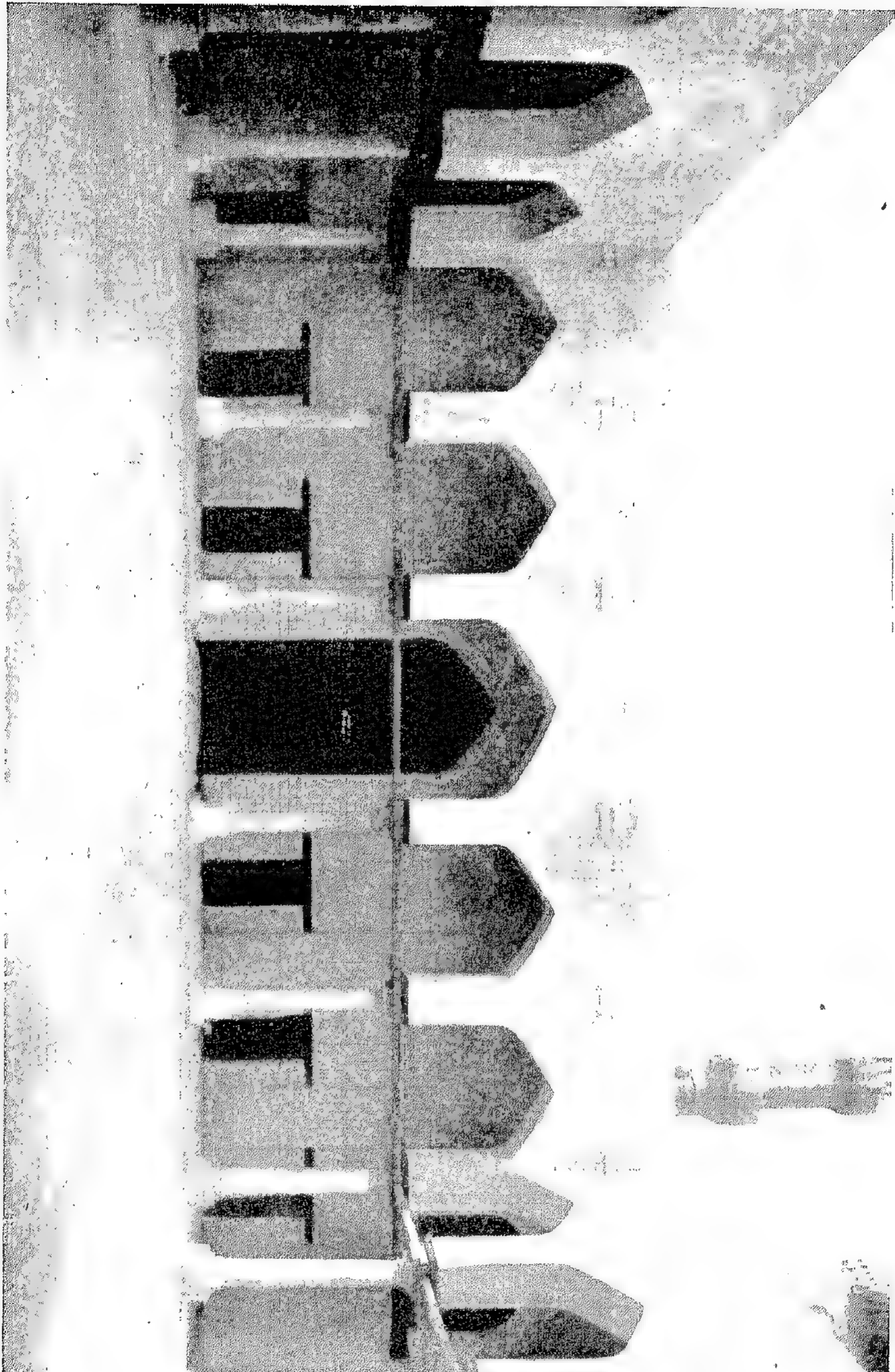
١ - واجهة مسجد الصالح طرغ قبل الإصلاح



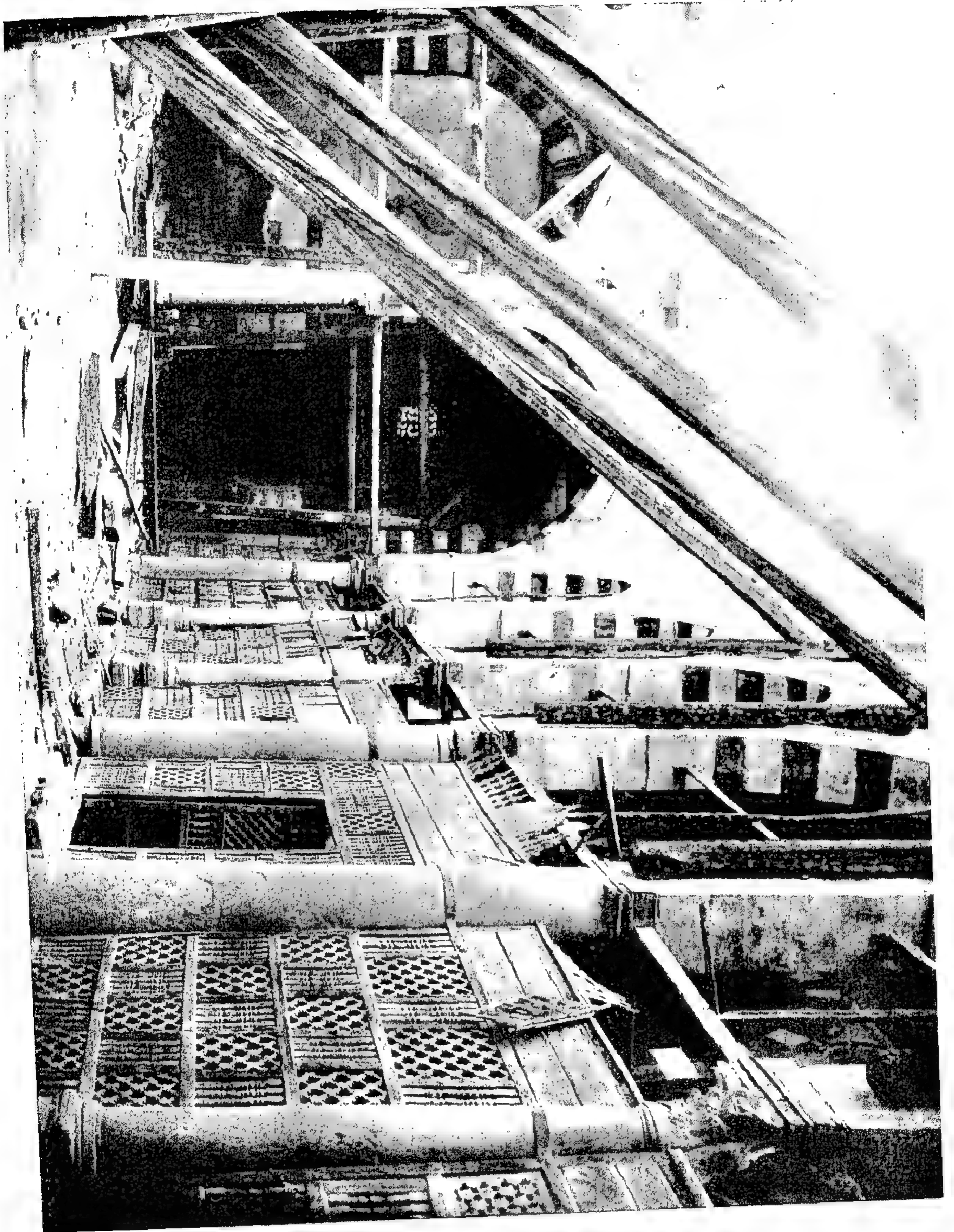
٢ - واجهة مسجد الصالح طابع بعد الإصلاح



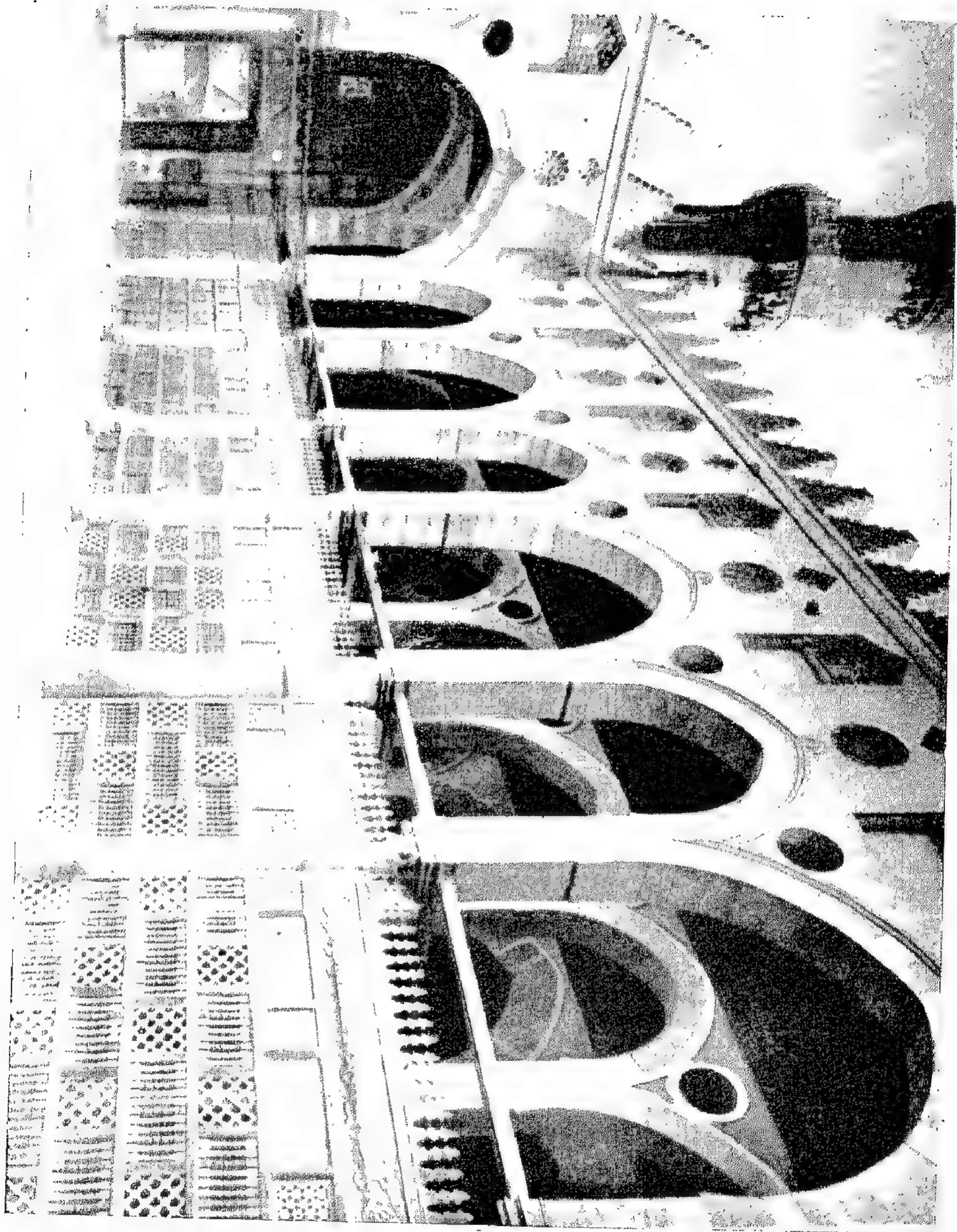
٢ - دافن سبط السباع في الجبل

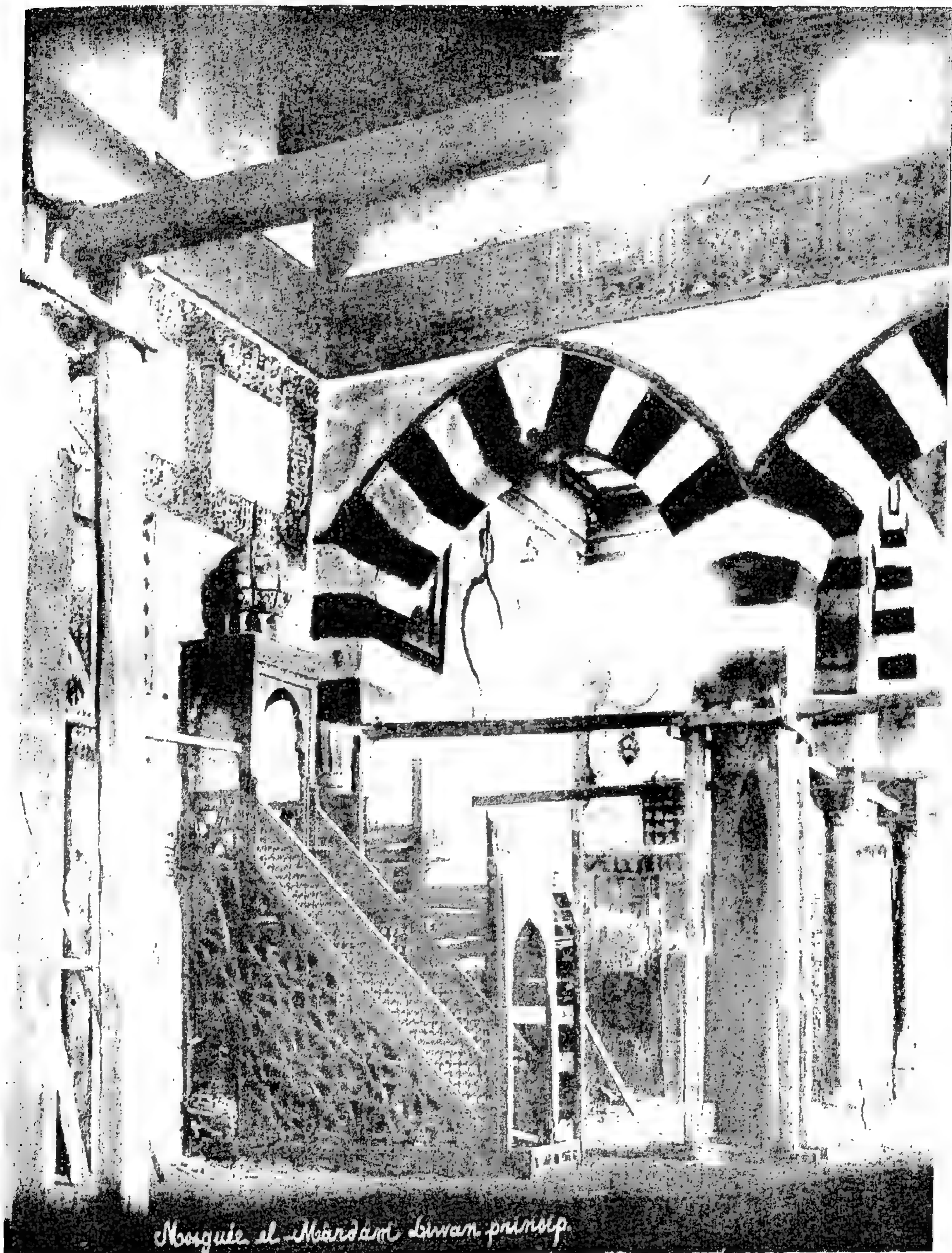


٤ - داخل مسجد الصالح طاب ثراه الإصلاح

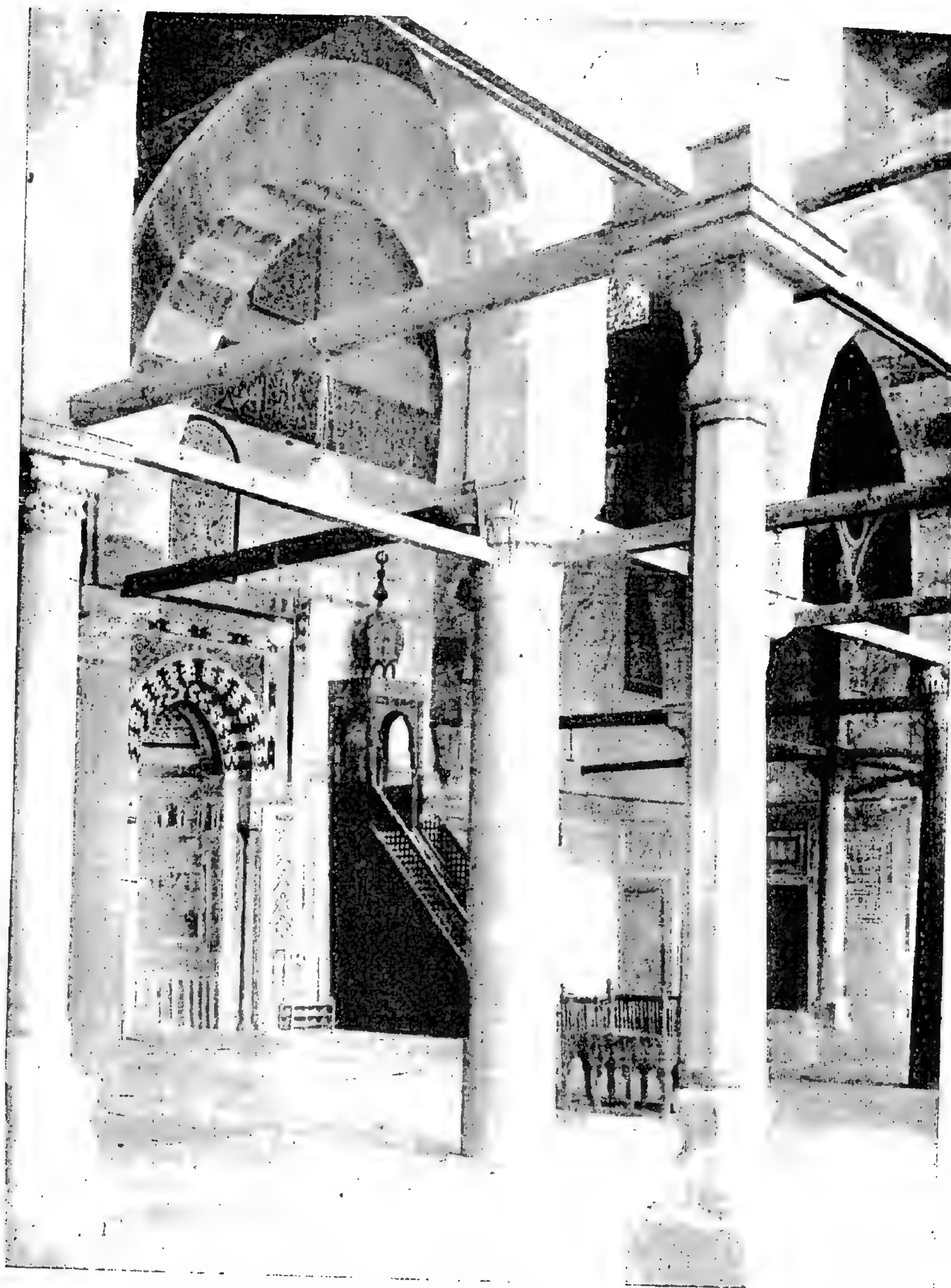


٢ - صحن جامع المارداني بعد الإصلاح

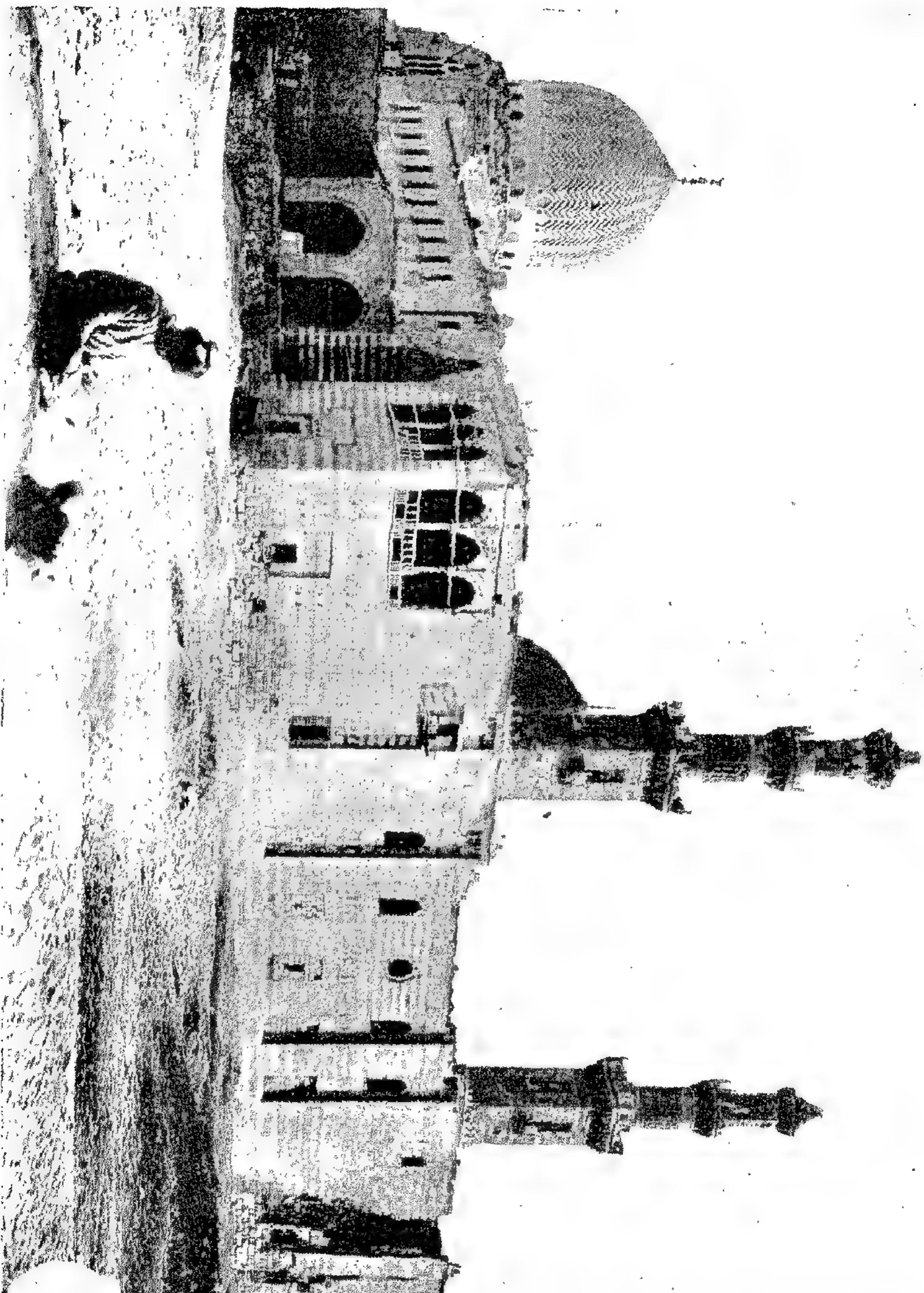




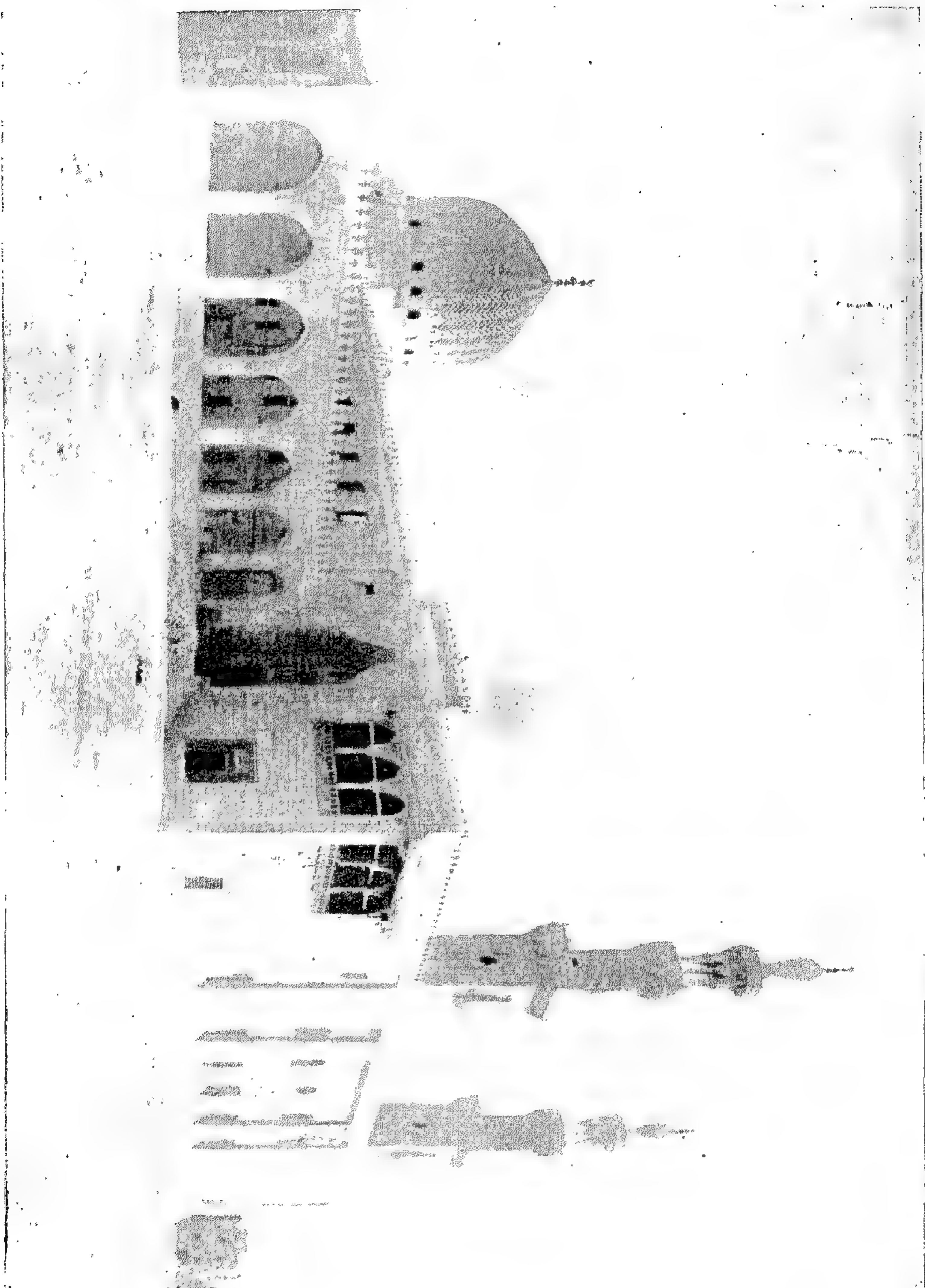
٧ - داخل مسجد المارداني (المحراب والمنبر) قبل الإصلاح

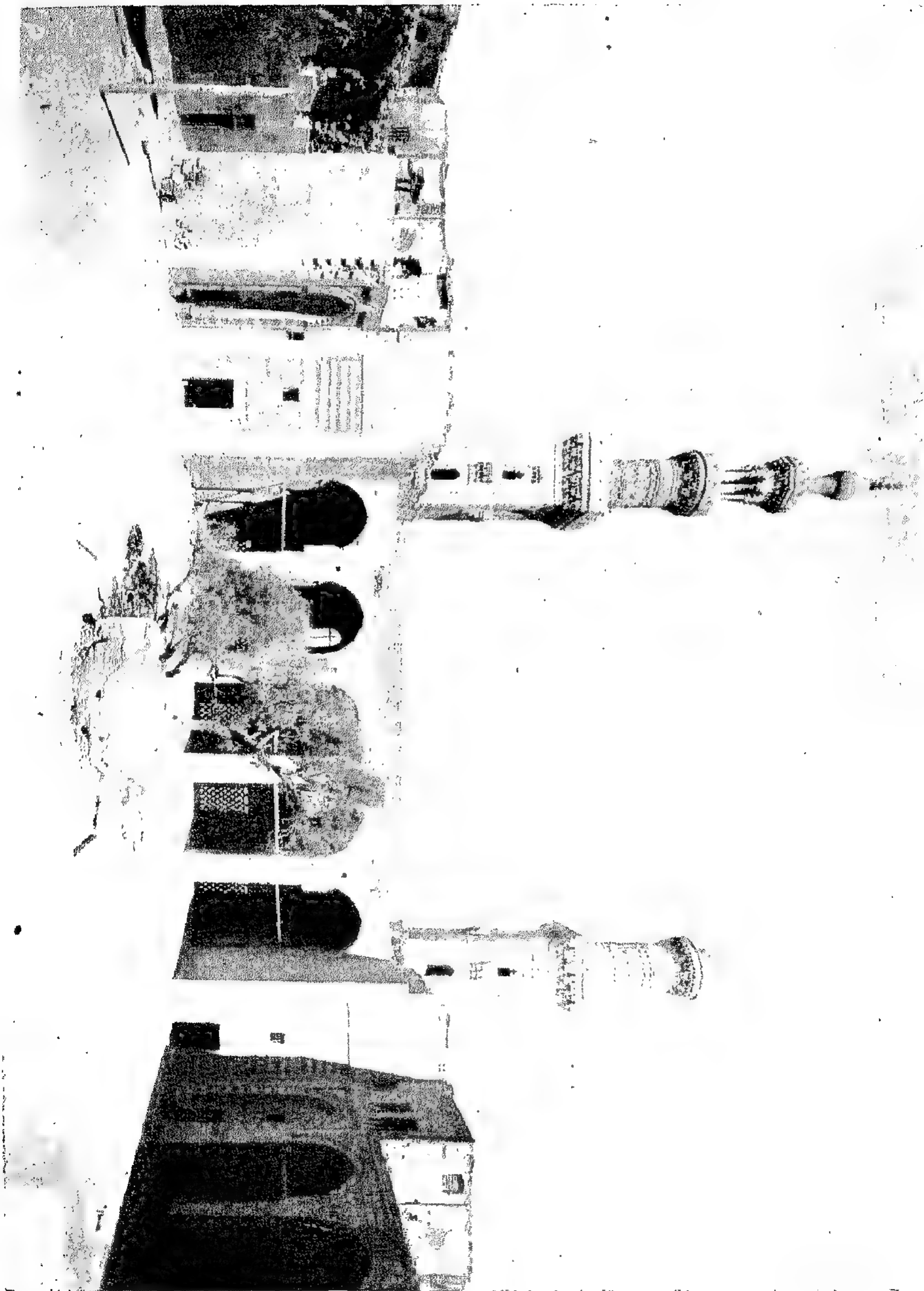


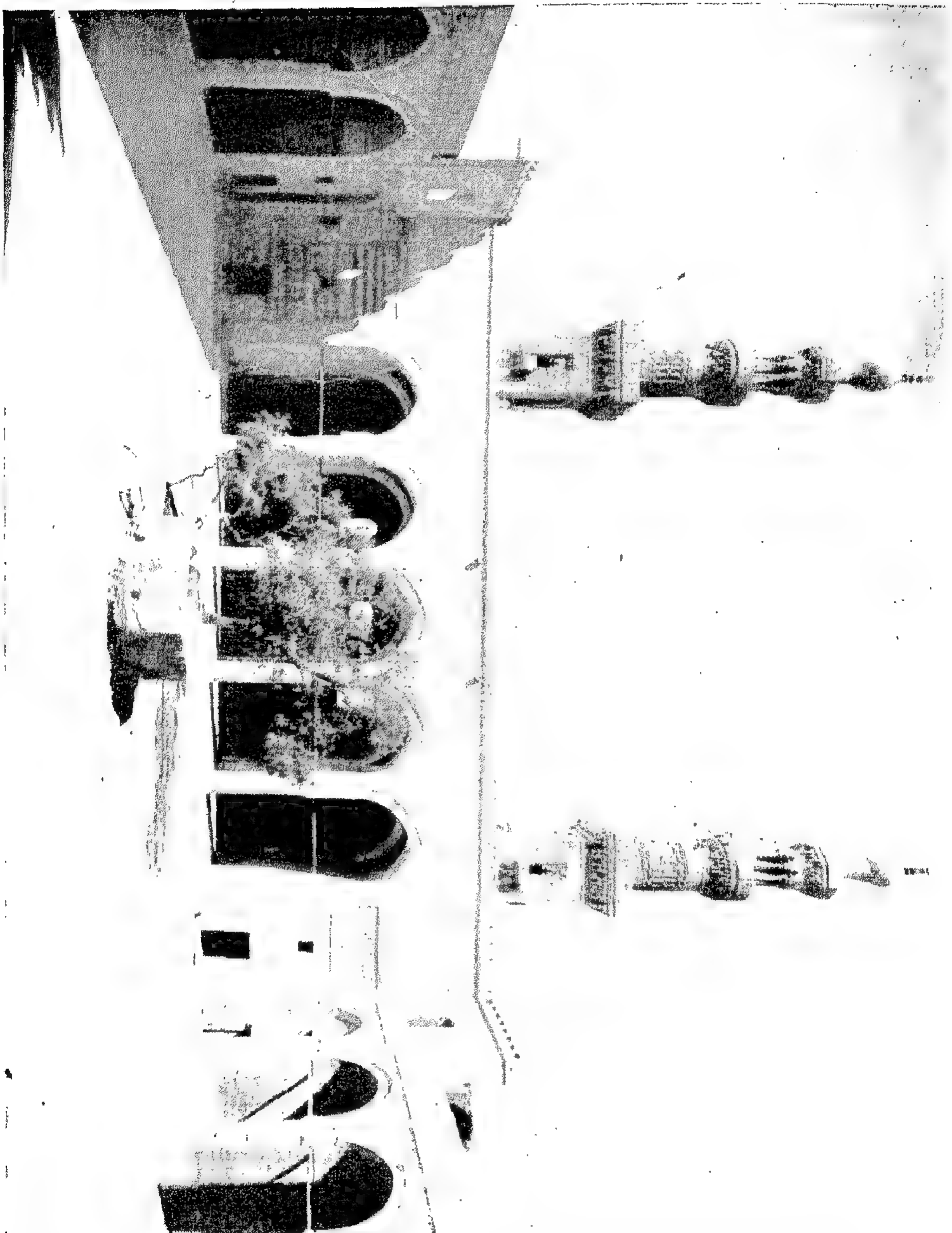
٨ - داخل مسجد الماردانی بعد الإصلاح



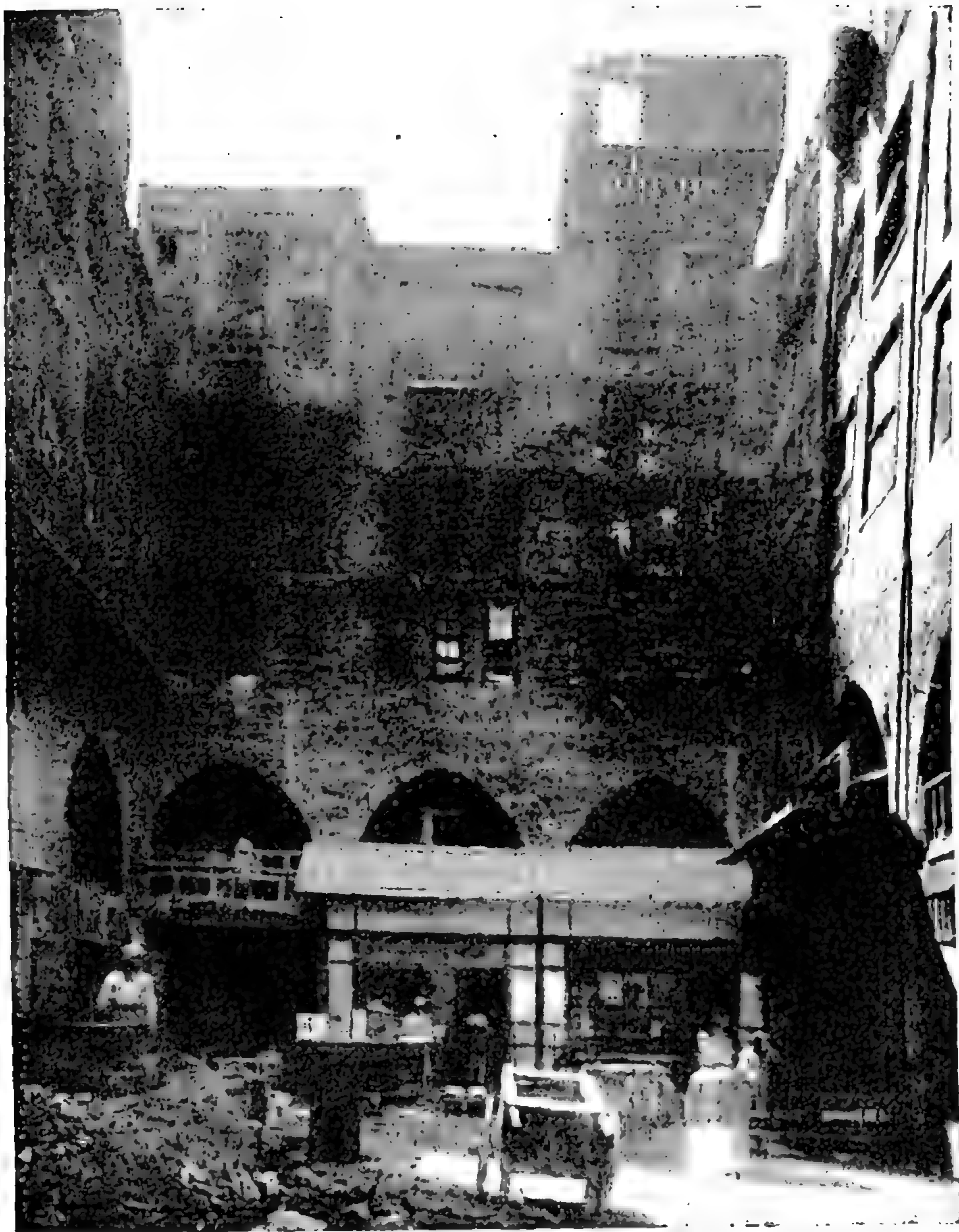
٩ - خانقاه فریح بن برقوق بالقرافة الشرقية قبل الإصلاح



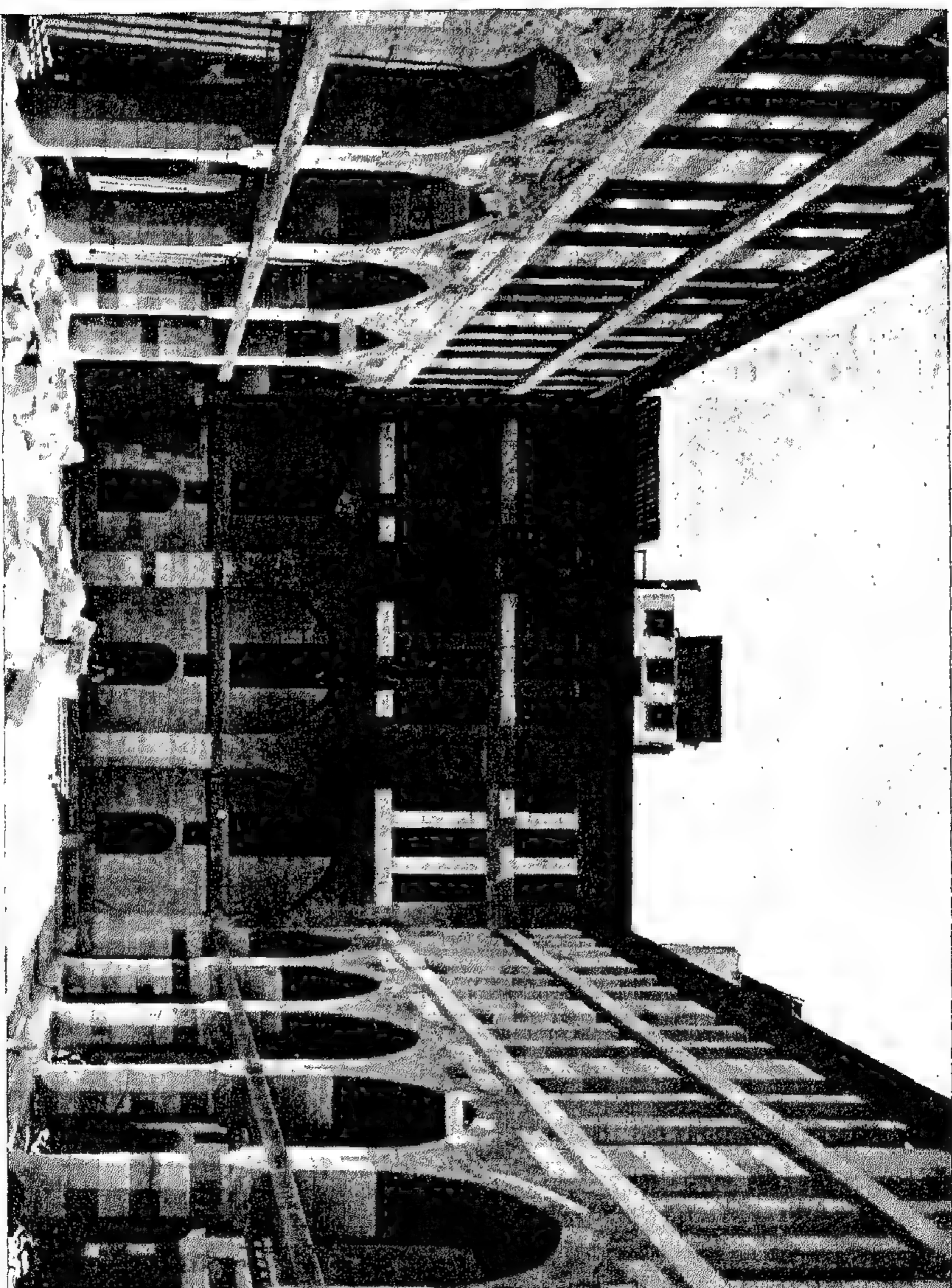




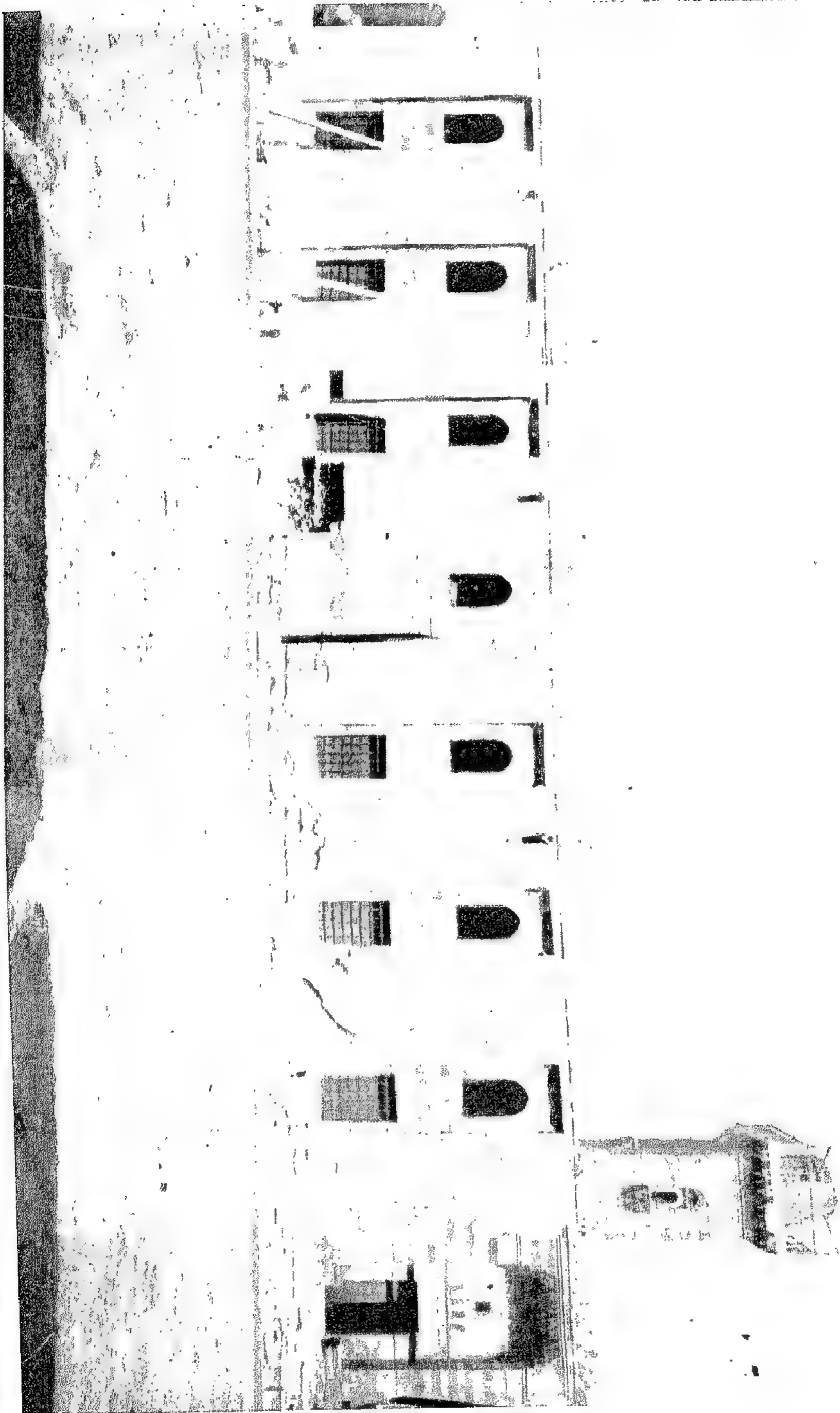
١٢ - داخل خانقاه فرج بن برقوق بعد الإصلاح

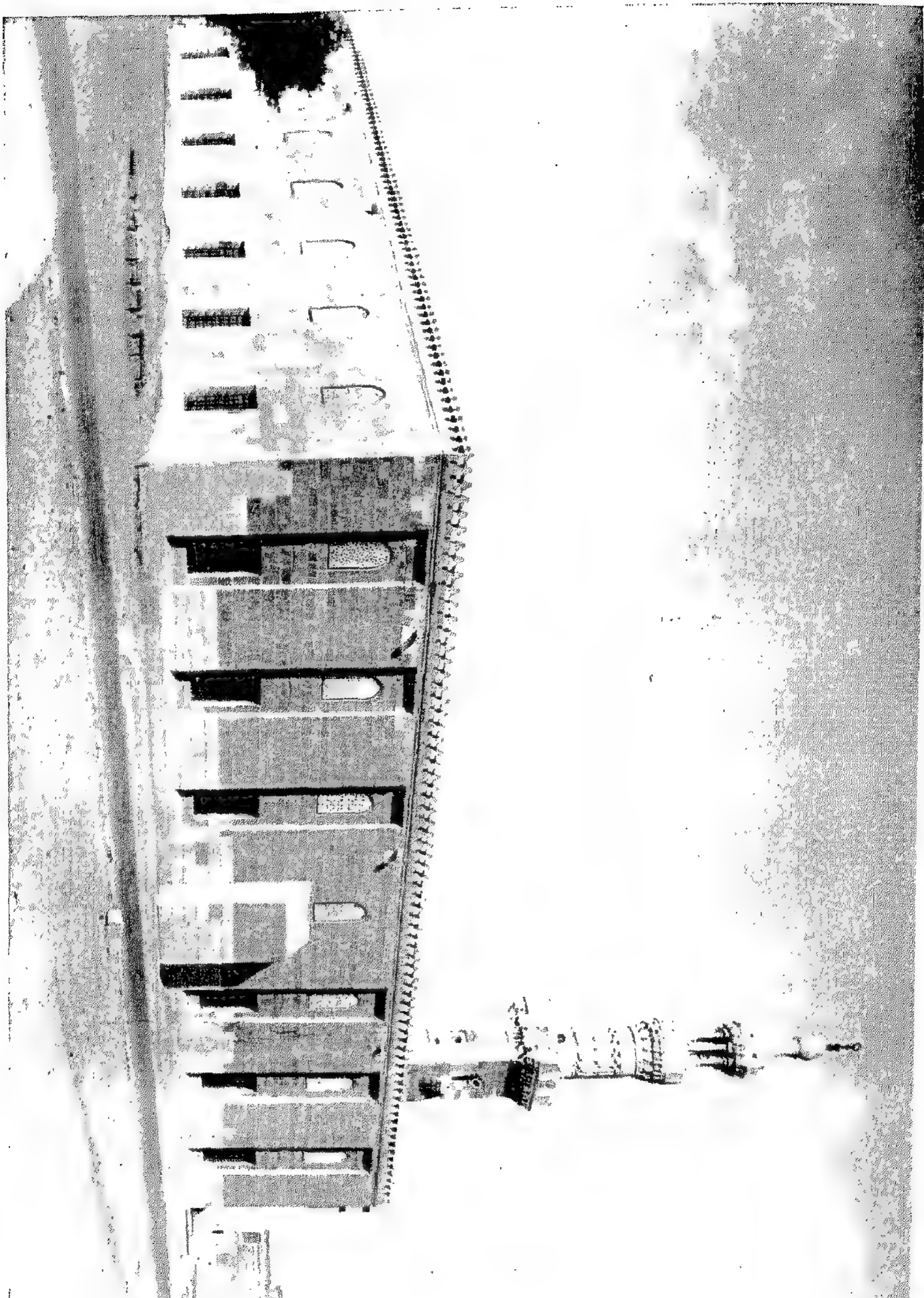


١٣ - داخل وكالة الغوري قبل الإصلاح



١٤ - داخل وكالة النوري بعد الإصلاح



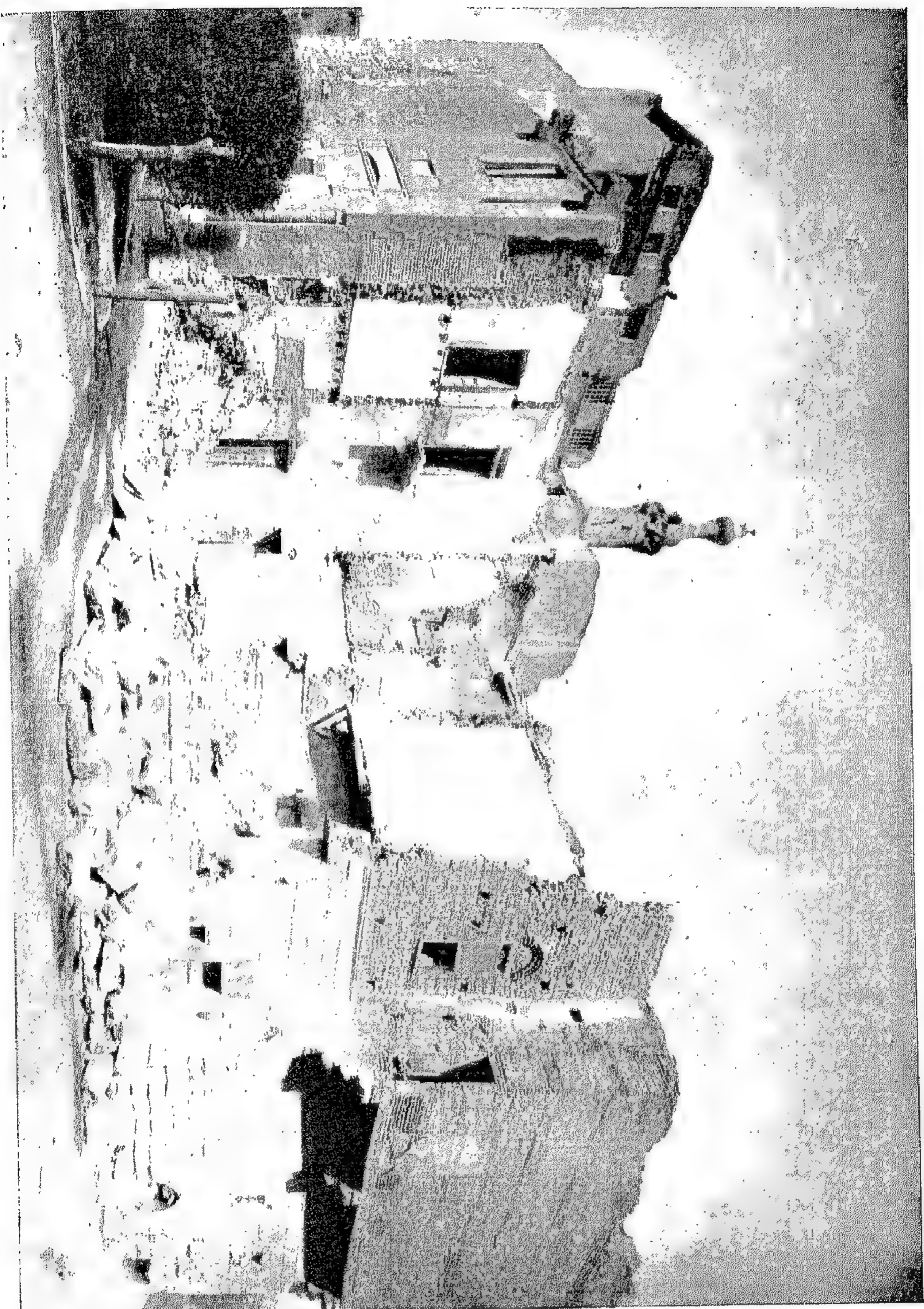


١٦ - واجهة مسجد الأشراف برسلي بالمناكة بعد الإصلاح

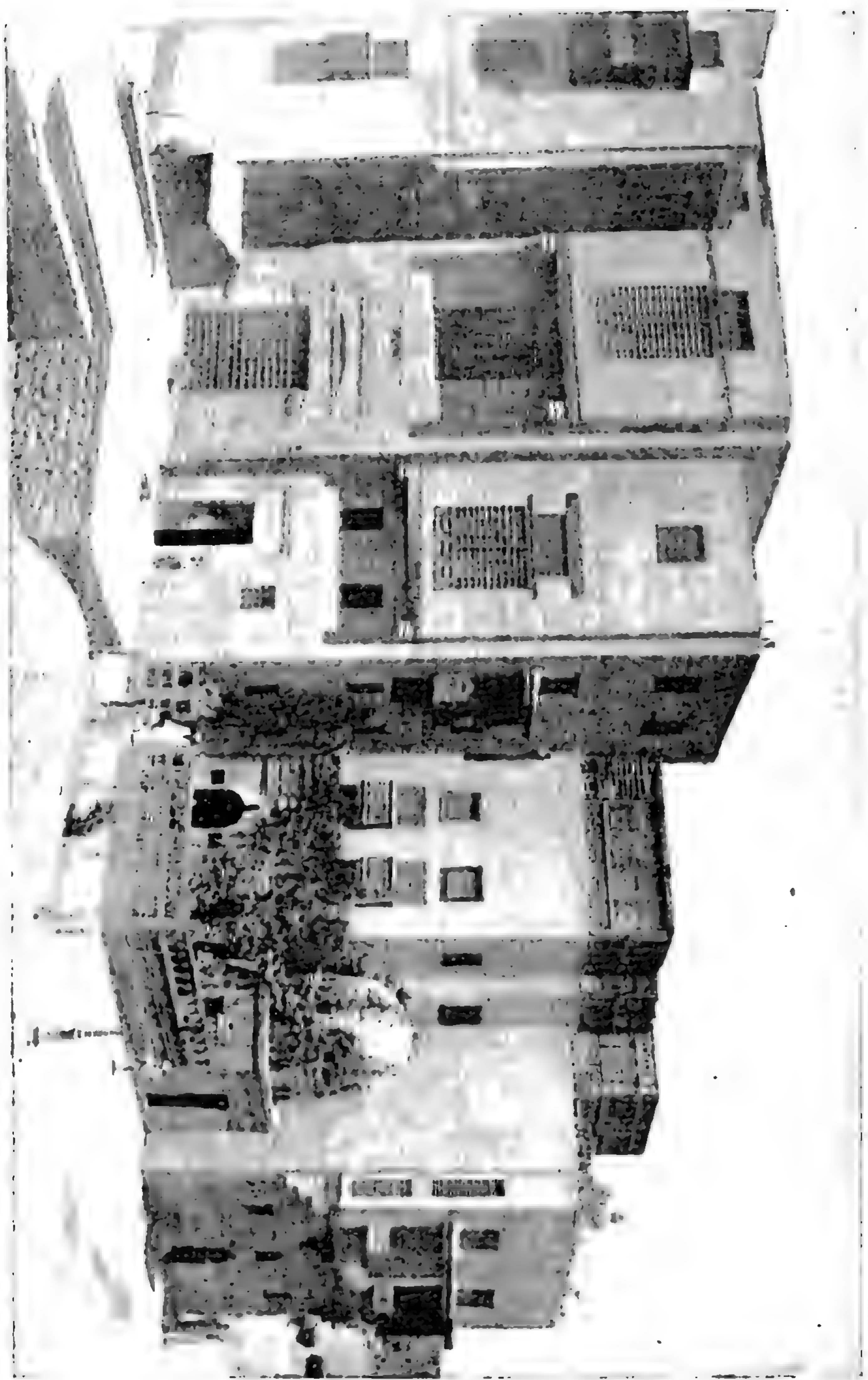




۱۸ - داخل مسجد الشرف، زمینی بانگاه بعد از تعمیر



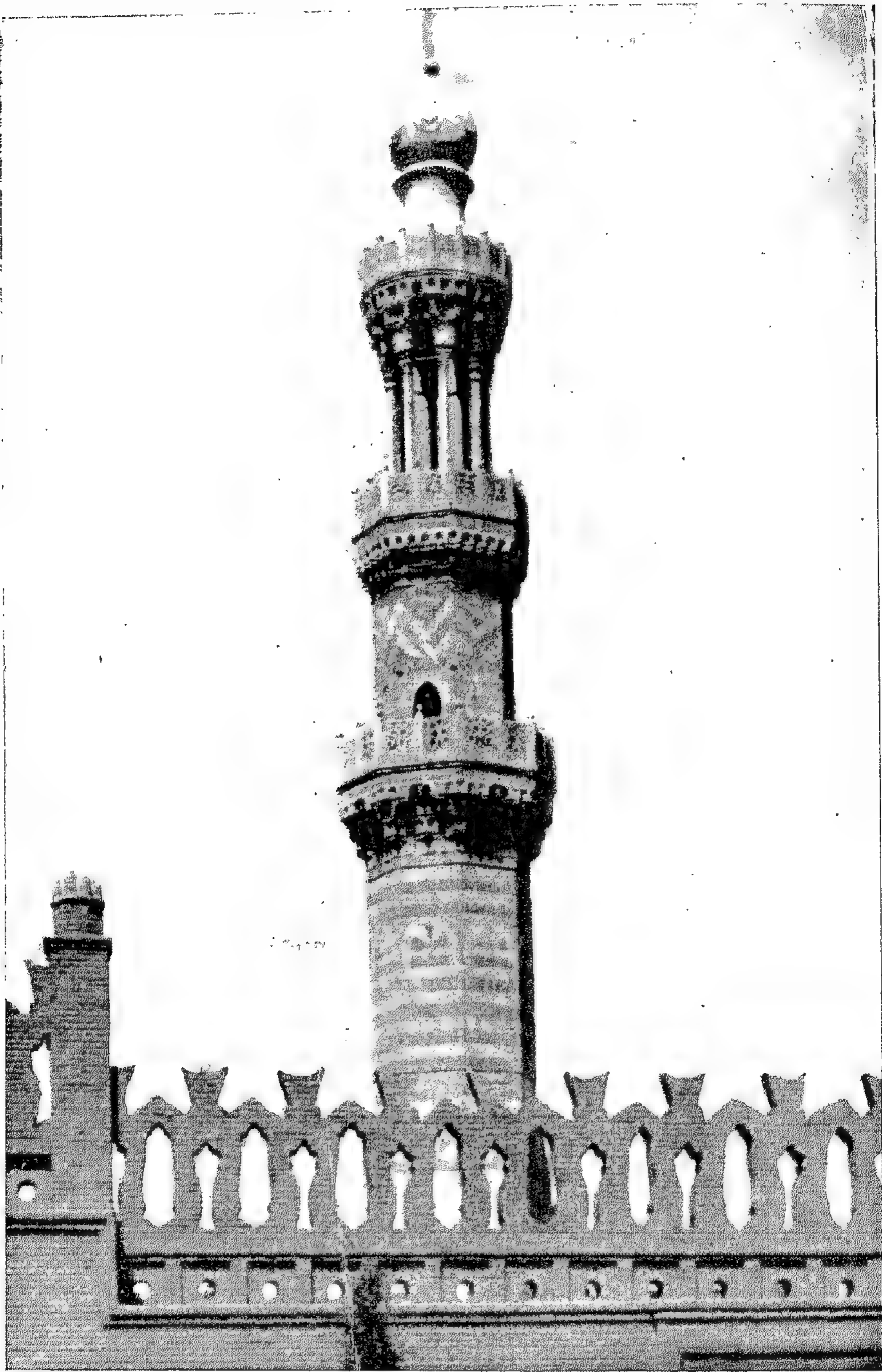
١٩ - منزل الكرنفلية وآله بنت سالم قبل الإصلاح



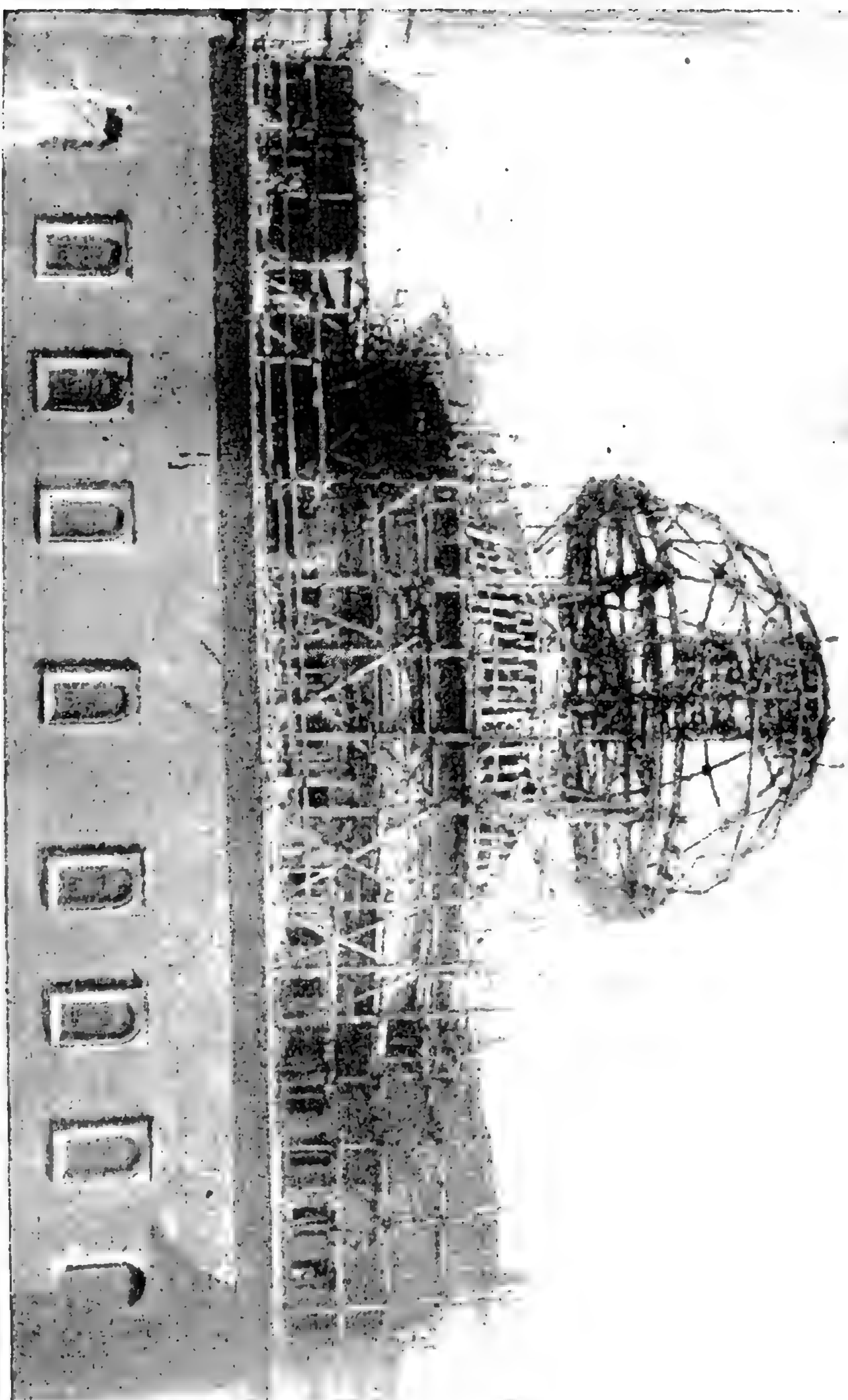
٢٠ - منزل الكرتيلية وآمنة بنت سالم بعد الإصلاح

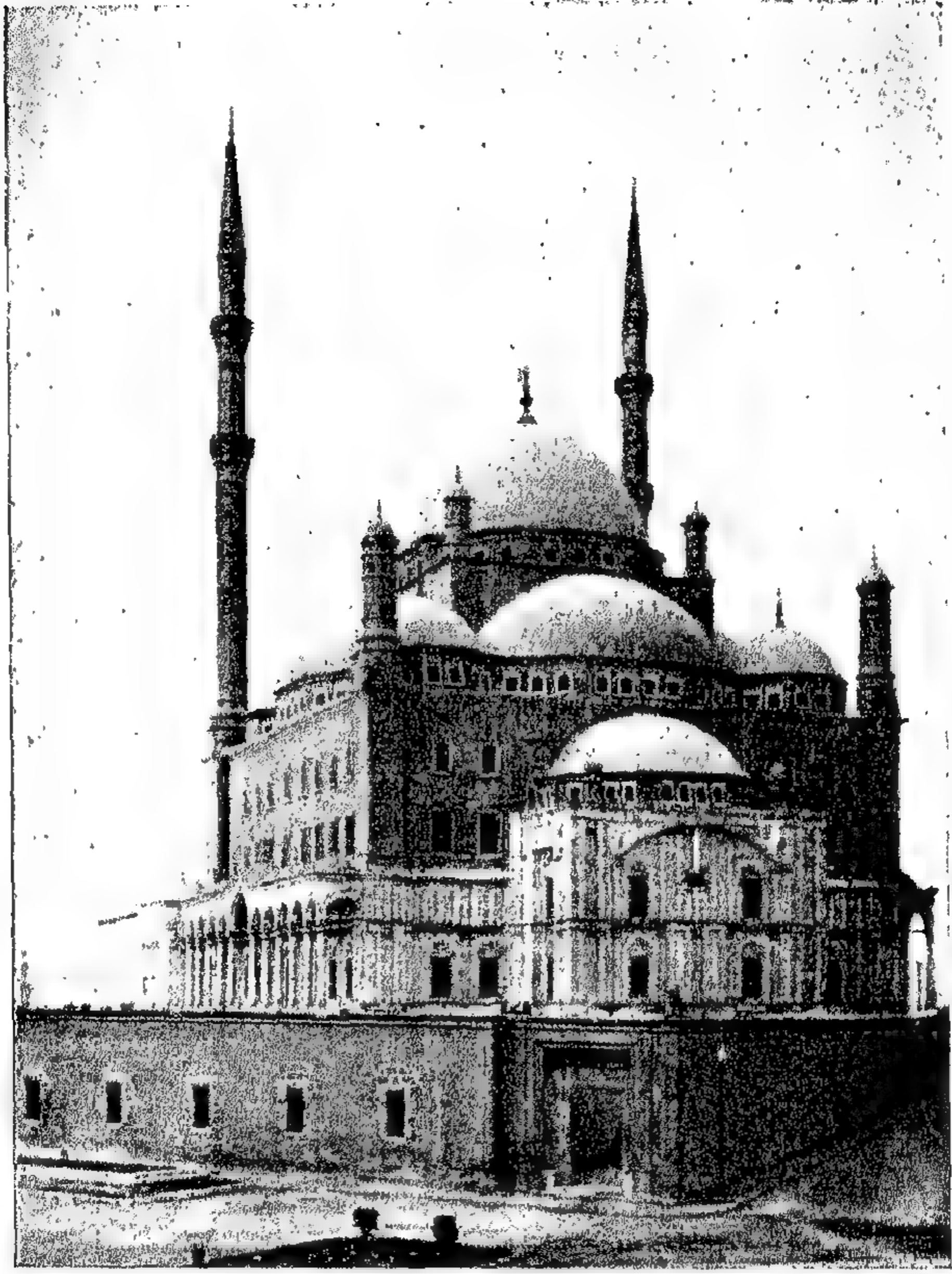


٢١ - منارة مدرسة صرغتمش قبل فكها



٢٢ - منارة مدرسة صرغتمش بعد إعادة تركيبها



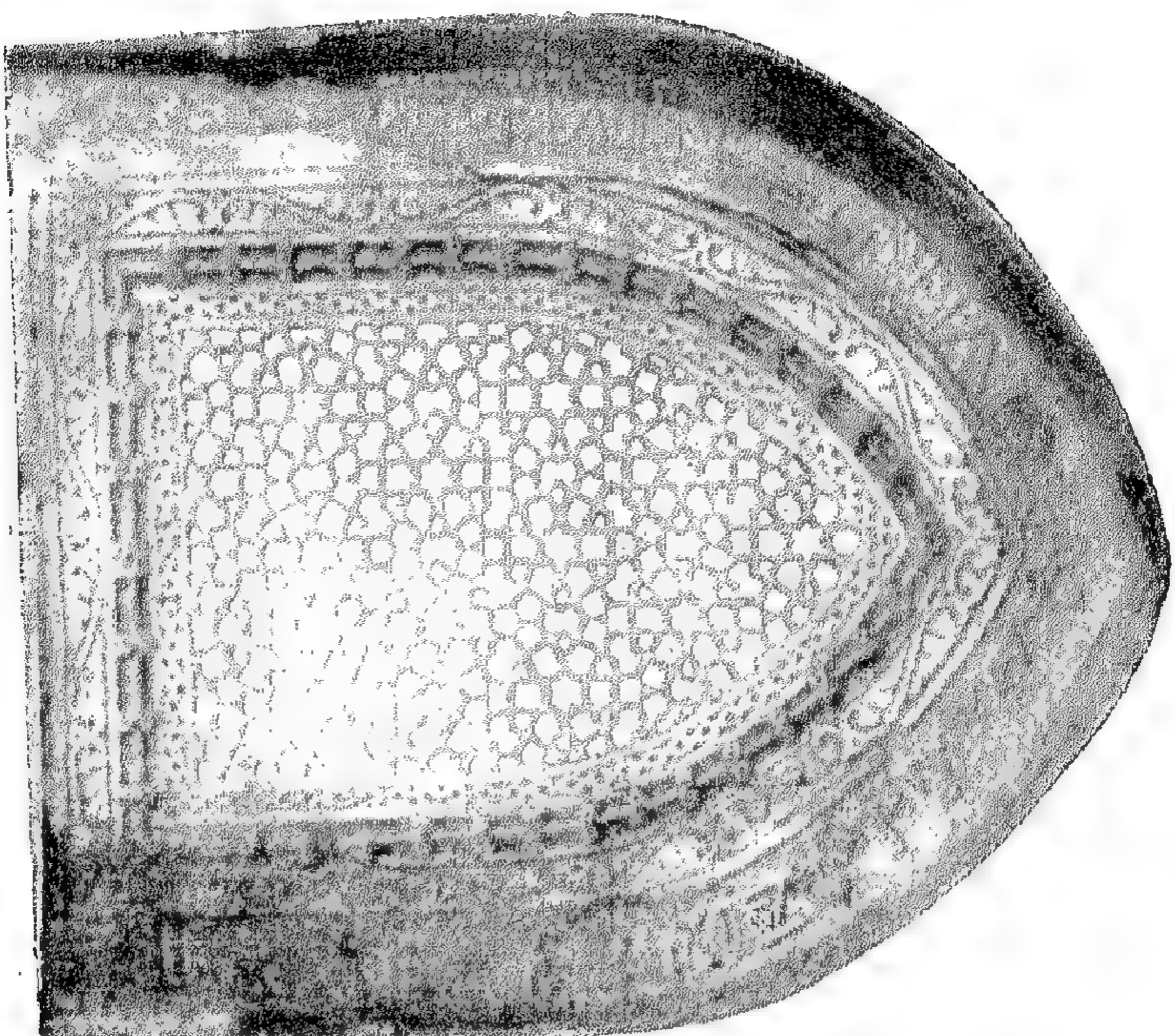


٢٤ - مسجد محمد علي بعد الاصلاح

اللوحات الخاصة بموضوع

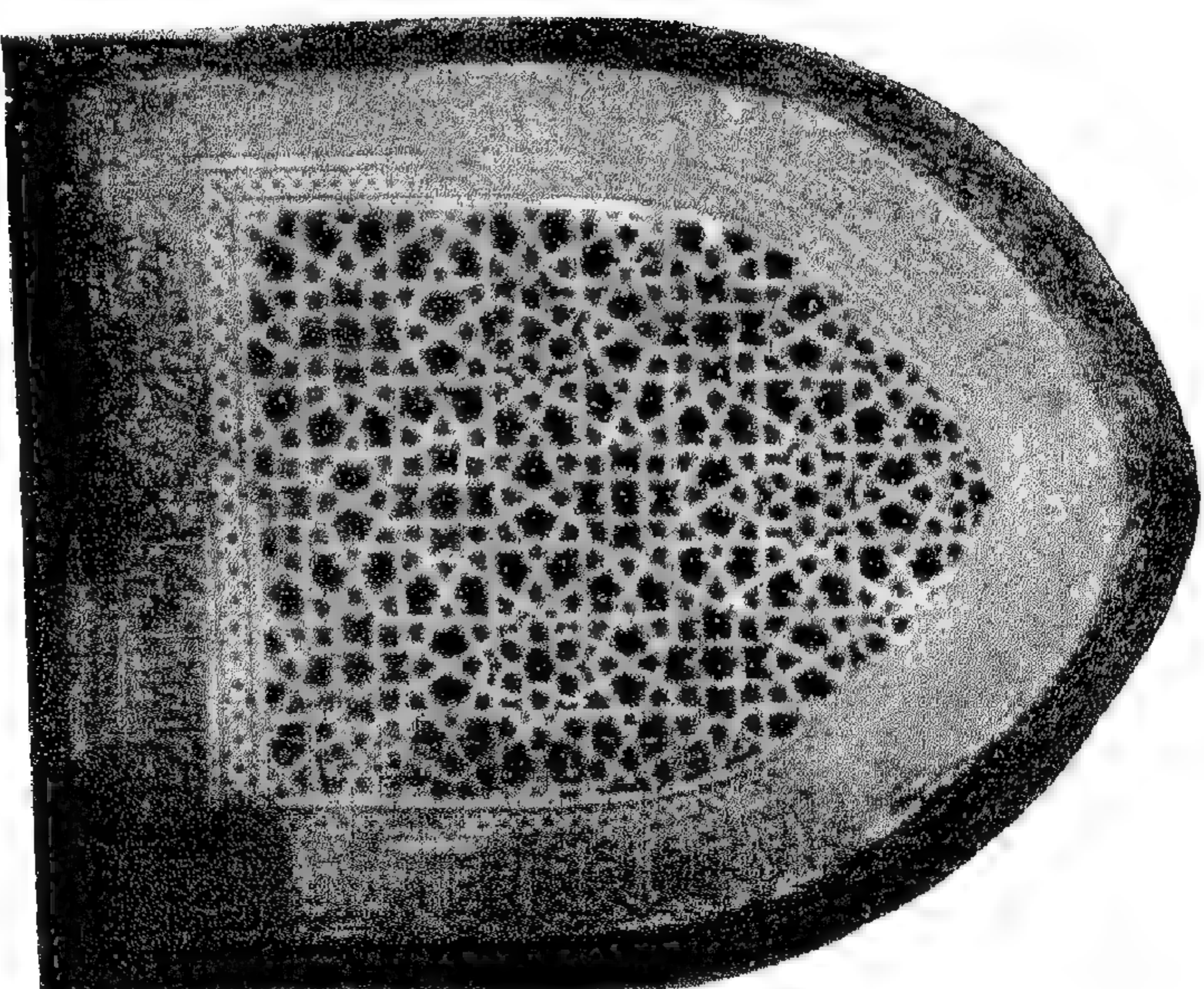
التأثيرات المعجزة بين آيات سورة ياء ومصير

للأستاذ حسن عبد الوهاب



٣ - شبك جصى بالجامع الطرلوفى بمصر

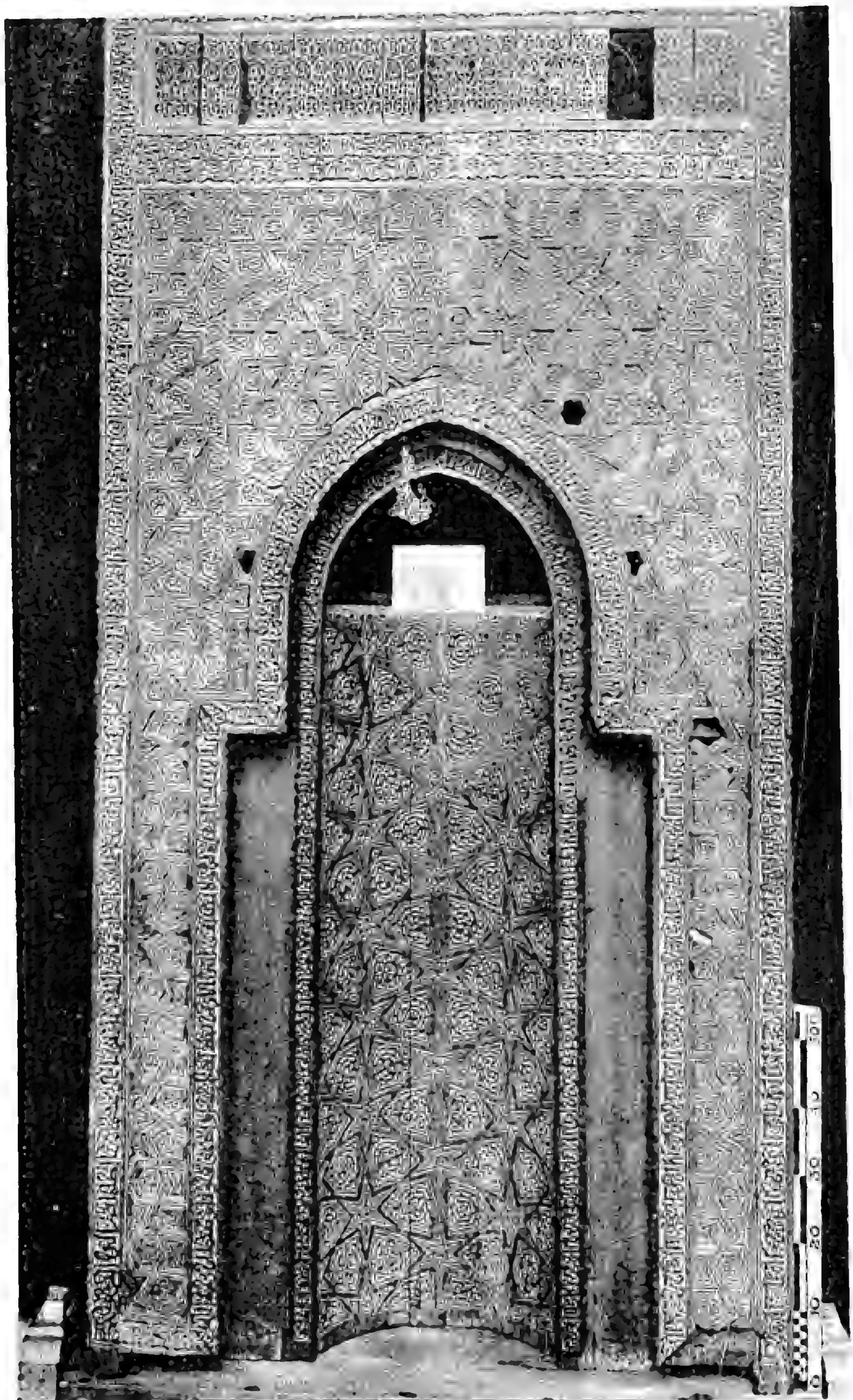
(سنة ١٢٦٥ هـ . ١٨٧٨ م)



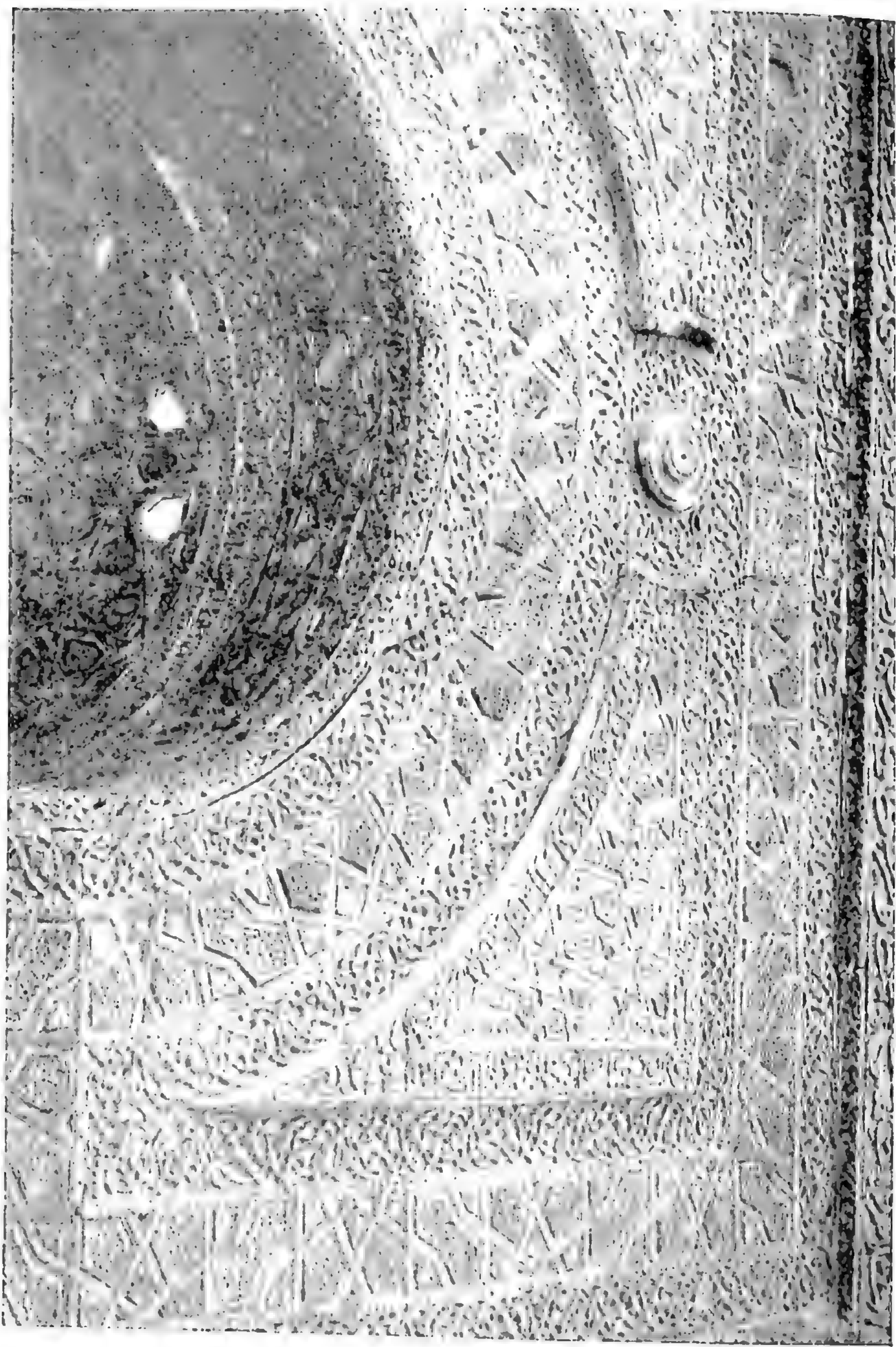
٢ - شبك جصى بالجامع الطرلوفى بمصر



٤ - محراب طولوني بالجامع الأموي بدمشق (القرن الثالث الهجري . القرن التاسع الميلادي)



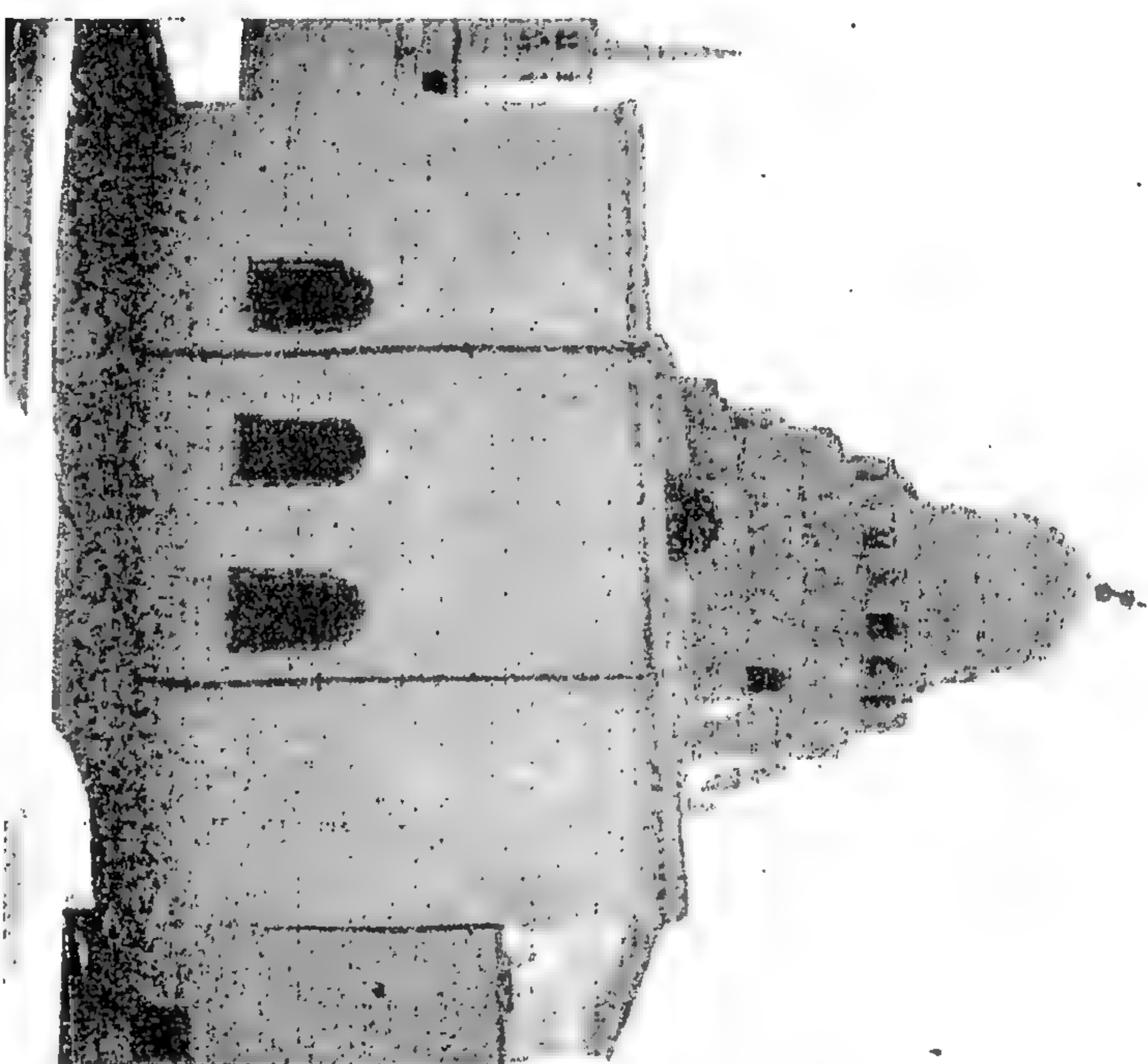
٥ - محراب حبي، منتقل من معبد السيدة رقية بمصر (سنة ١١٣٢ هـ - ١٨١٧ م)



٦ - تفصيل من الحراب الخشبي بالمدرسة الخلوية بجلب ، وعليه اسم صانعه أبو الحسن محمد بن الحرفاني (سنة ٦٩٣ هـ . ١٢٩٥ م)



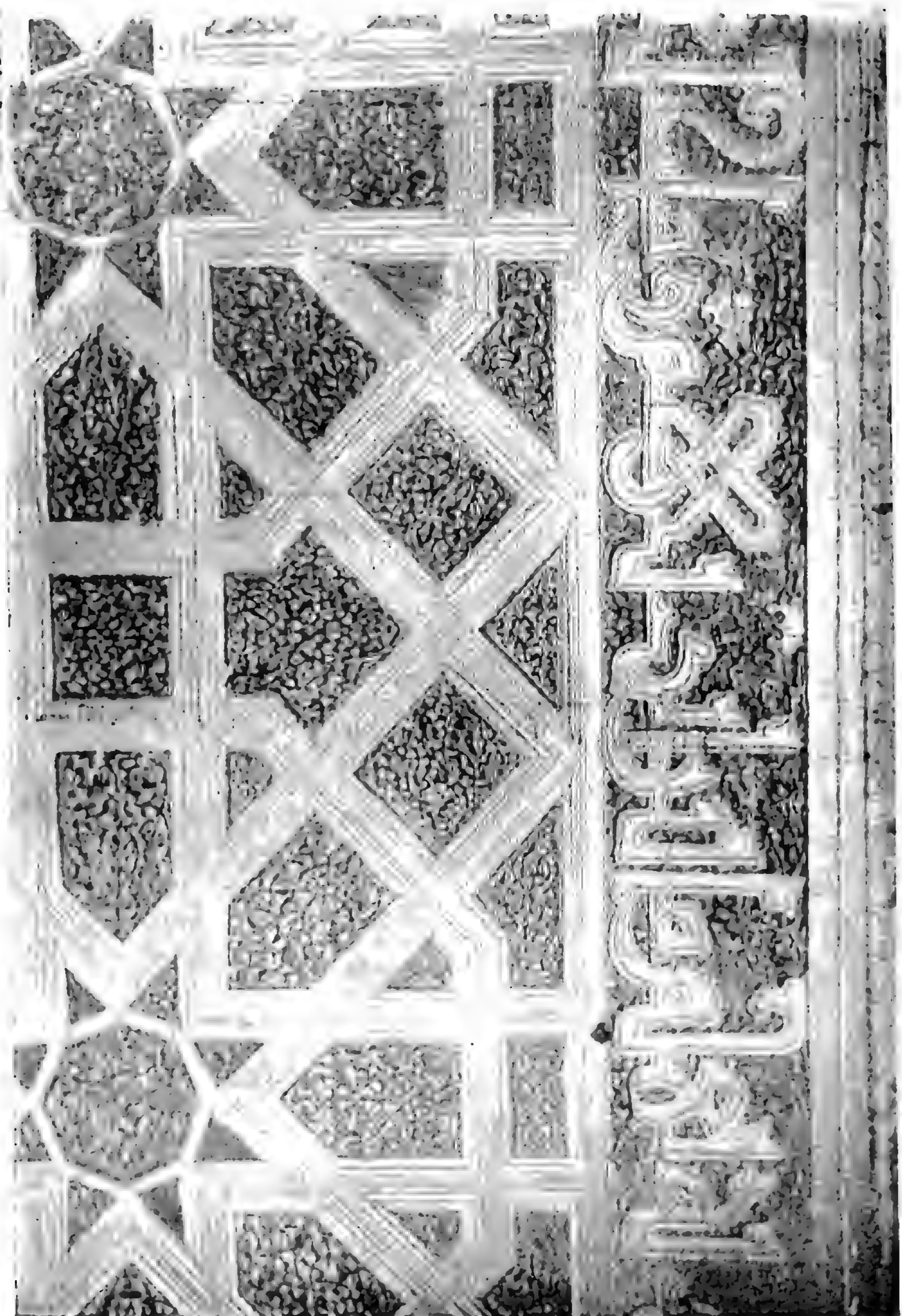
٨ - قبة صلاح الدين بدمشق (سنة ٥٩٢ هـ . ١١٩٥ م)

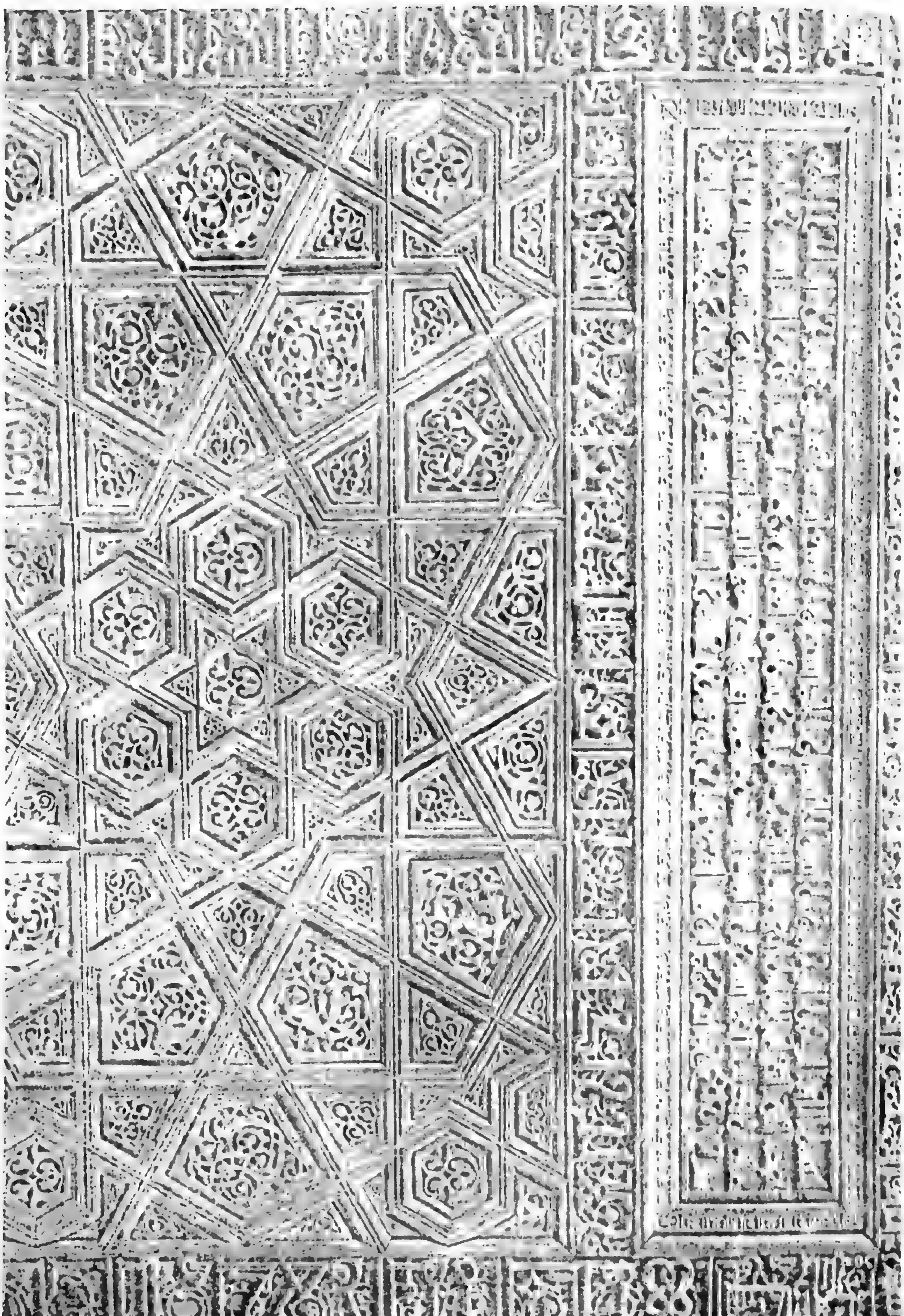


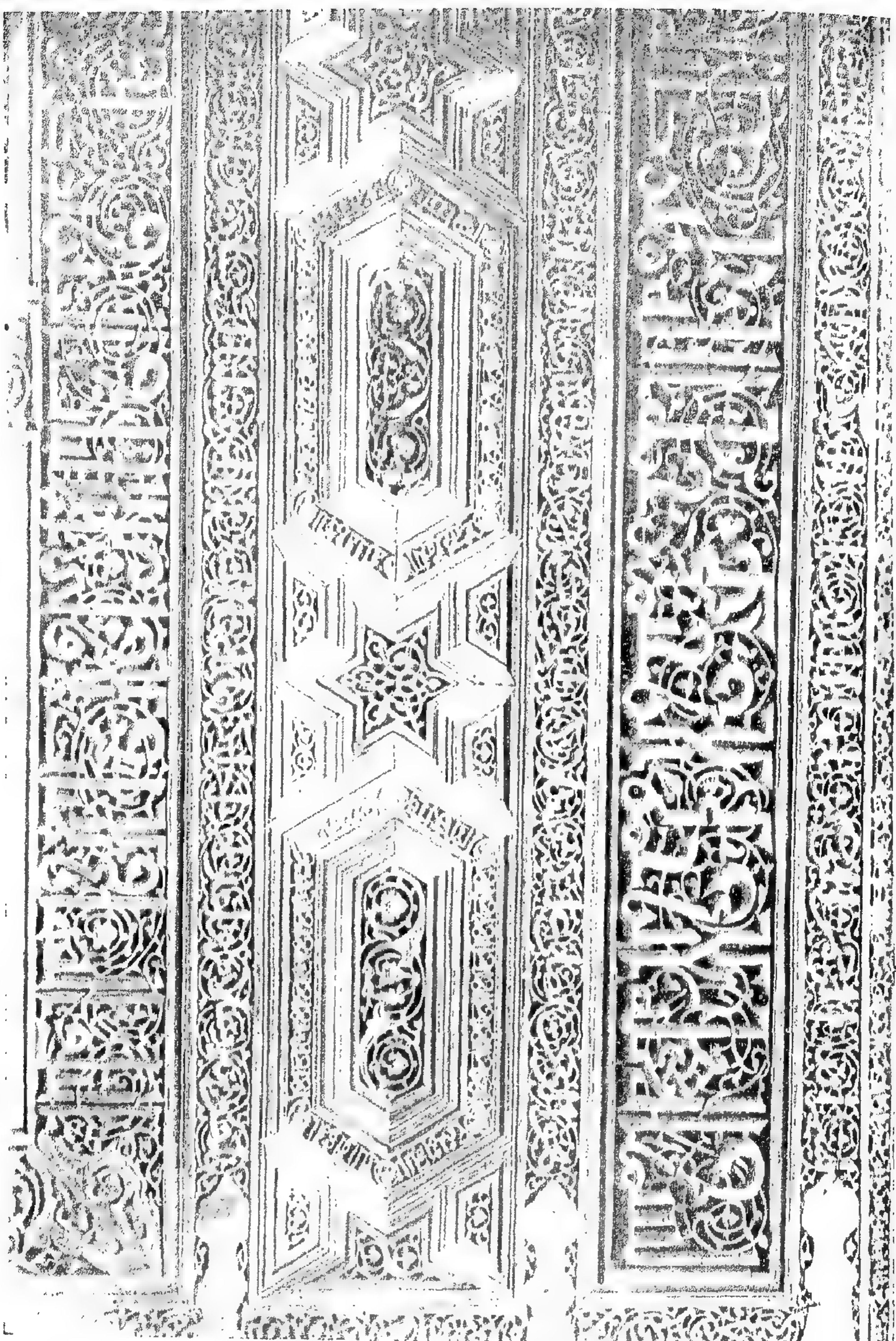
٧ - قبة مدرسة نور الدين الشهيد بدمشق (سنة ٥٦٧ هـ . ١١٧٢ م)

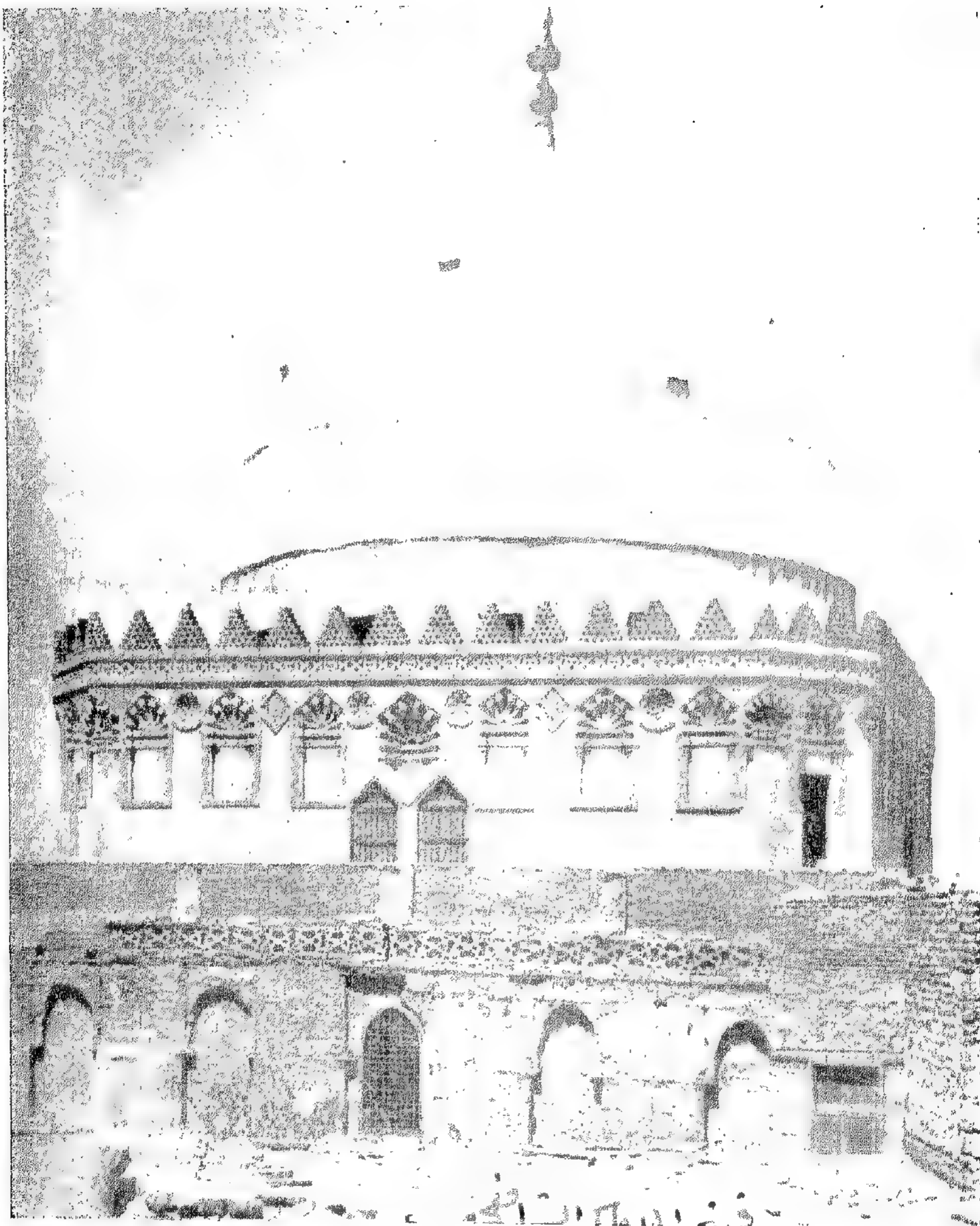


٩ - قبة عبد الرحمن - بالدحاح بدمشق (العصر الأيوبي)





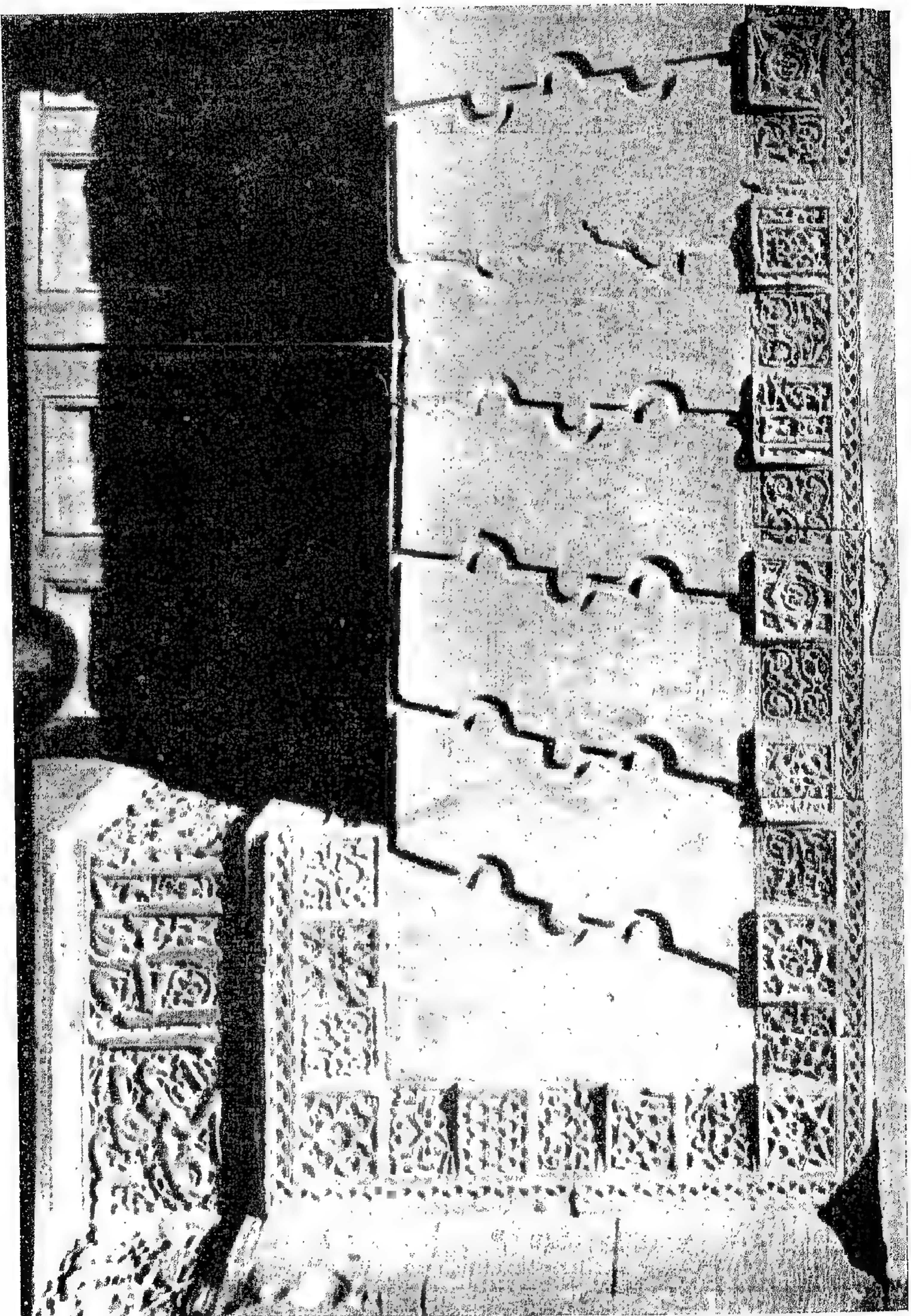




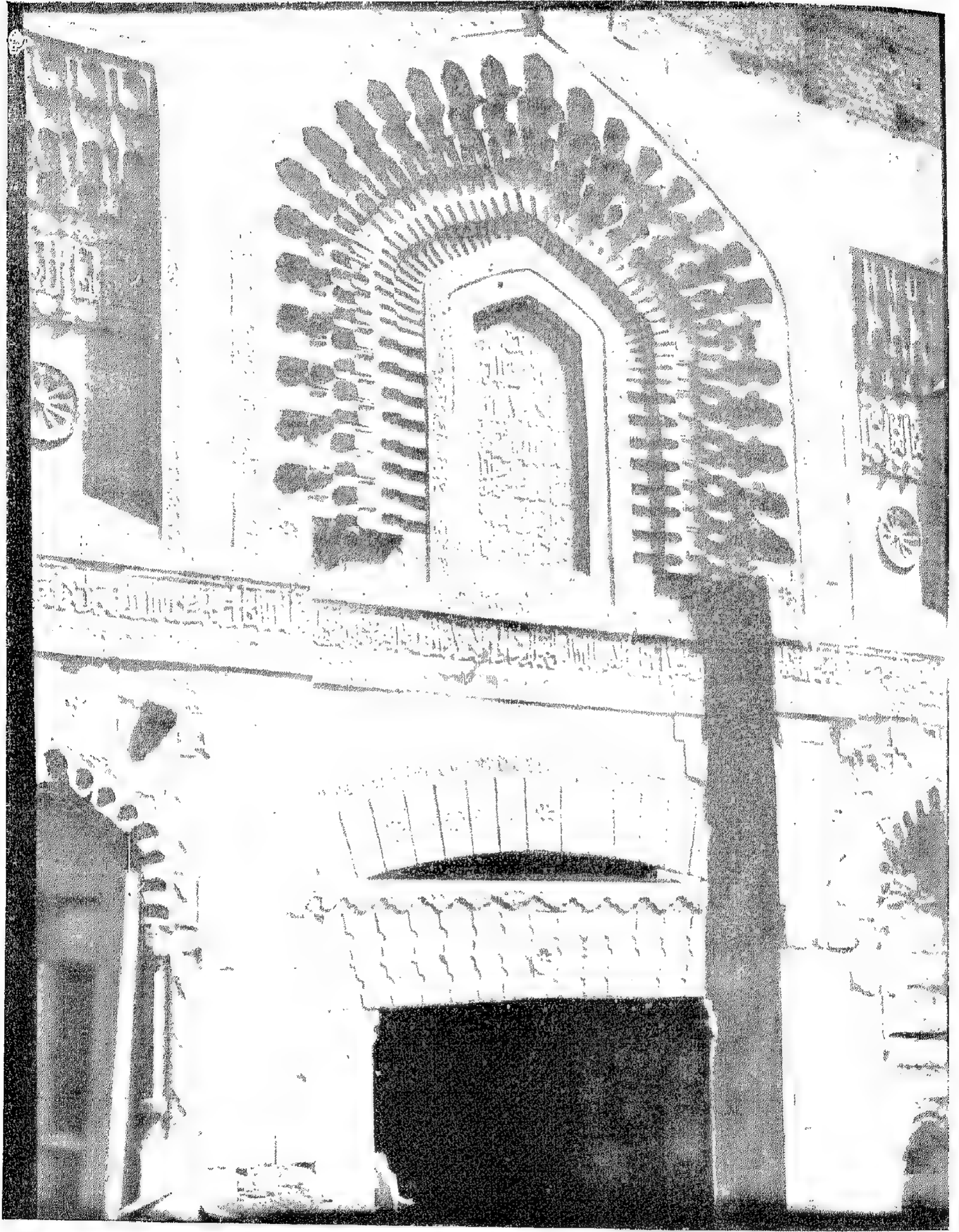
١٣ - قبة الإمام الشافعي (سنة ٦٠٨ هـ . ١٢١١ م)



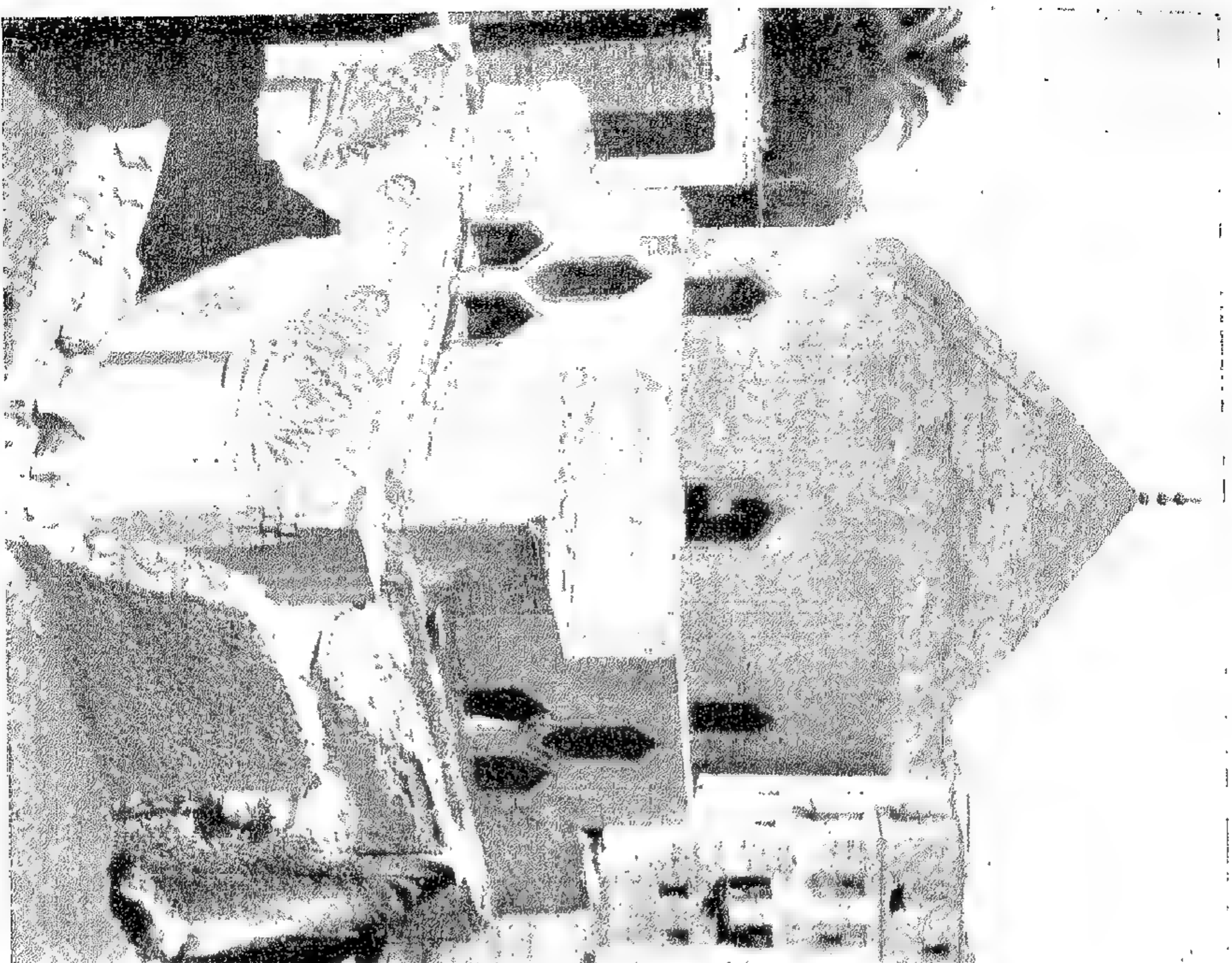
١٤ - تفصيل من تابوت أم الملك الكامل بقبة الإمام الشافعي (سنة ٨٠٨ هـ . ١٢١١ م)



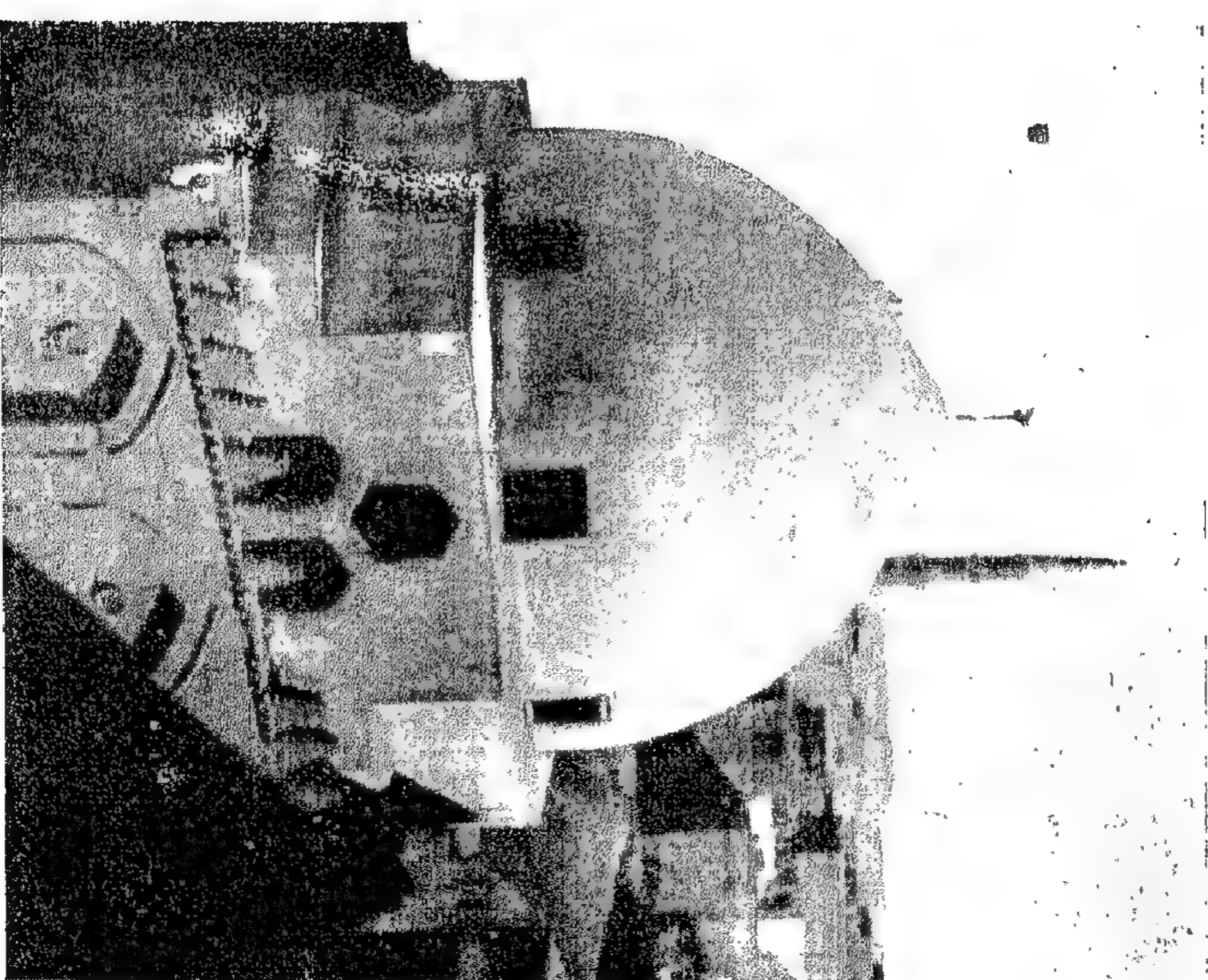
١٥ - باب مدفن السادات العالية (سنة ١٢١٣ هـ . ١٢١٦ م)



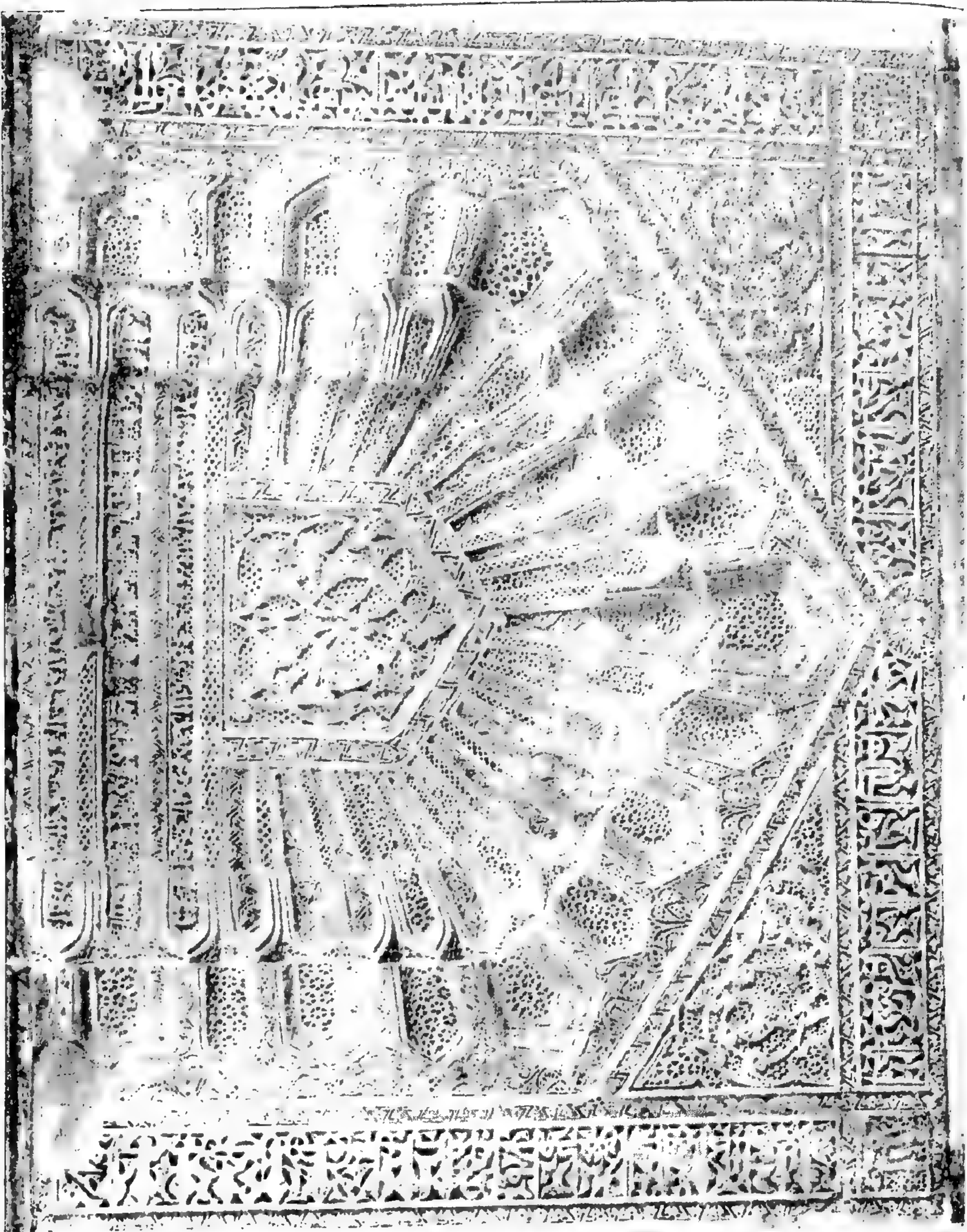
١٦ - مدخل المدارس الصالحية : الصالح نجم الدين بالقاهرة (سنة ٦٤١ هـ . ١٢٤٣ م)

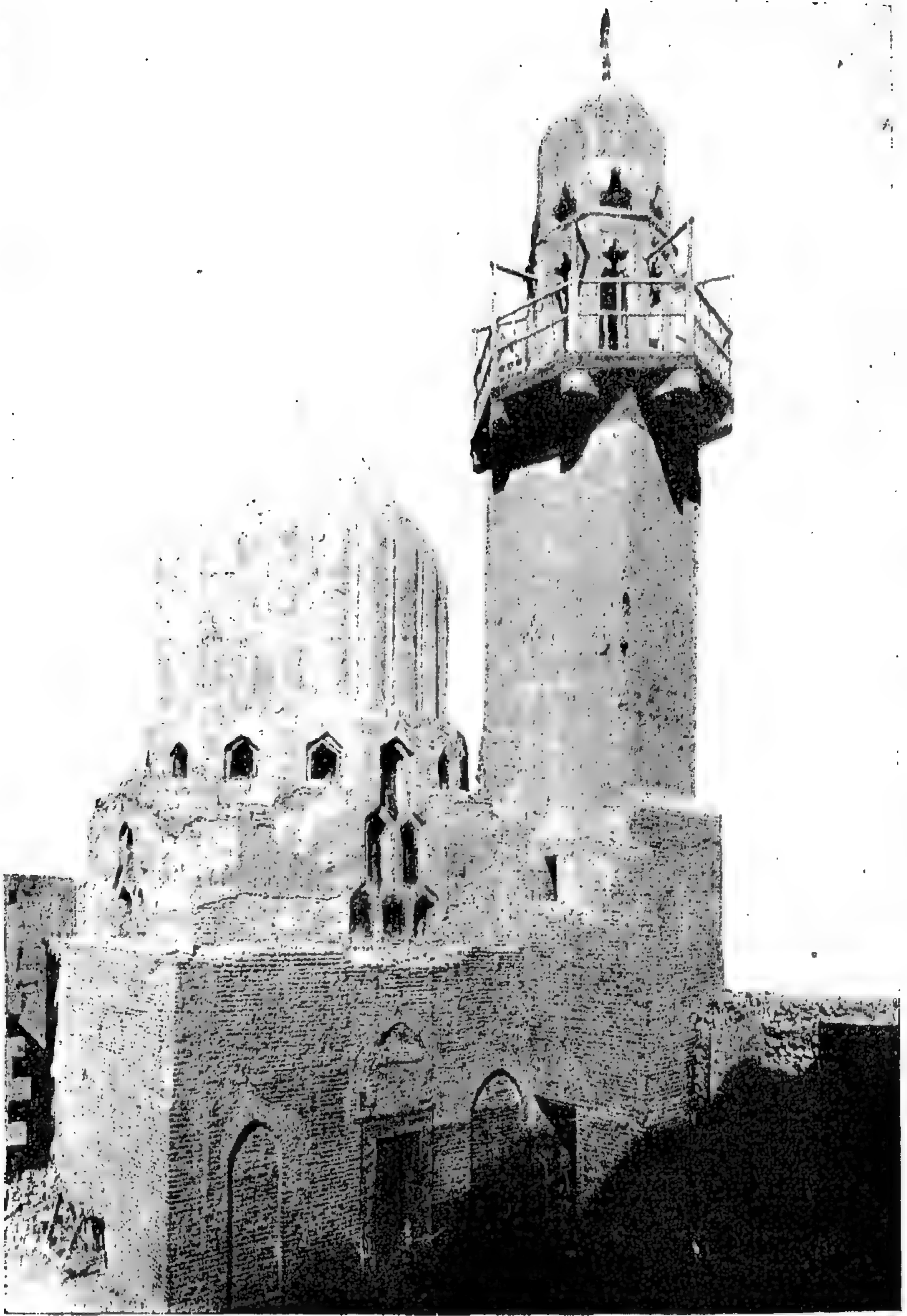


١٨ - قبة شجر الدر بالقاهرة (سنة ٦٤٨ هـ . ١٢٥٠ م)

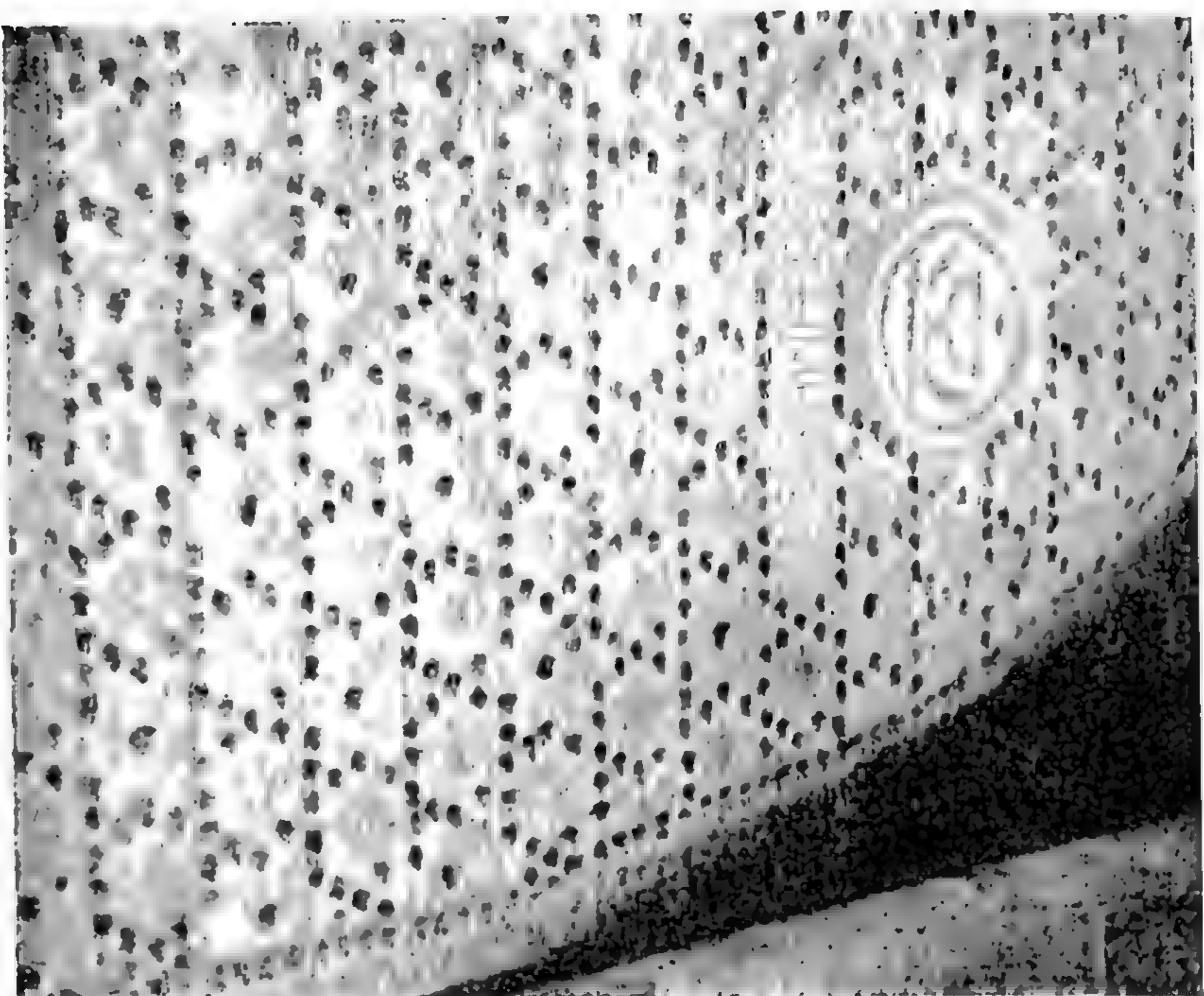


١٧ - قبة الصالح نجم الدين بالقاهرة (سنة ٦٤٨ هـ . ١٢٥٠ م)

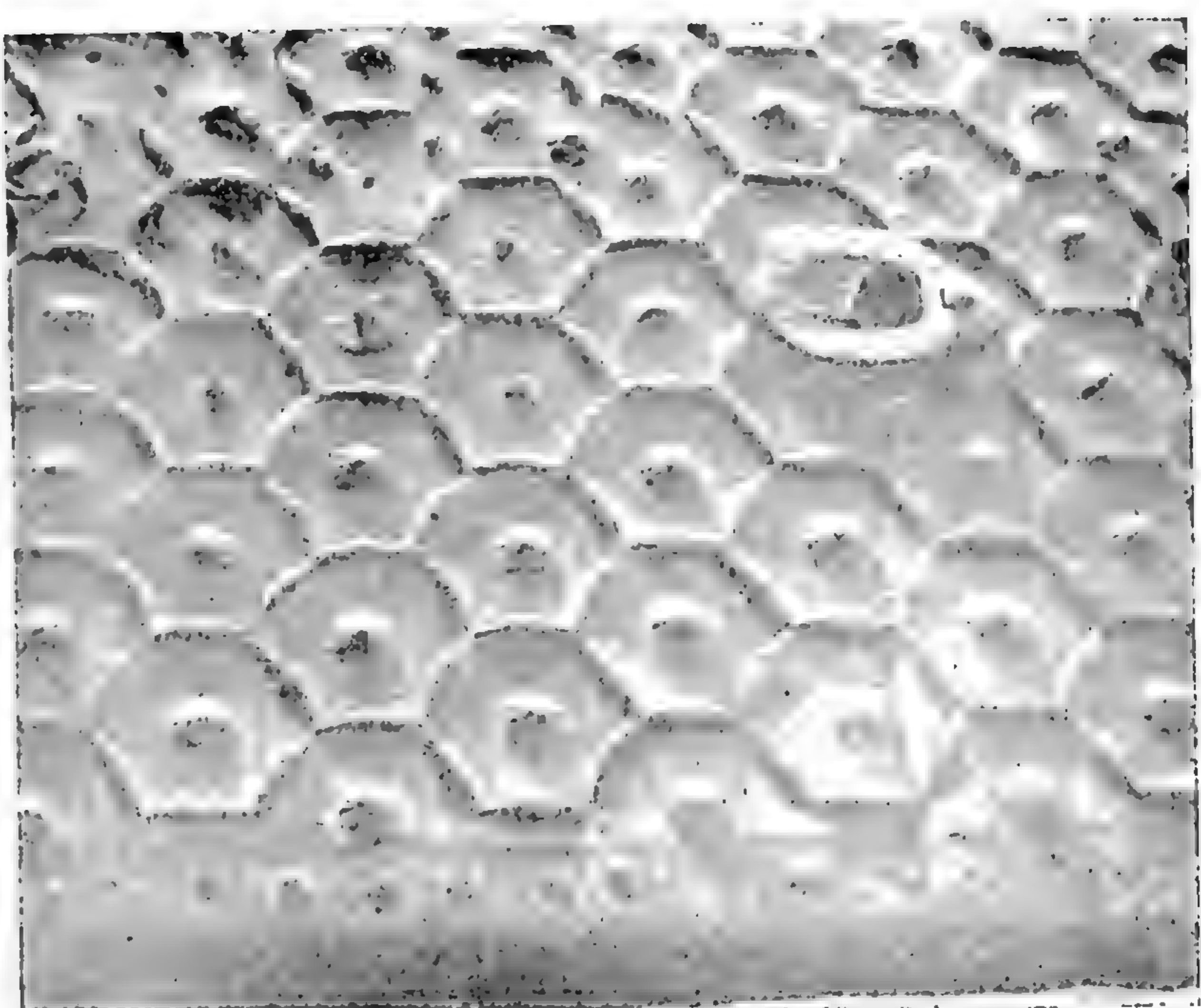




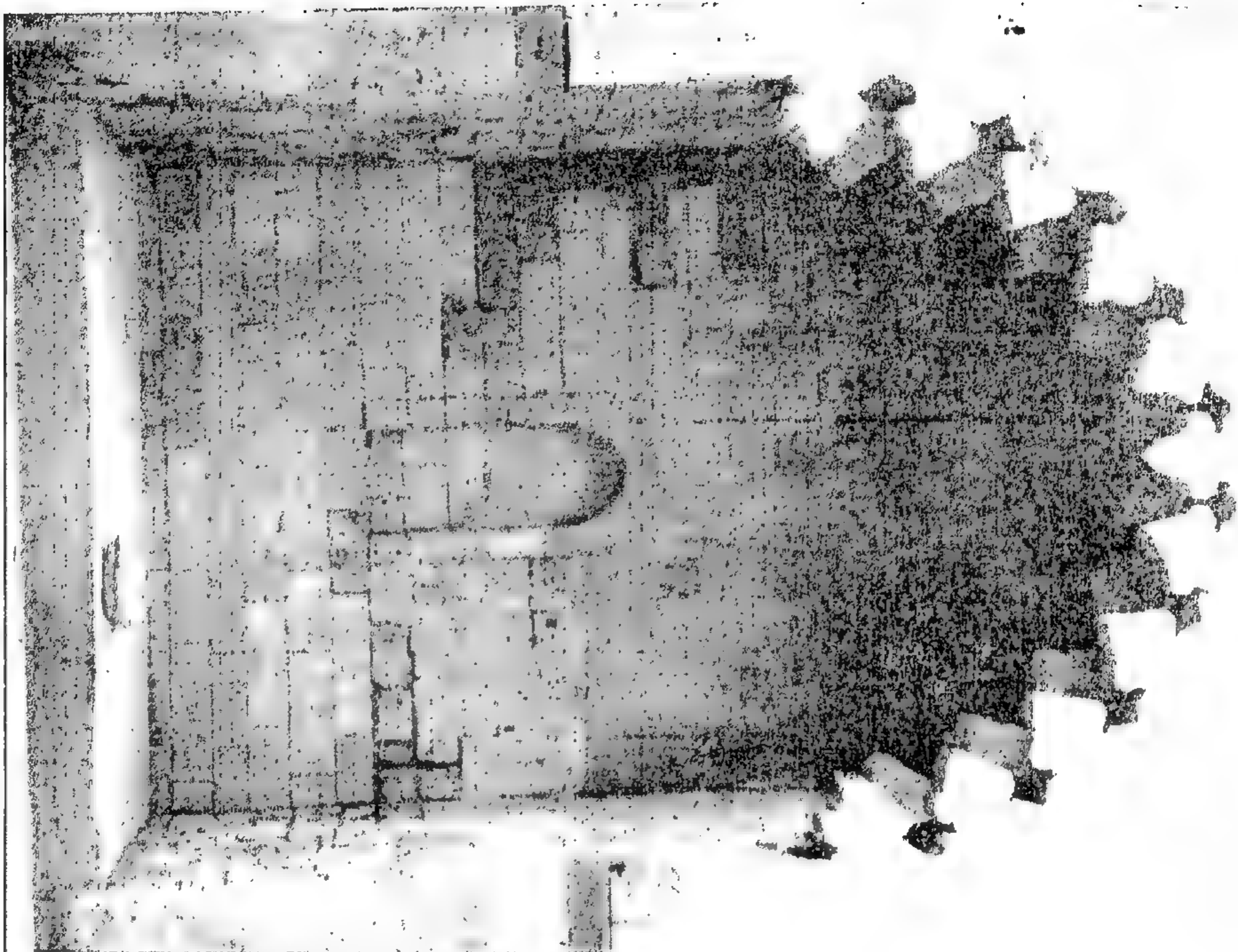
٢٠ - قبة ومنارة أبو الغضنفر أسد الفائزى بالقاهرة (أواخر العصر الأيوبي)



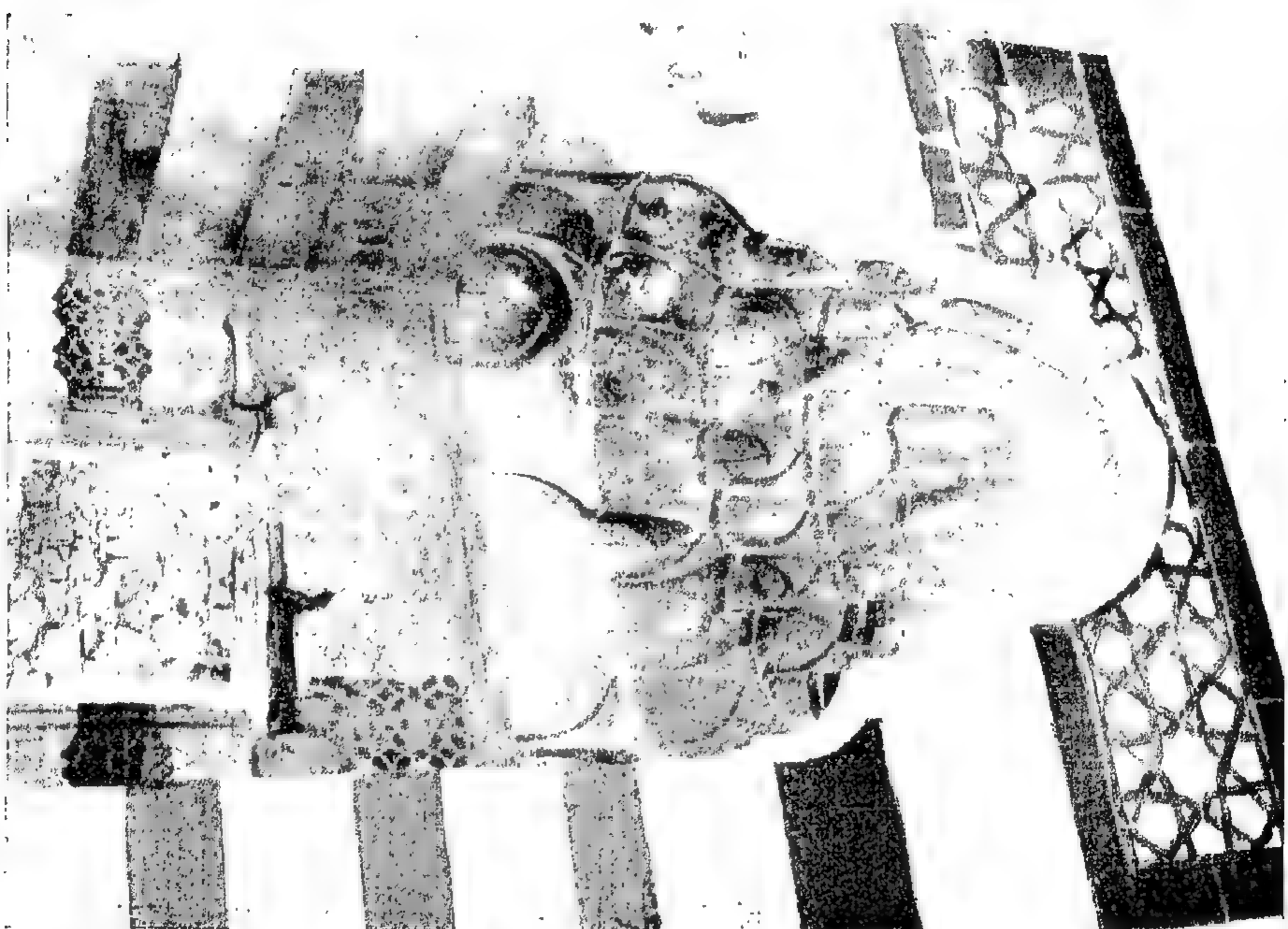
٢٢ - مصراع باب خان خير بك بجليب
(سنة ١٢٢٨ هـ . ١٥١٤ م)



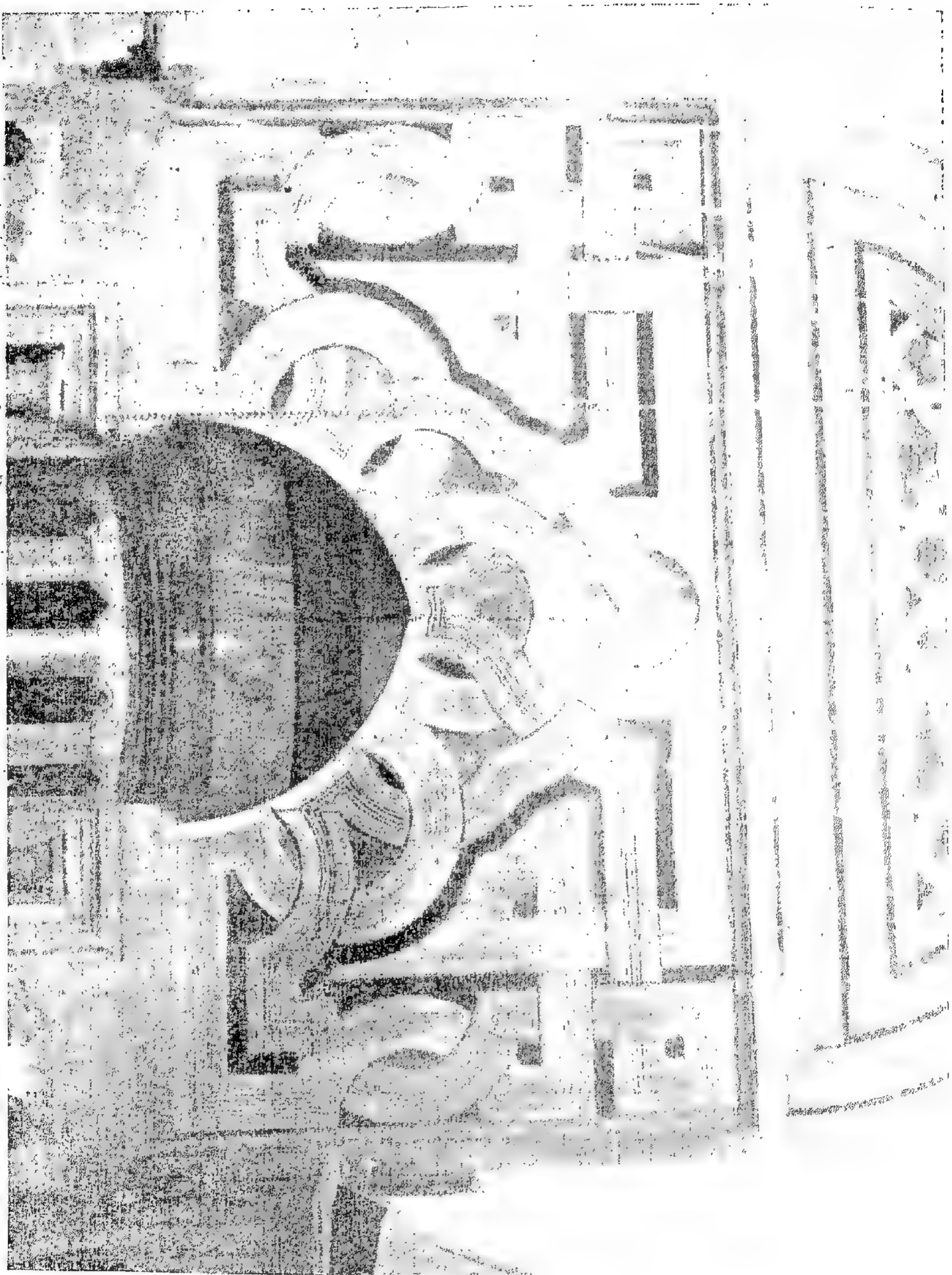
٢١ - مصراع باب المدرسة الشاذليونية (الشيخ معروف) بجليب
(سنة ١٢٨٩ هـ . ١١٩٣ م)



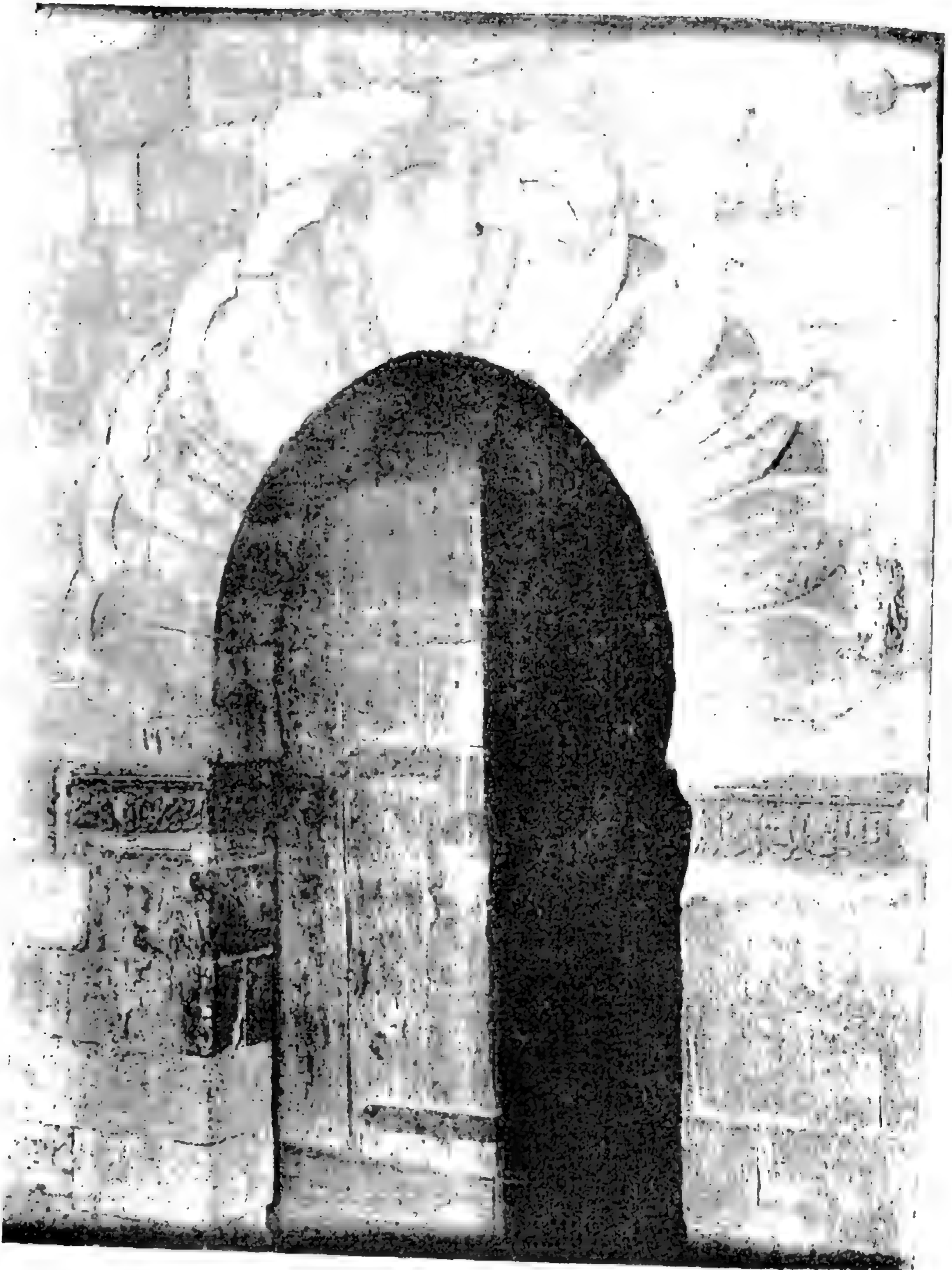
٢٤ - المقعد النزيه ب. مطبخ المعجى بجلب
(القرن الثالث عشر الميلادى)



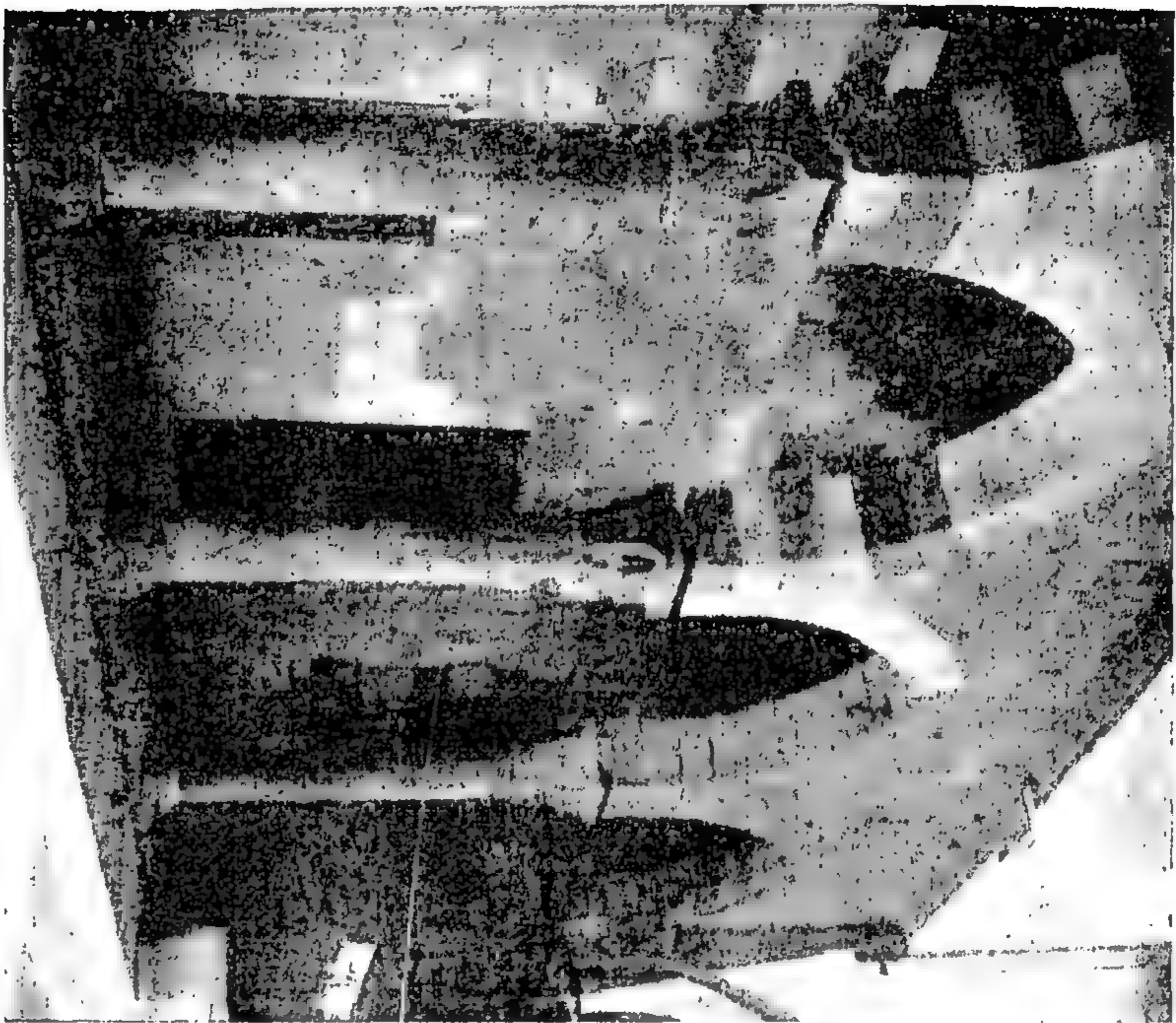
٢٣ - باب المدرسة السلطانية بجلب
(سنة ٦١٢ - ٦٢٥ هـ . ١٢١٦ - ١٢٢٧ م)



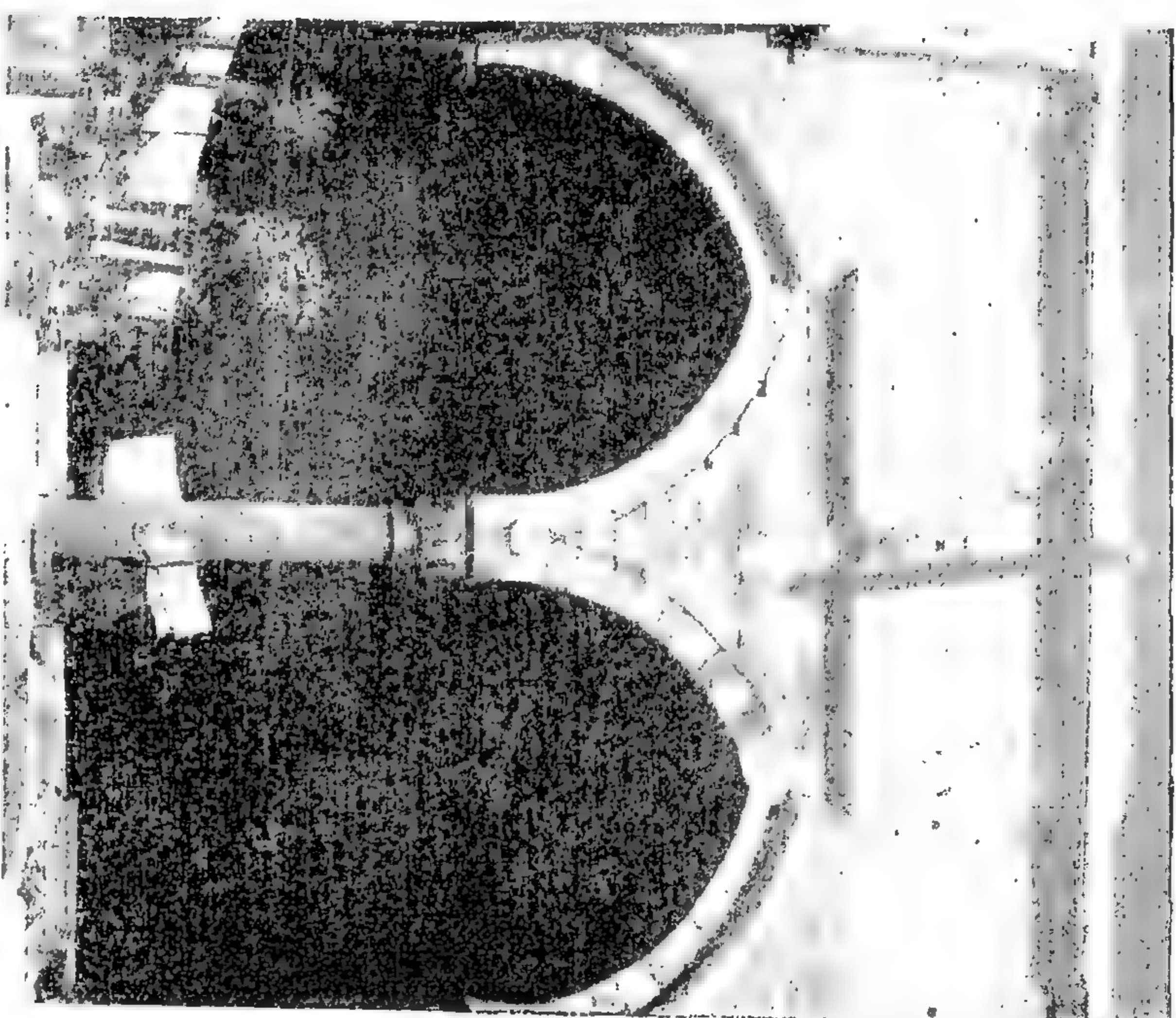
٢٥ - حجاب مدرسة القردوس بحلب (سنة ١٢٢٢ هـ - ١٢٢٥ م)



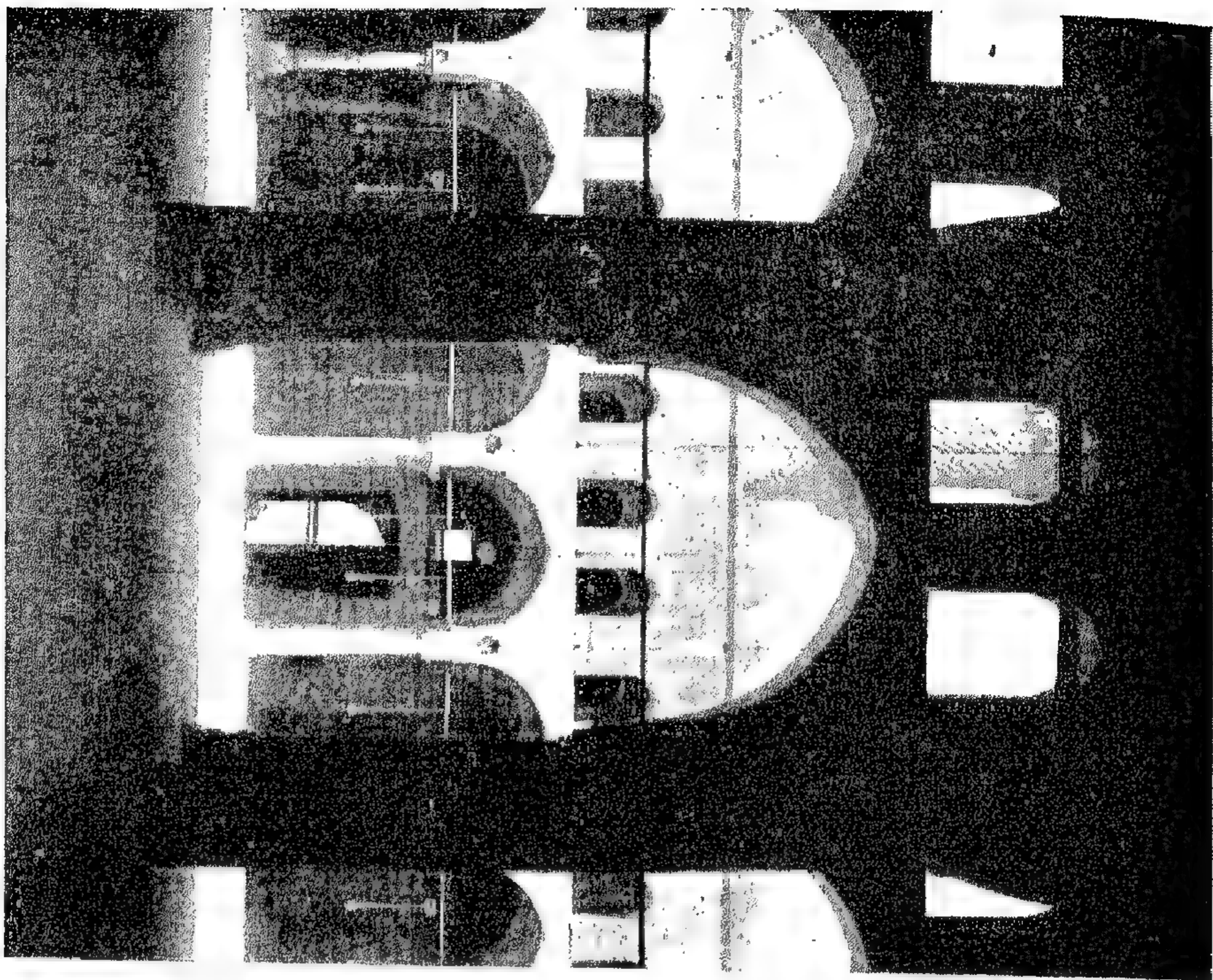
٢٦ - باب رباط أزدمر . مصطفى باشا حاكم اليمن بشارع القادرية بالإمام الشافعي بمصر
(حوالي سنة ٦٦٦ هـ . ١٢٦٧ م)



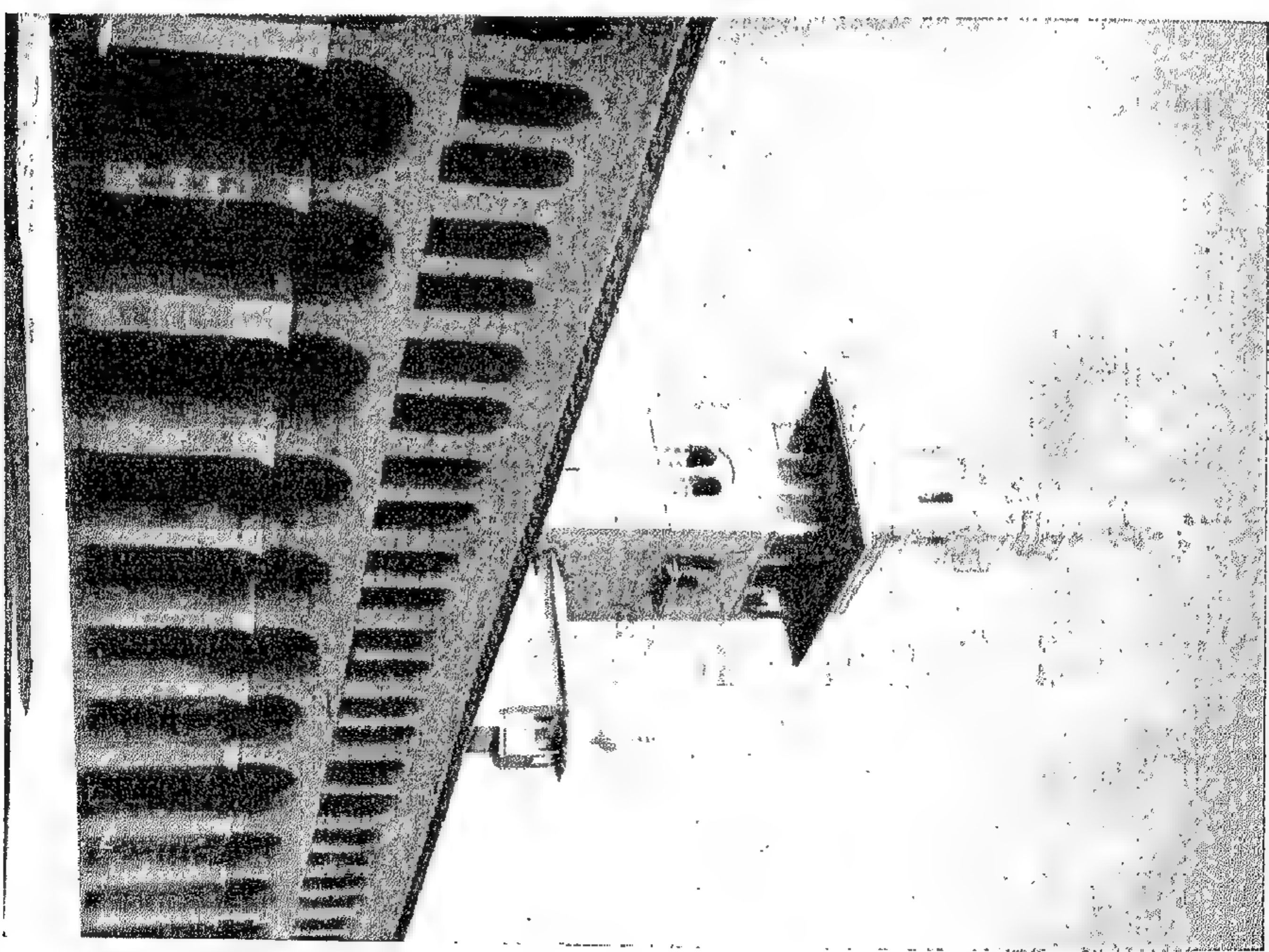
٢٨ - التيجان المربعة فوق الممد في بیمارستان أرغون الكامل، بجلب



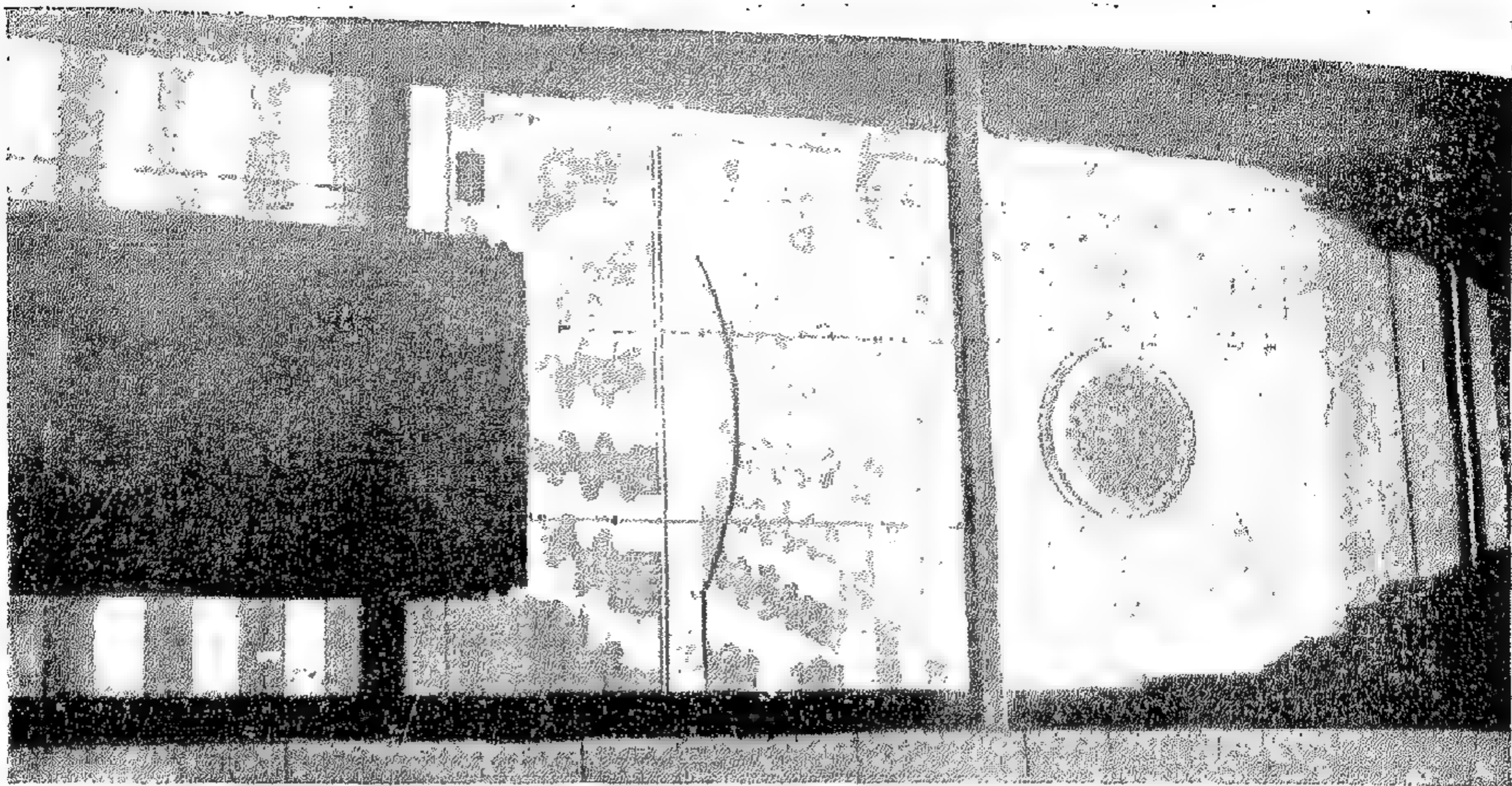
٢٧ - الإيوان الغربي في بیمارستان أرغون الكامل بجلب (سنة ١٣٥٥.٥٧٥٥ هـ)



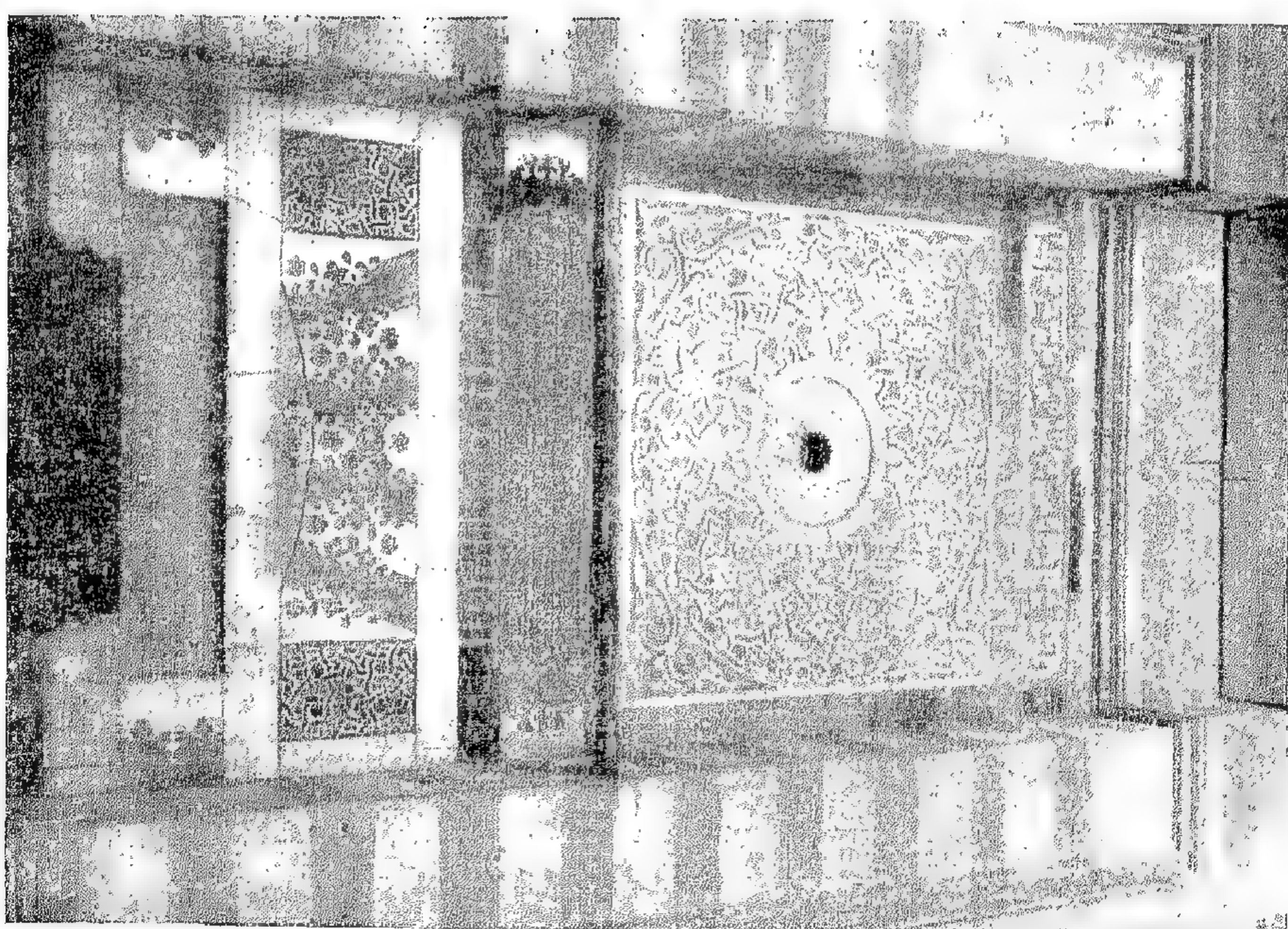
٣٠ — المقنود حول صحن مسجد الناصر محمد بن قلاوون بقائمة الجبل بمصر
(سنة ١٣٣٥ هـ . ١٣٣٥ م)



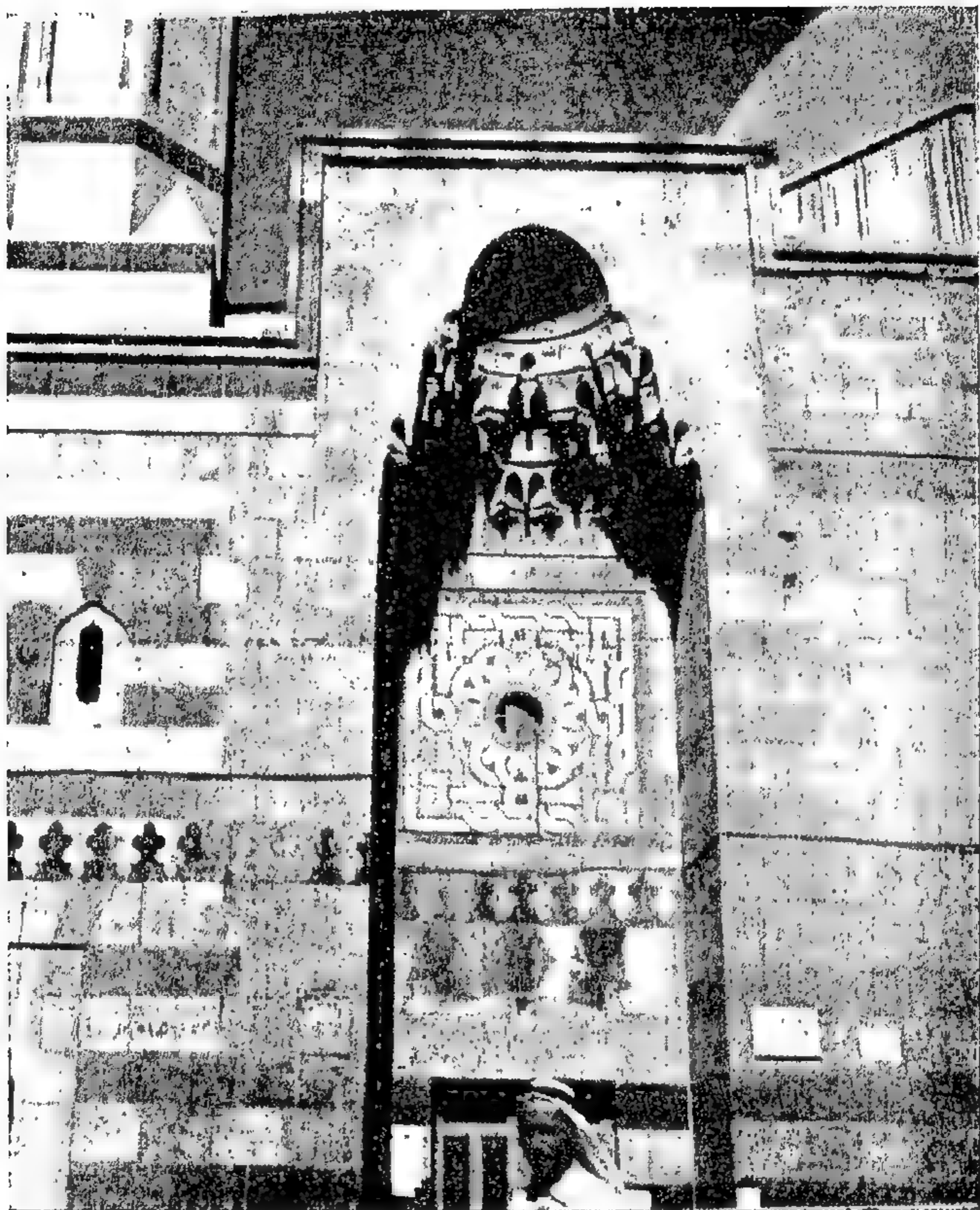
٢٩ — المقنود حول صحن الجامع الأموي بدمشق
(سنة ١٣٨٦ هـ . ١٣٨٦ م)



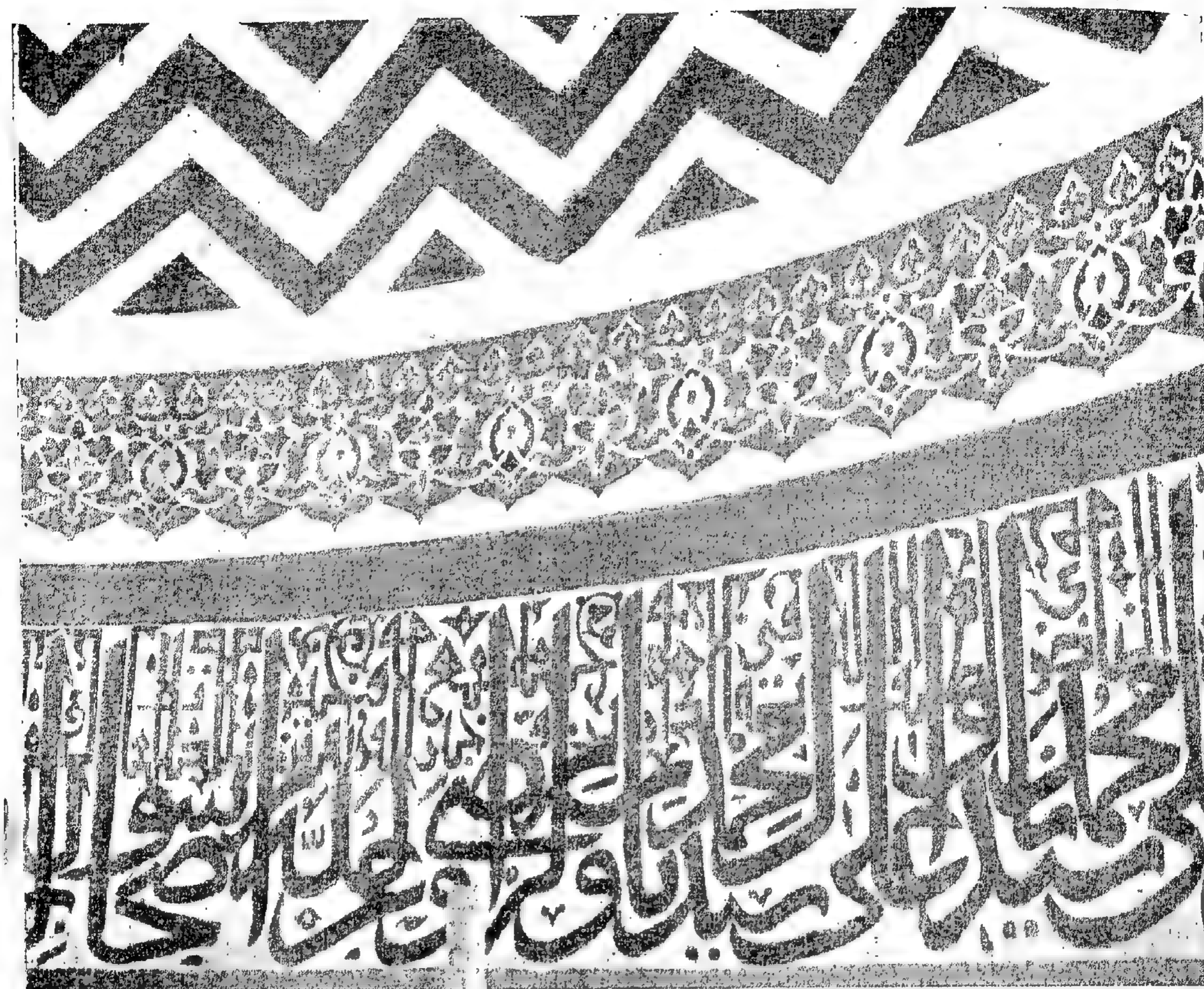
٢٢ - كسوة رخامية في باب مسجد برفوف بمصر
(سنة ٧٨٨ هـ . ١٣٨٦ م)



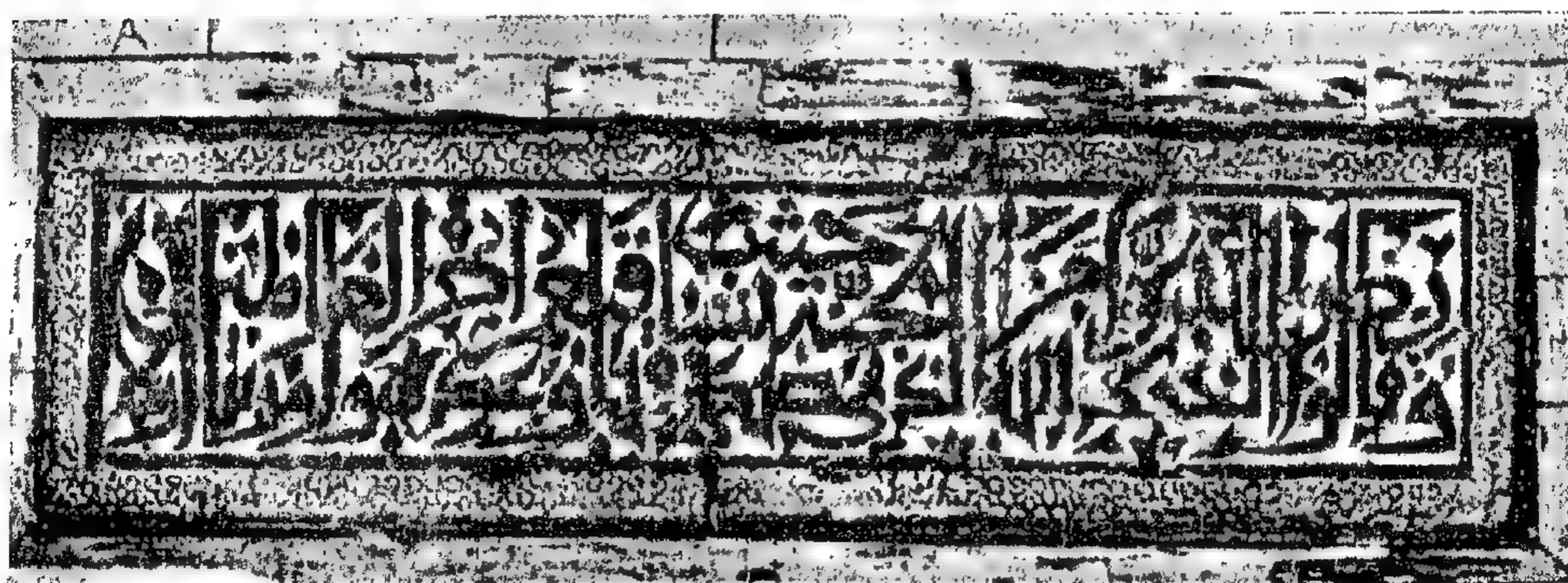
٣١ - كسوة رخامية في باب مسجد أصلم السلطان بمصر
(سنة ٧٤٥ هـ . ١٣٤٥ م)



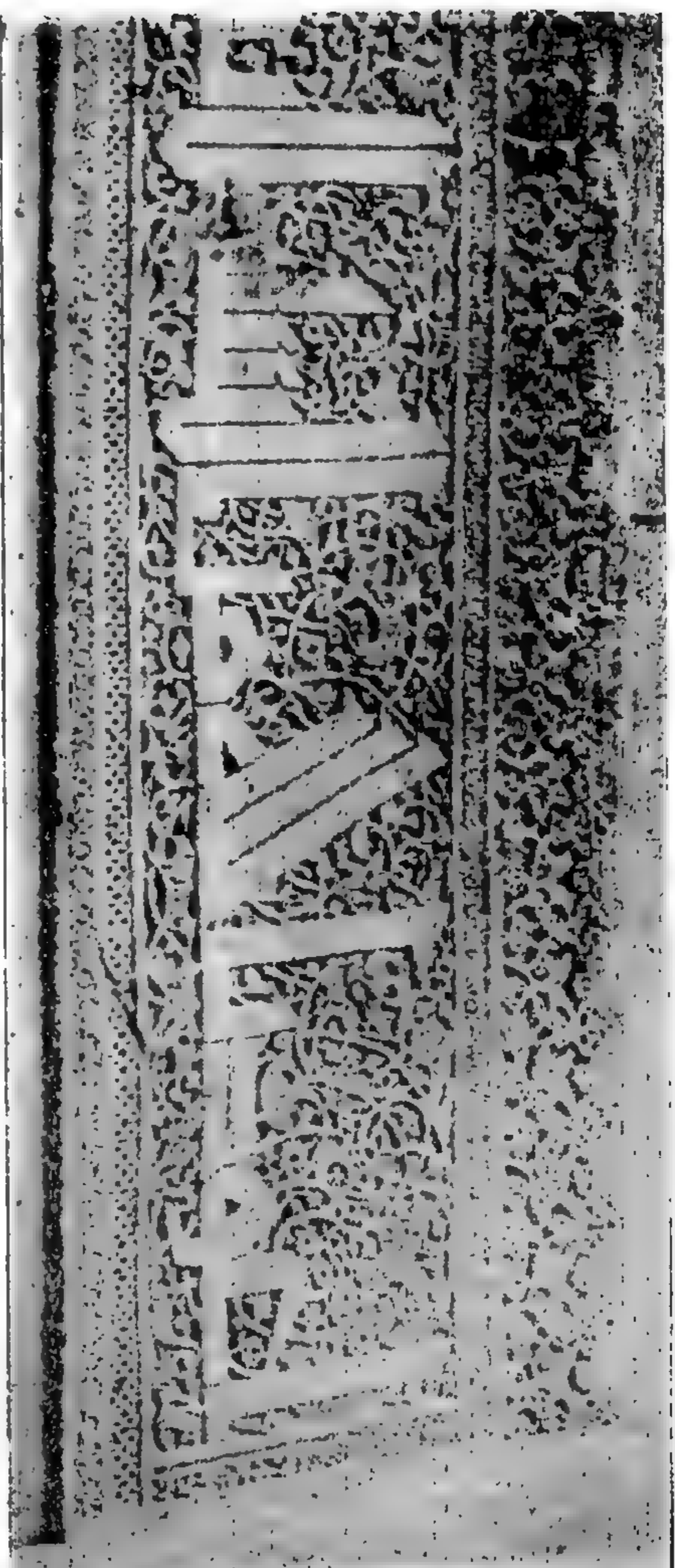
٣٣ - كسوة رخامية في باب التربة الأرغونية بدمشق



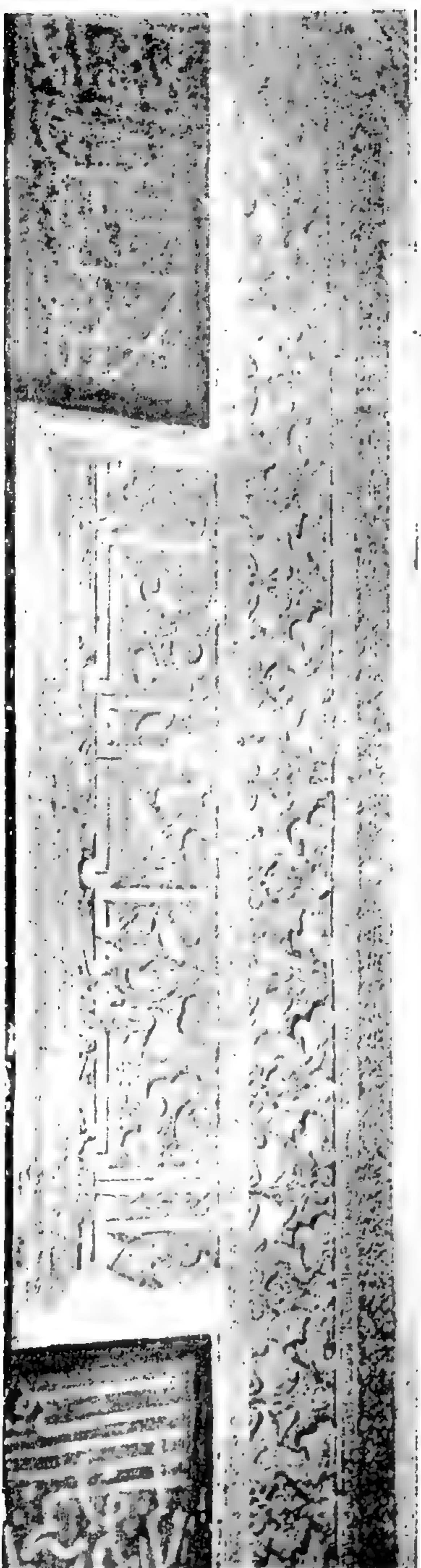
٣٤ - طراز مكتوب بالخطين الكوفي والنسخي برقة القبة البحرية بخانقاه فرج بن برقوق بالقرافة الشرقية بالقاهرة
(سنة ٨٠٣ هـ . ١٤٠٠ م)



٣٥ - طراز مكتوب بالخطين الكوفي والنسخي بالمدرسة الجقمقية بدمشق (سنة ٨٢٤ هـ . ١٤٢١ م)



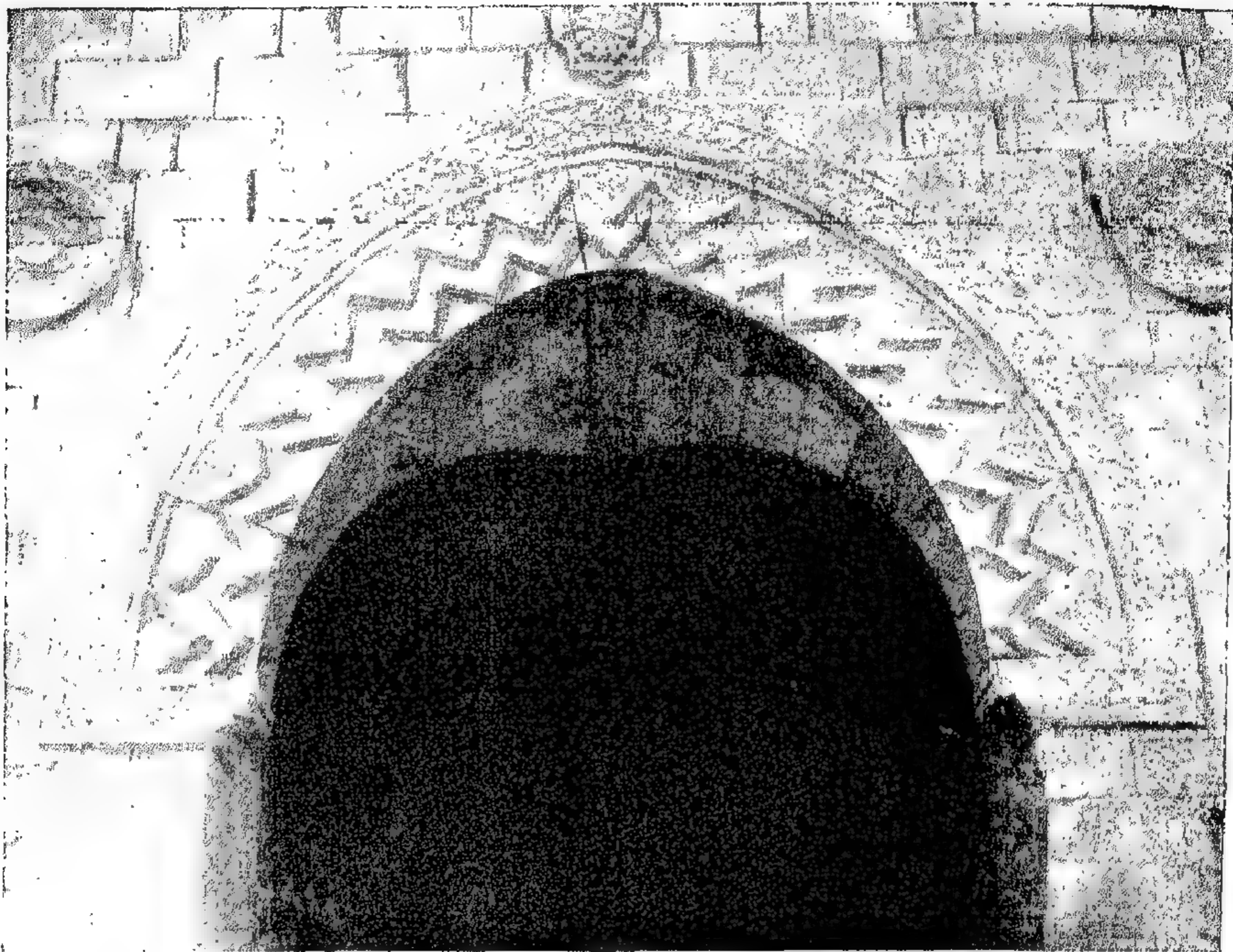
٢٦ - طراز مكتوب بالخط الكوفي بديرسة السلطان حسن بمصر (سنة ٥٧٥٧ . ٧٦٤ د)



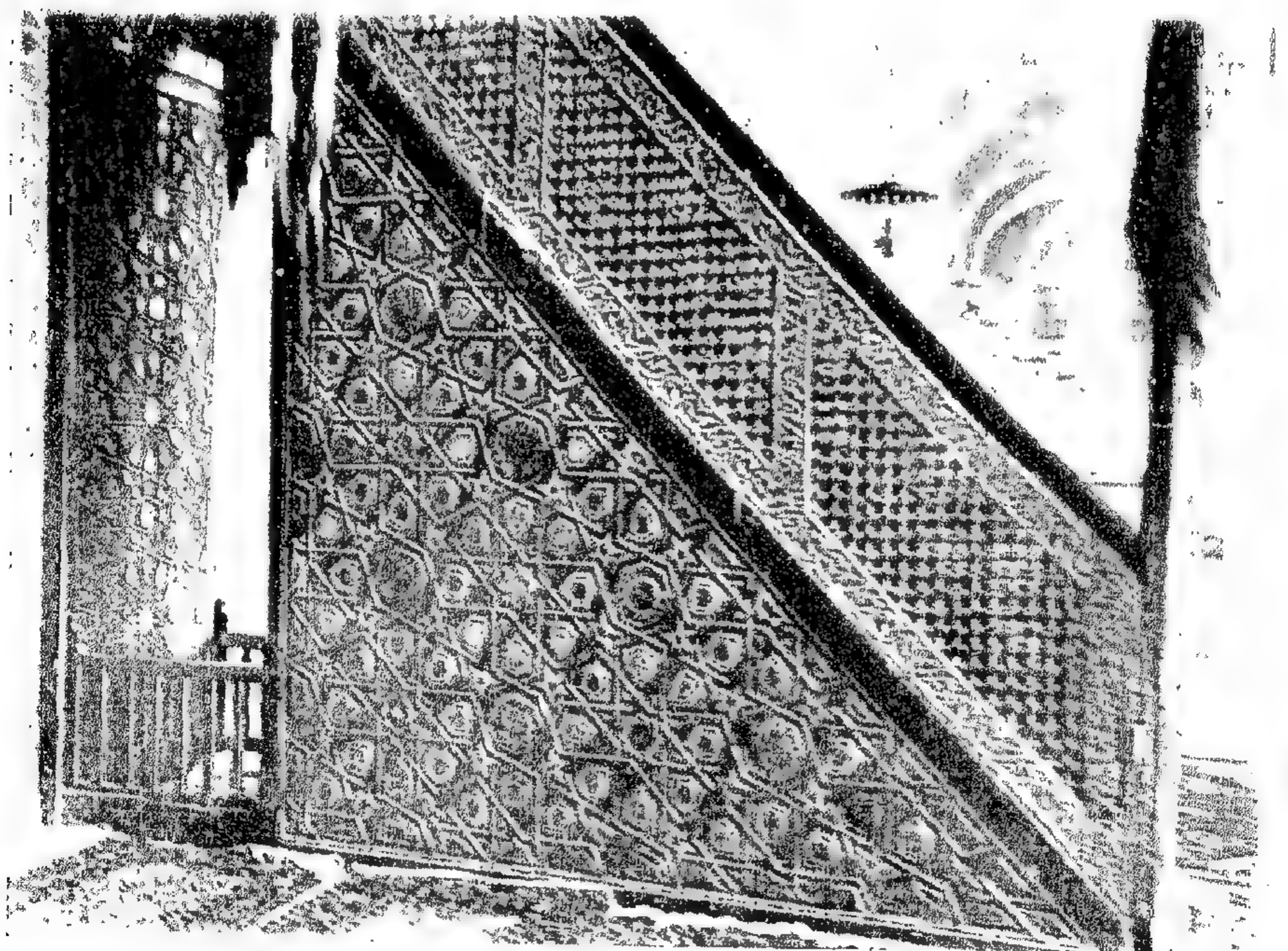
٢٧ - طراز مكتوب بالخط الكوفي في مسجد يلينا بدمشق (سنة ٥٧٤٧ . ١٣٤٧ م)



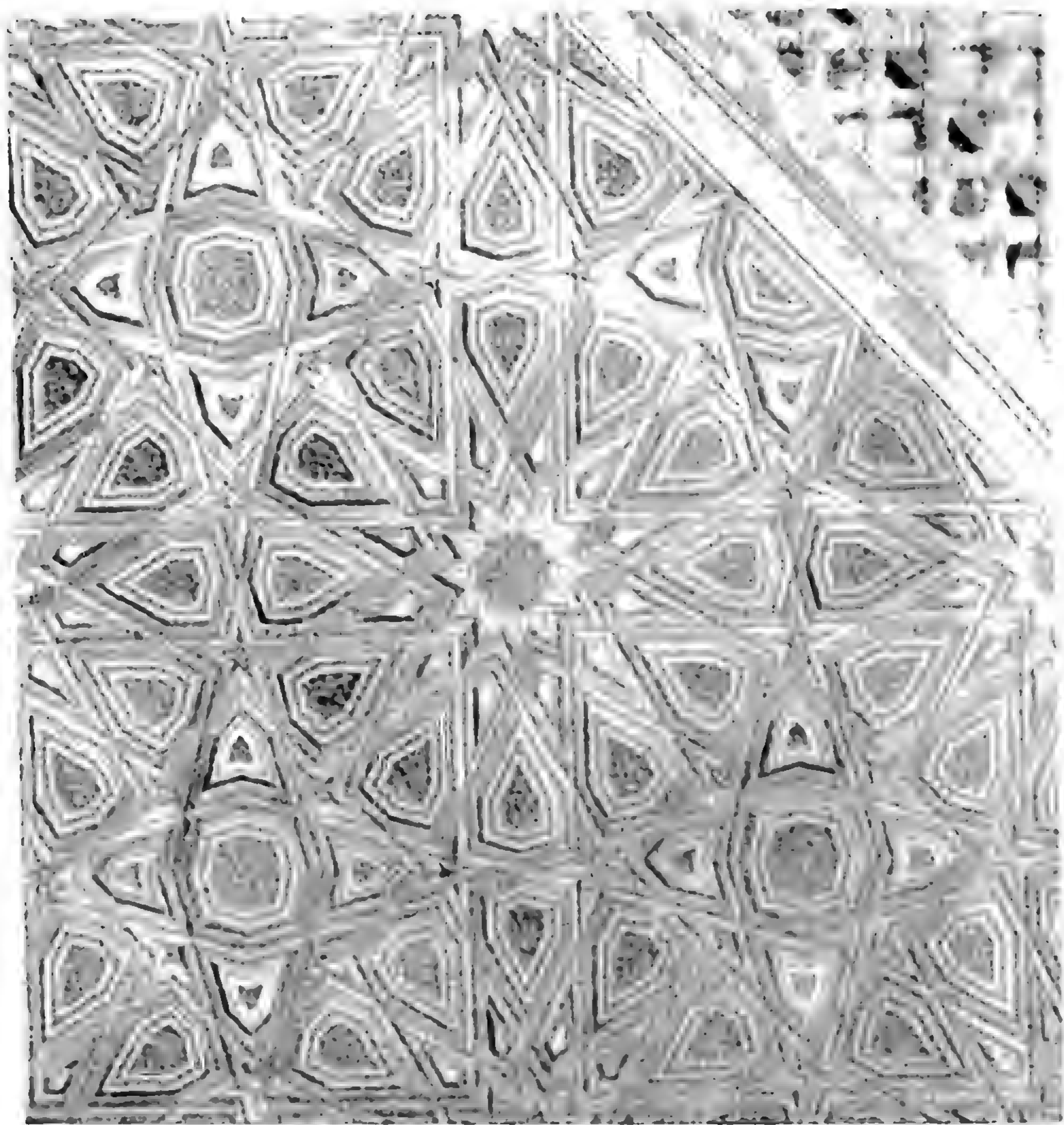
٣٨ - مدخل مسجد الفستق (المدرسة الباغية) بجلب (سنة ٧٥٠ هـ . ١٣٥٠ م)



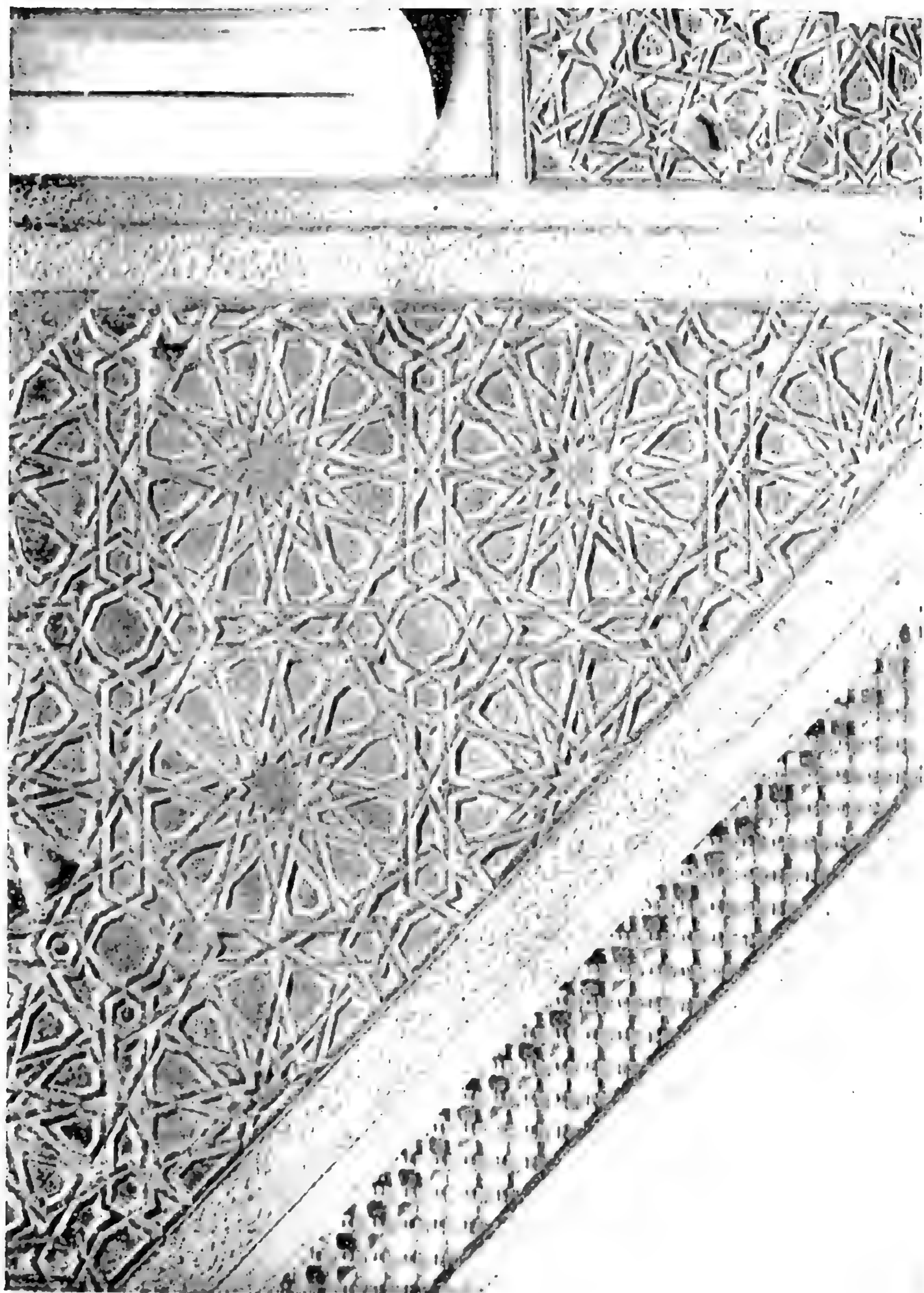
٣٩ - عقد مدخل مسجد الظاهر بيبرس البندقدارى بالقاهرة (سنة ٦٦٧ هـ . ١٢٦٩ م)



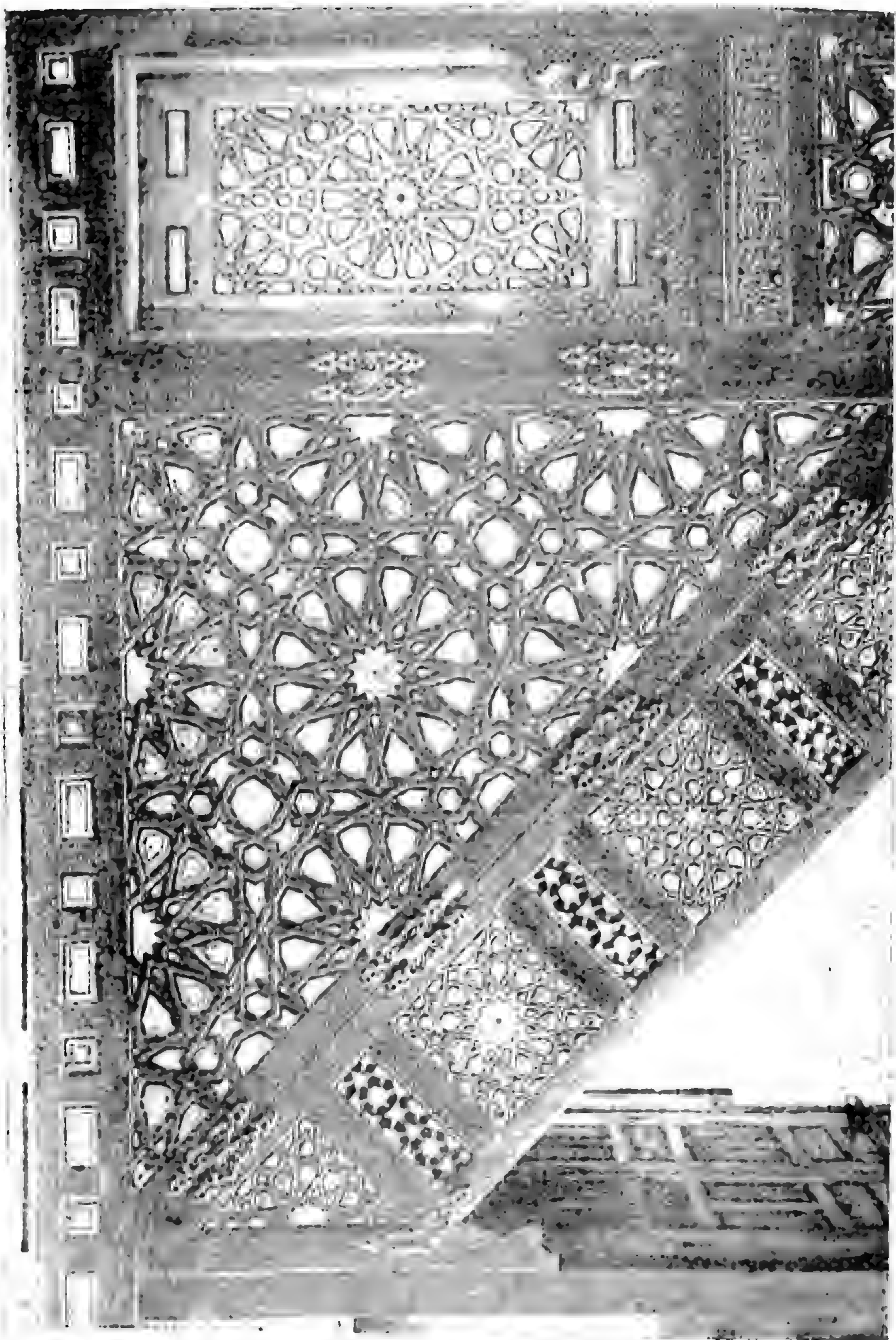
٤٠ - منبر الجامع الكبير بحلب (أوائل القرن الثامن الهجرى)



٤١ - مئبر مسجد حدق القهرمانه بمصر (سنة ١٣٤٠ . ١٣٤٠ م)



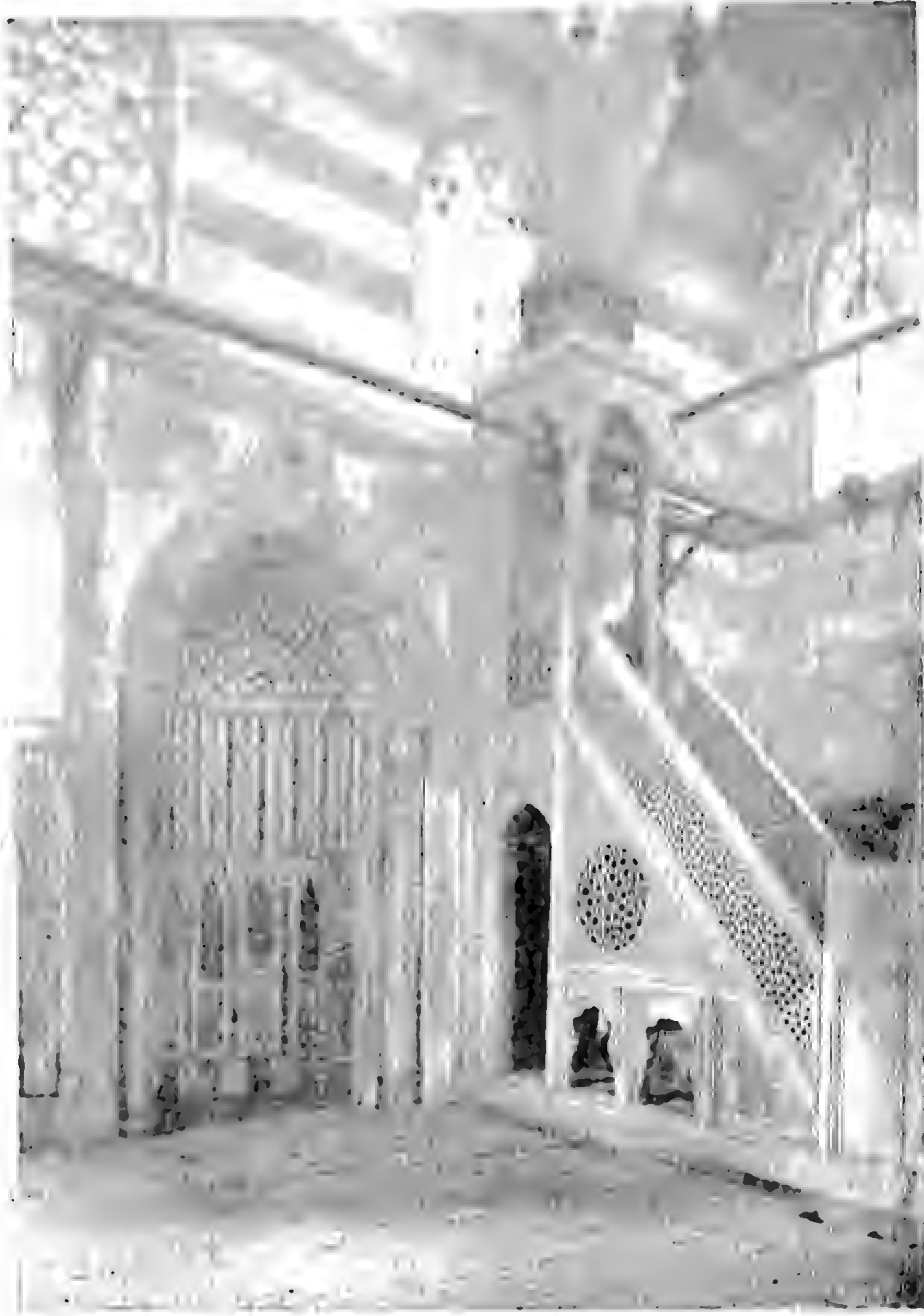
٤٢ - منبر المسجد الكبير بجاه (القرن الخامس عشر الميلادي)



۴۲ - منبر مسجد قنری برقی بمبئی (سنه ۱۸۹۹ء - ۱۹۰۰ء)



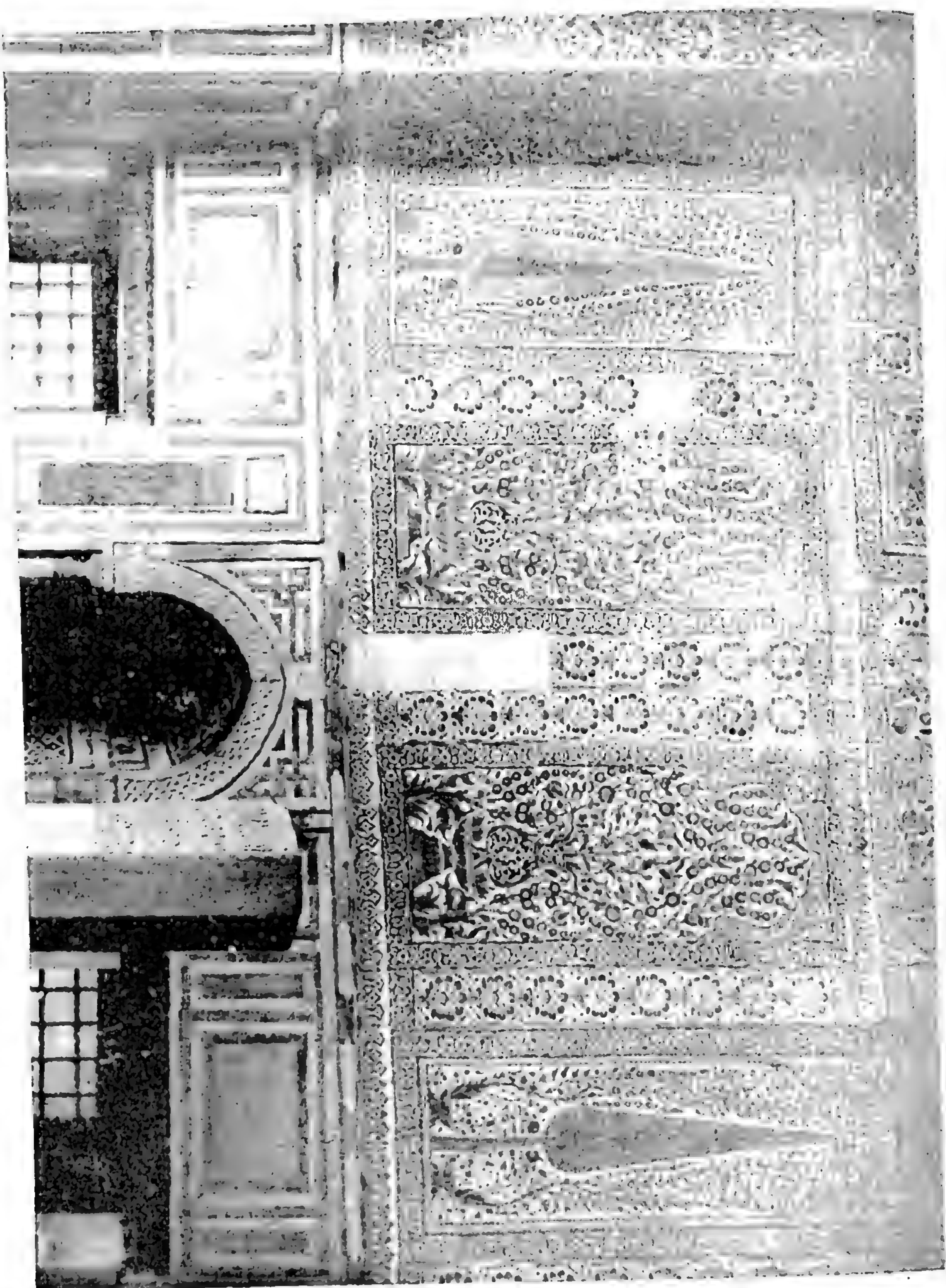
٤٤ - محراب ومنبر مسجد سنان باشا بدمشق (سنة ٩٩٥ هـ . ١٥٨٦ م)



٤٥ - محراب ومنبر مسجد الملكة صفية بمصر (سنة ١٠١٩ هـ . ١٦١٠ م)



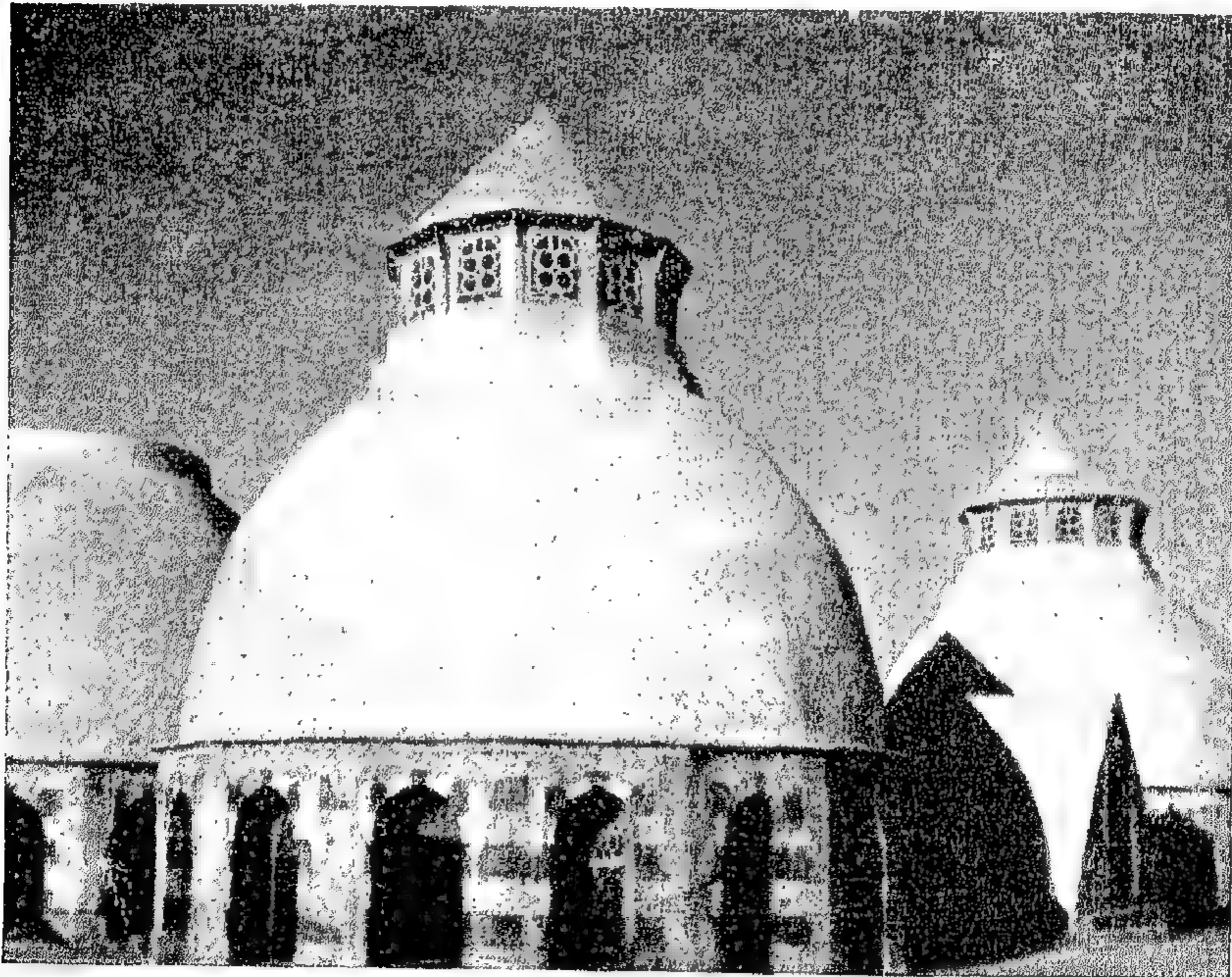
٤٦ - قاشاني دمشقي بمجد سنان باشا بدمشق (سنة ٩٩٥ هـ . ١٥٨٦ م)



۴۷ - کاشانی ترکی. مدفن ابراهیم آغا. مسجد آق سقیر، بحر (سنه ۱۰۹۲ هـ. ۱۶۸۱ م)



٤٨ - قبة المنوقى بالقرافة القبلىة بمصر (نهاية القرن الثالث عشر الميلادى)



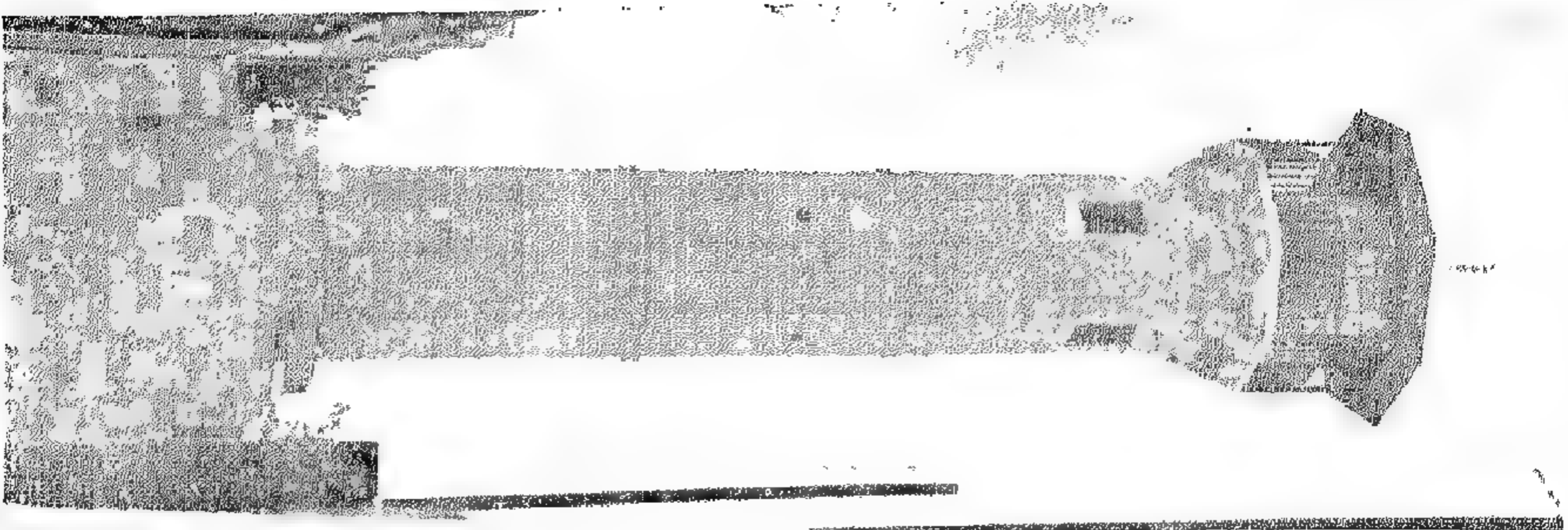
٤٩ - قبة خان أسعد باشا العظم بدمشق (سنة ١١٦٦ هـ . ١٧٥٢ م)



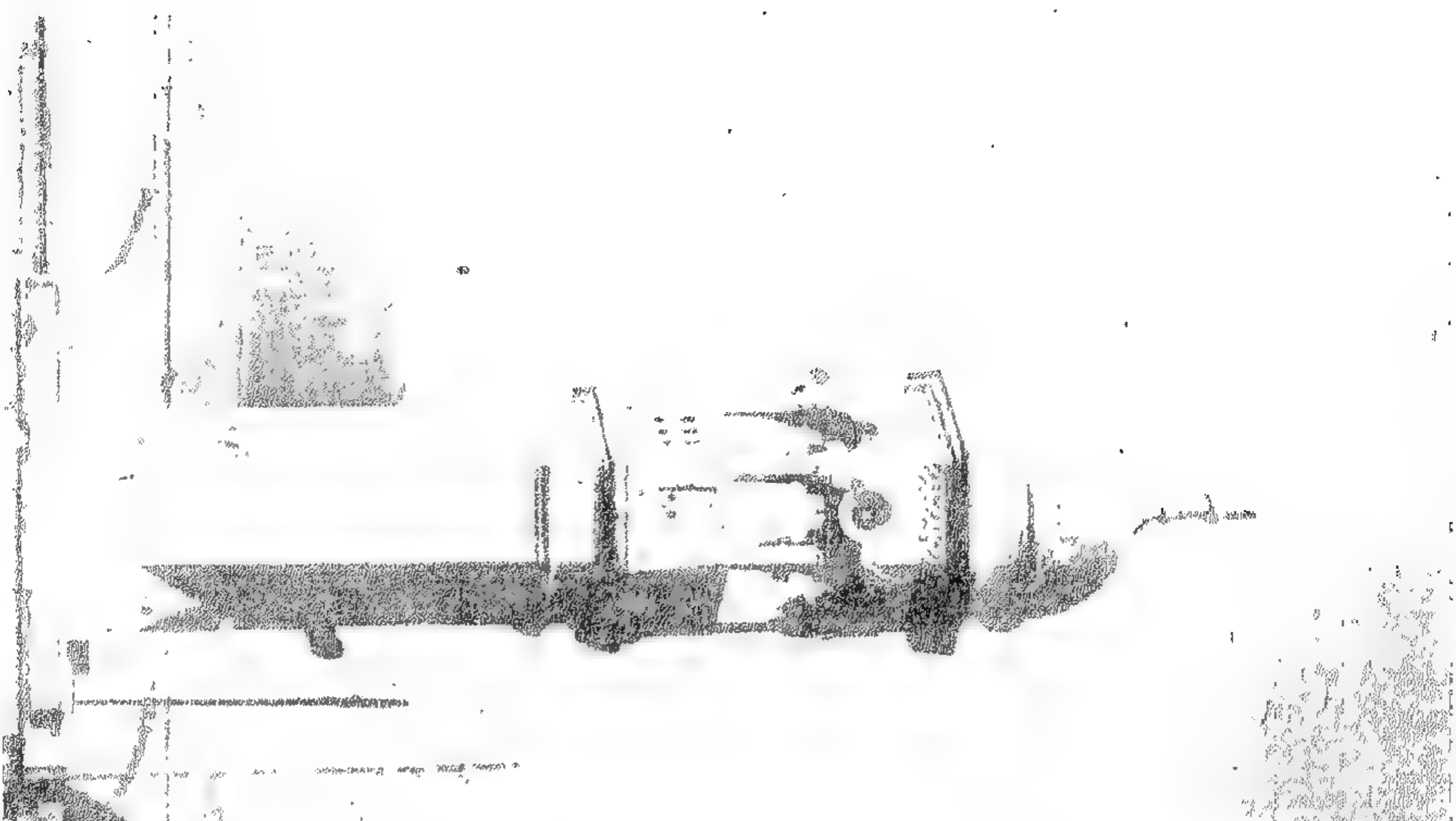
٥٠ - منارة الجامع الكبير بمصر السليمانية



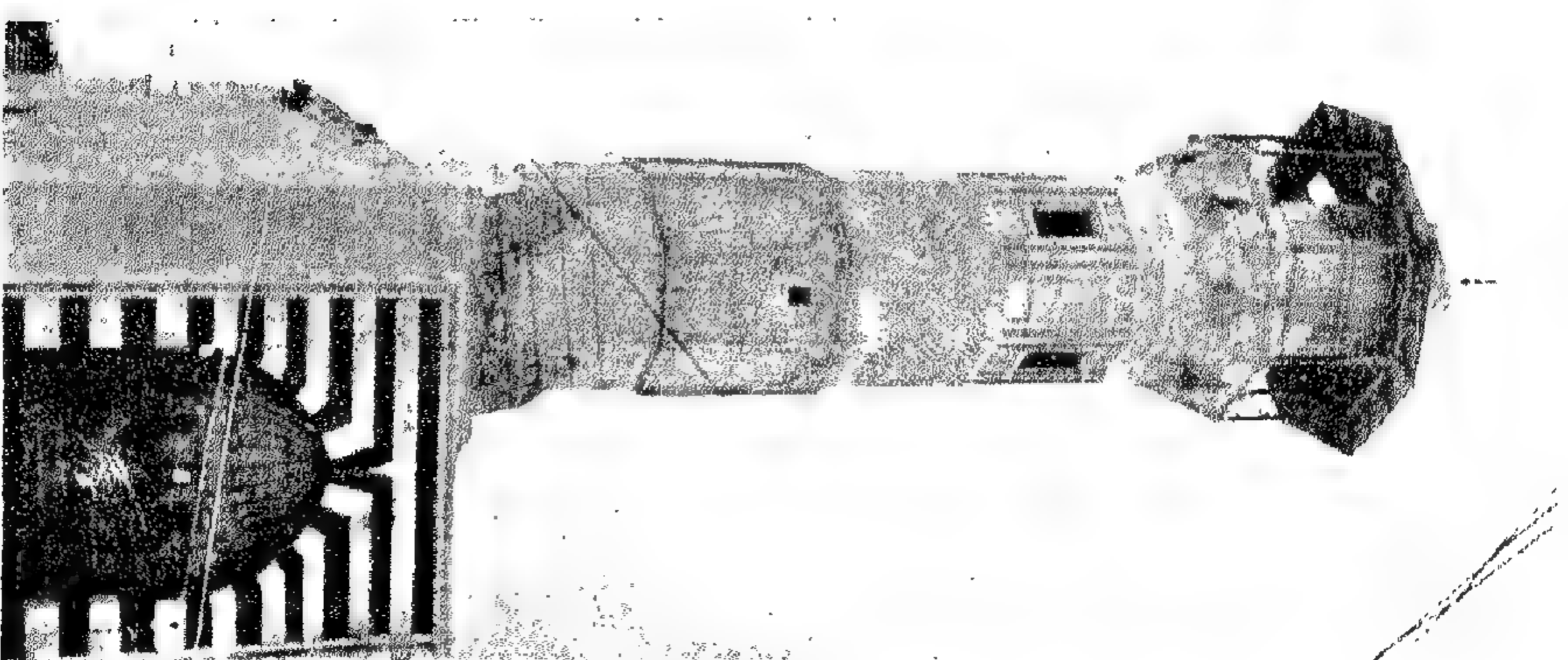
٥١ - منارة الجامع الكبير بـجـلب



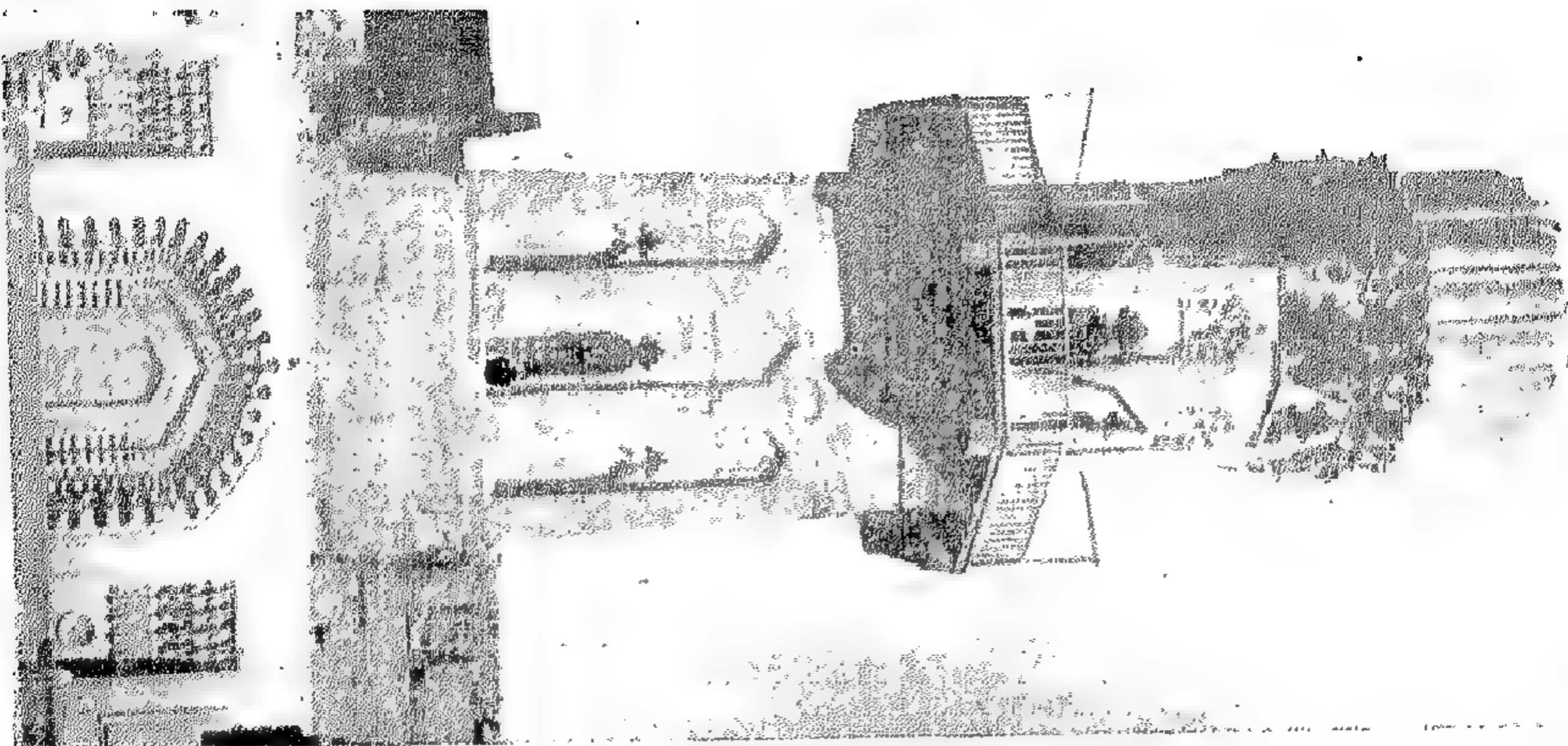
٥٣ — منارة مسجد الموزيني بـجـلب
(سنة ٧٩٧ هـ . ١٣٩٤ م)



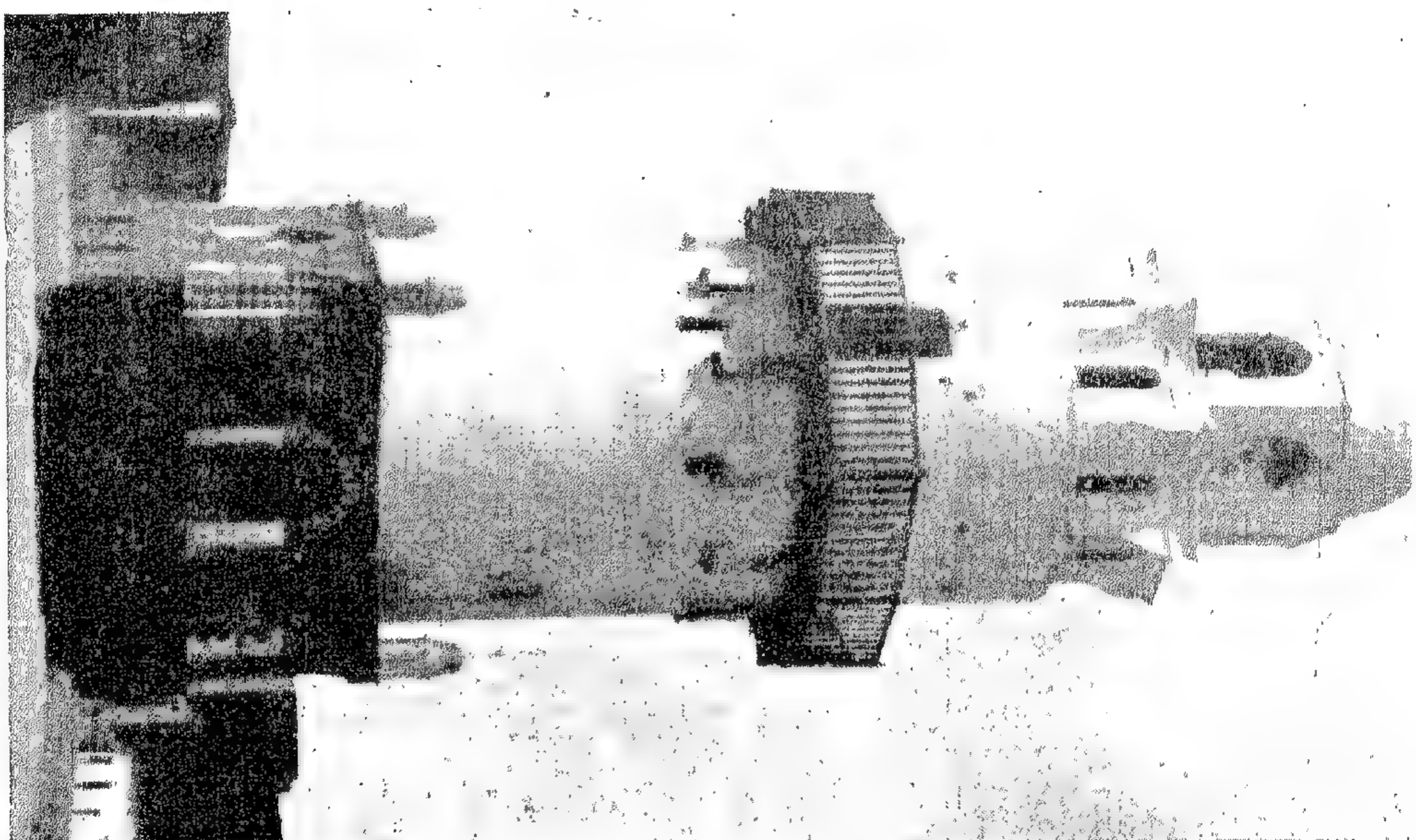
٥٣ — منارة المورورية بـجـلب
(سنة ١٢٧٨ هـ . ١٨٦١ م)



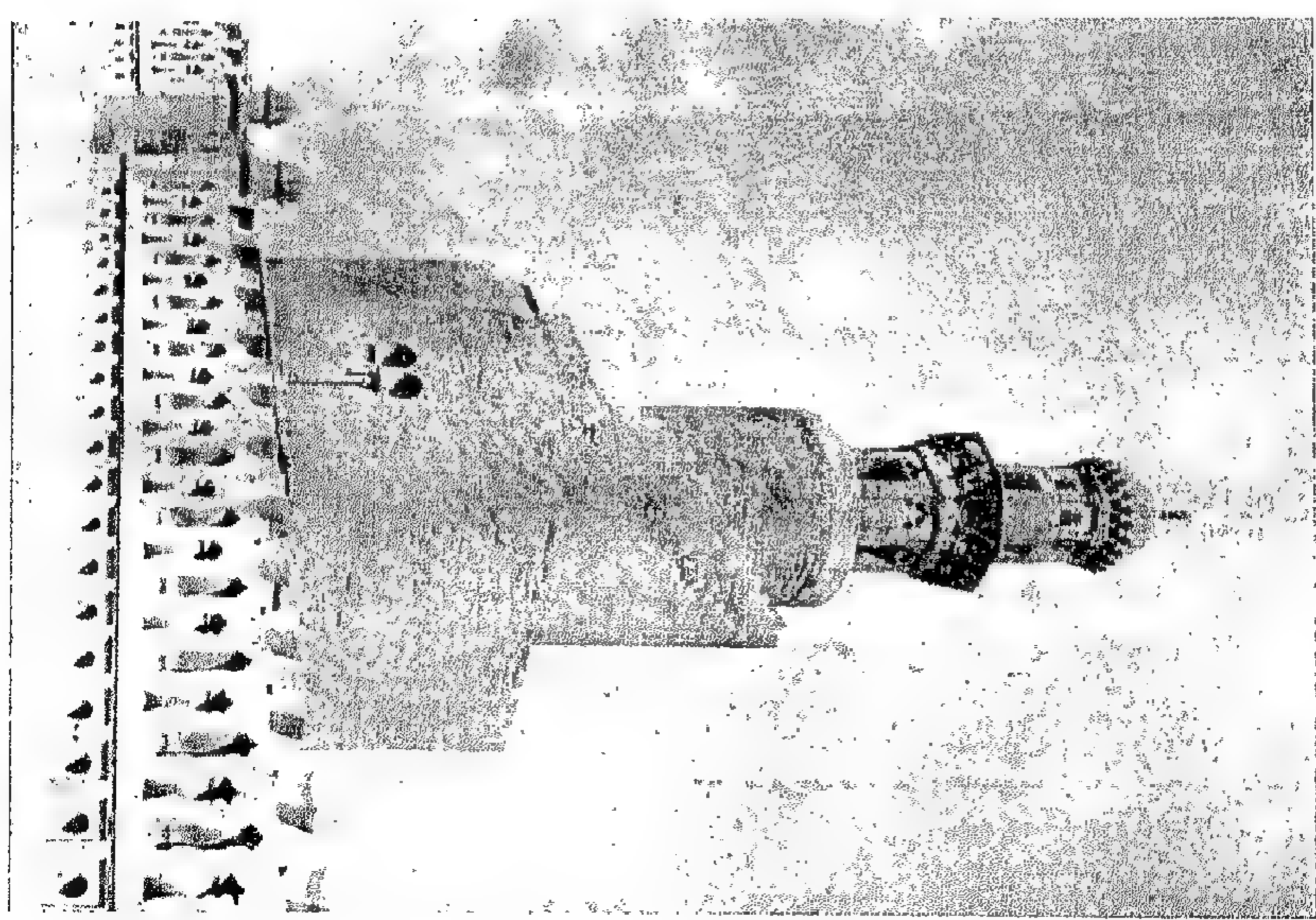
٥٢ — منارة المدرسة الصفاحية بـجـلب
(سنة ٨٢٨ هـ . ١٤٢٤ م)



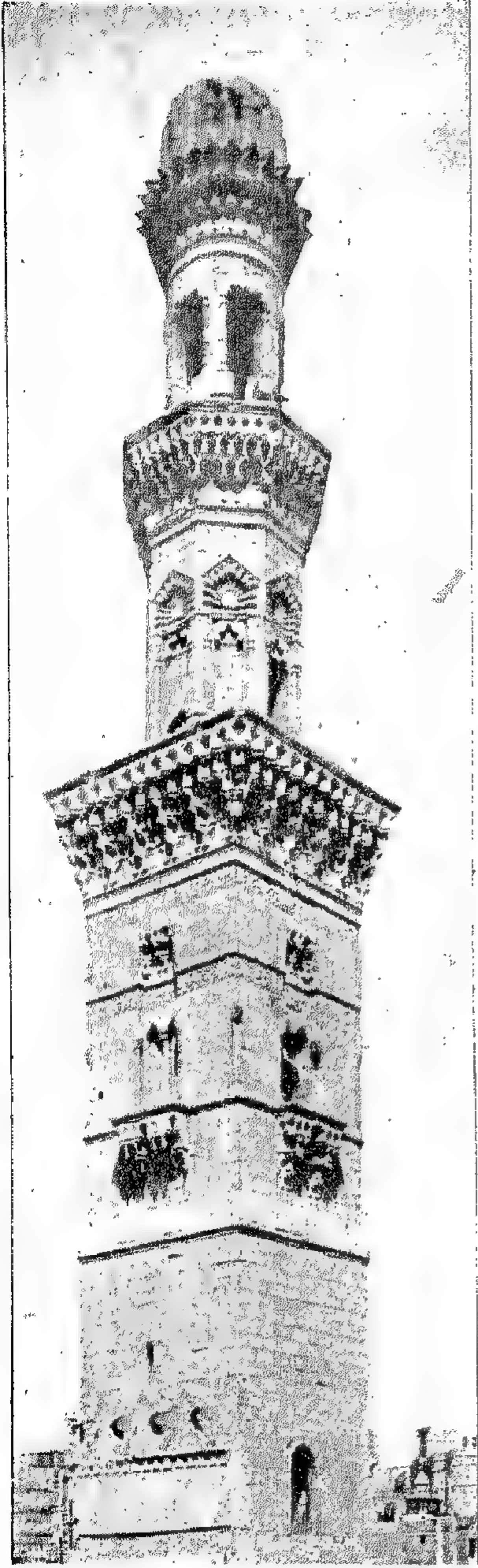
٥٦ - منارة مدارس الصالح نجم الدين والقاهرة ٤١



٥٥ - منارة الجامع العتيق بإسنا سنة ٤٧٠ هـ ١٠٧٧ م



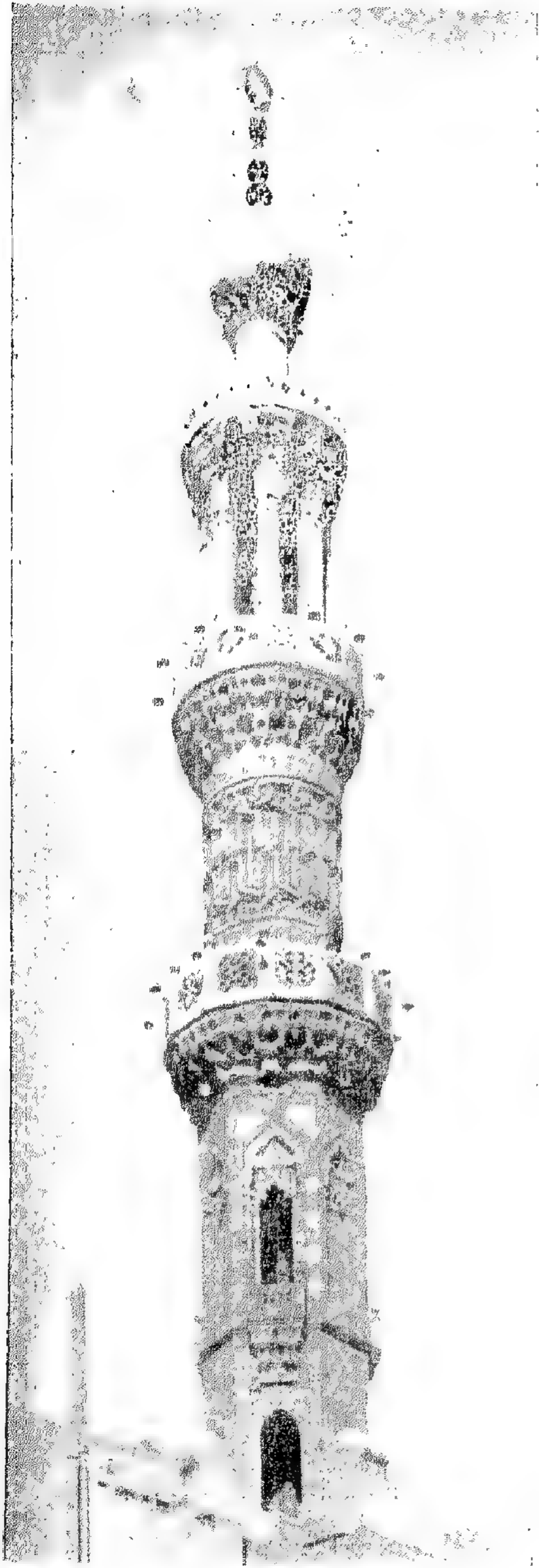
٥ - منارة الجامع الطويل في بصر (سنة ٦٩٦ هـ ، ١٢٩٦ م)



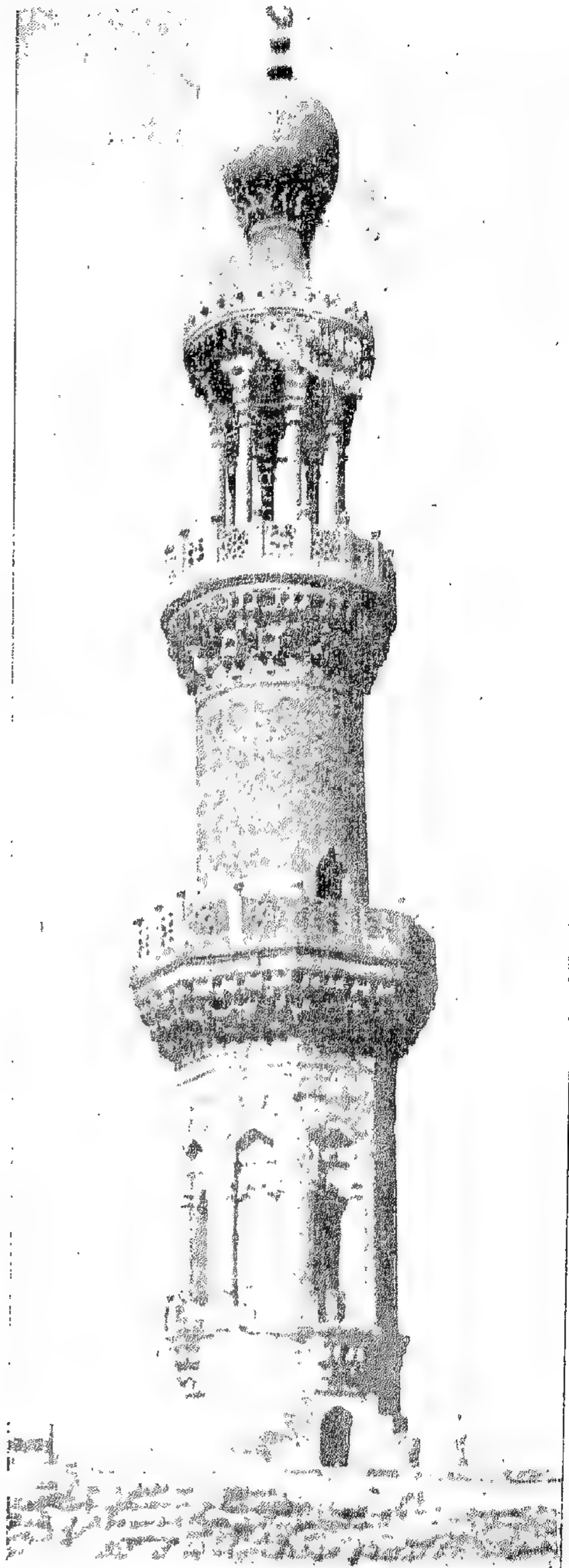
٥٨ - منارة خانقاه قوصون
(سنة ٧٣٦ هـ)



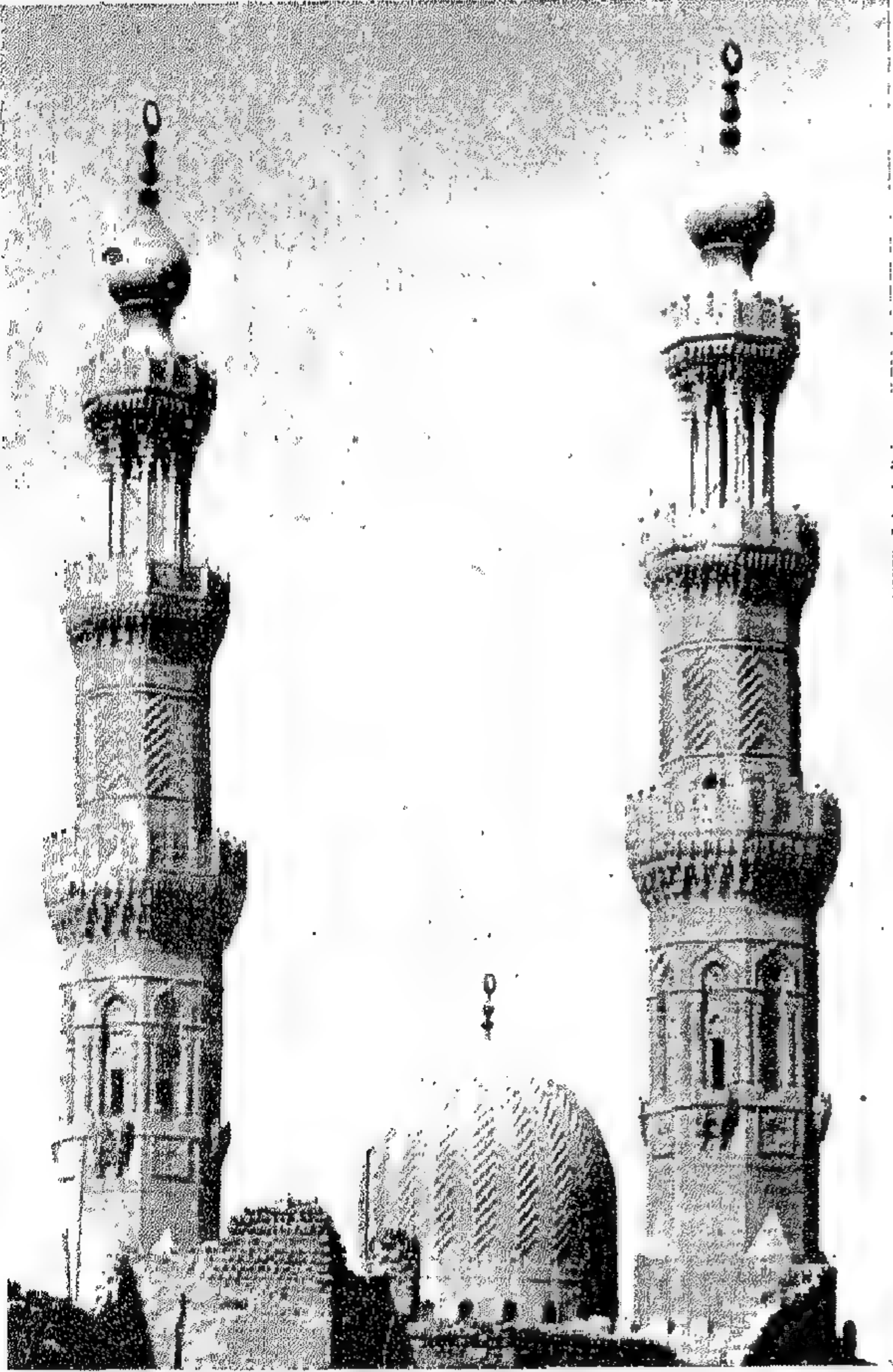
٥٧ - منارة مدرسة سنقر السعدي حسن صدقه
(سنة ٧٢١ هـ)



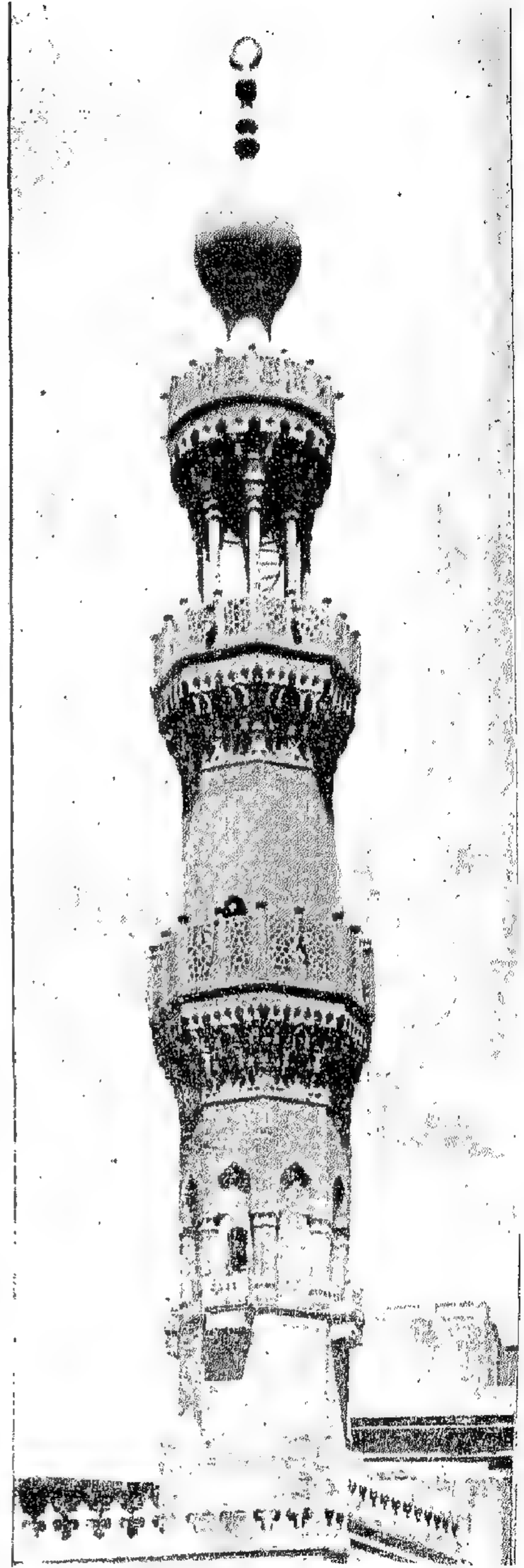
٦٠ - منارة مسجد آسنيغا (سنة ٧٧٢ هـ)



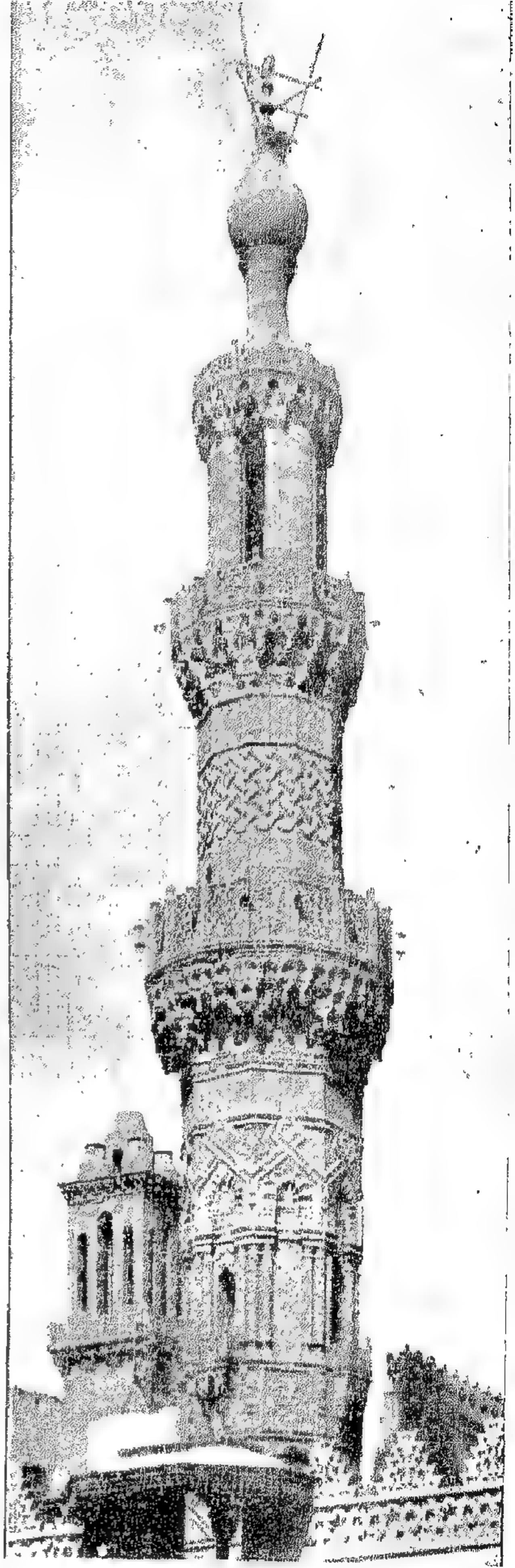
٥٩ - منارة مدرسة الجاي اليوسفي (سنة ٧٧٤ هـ)



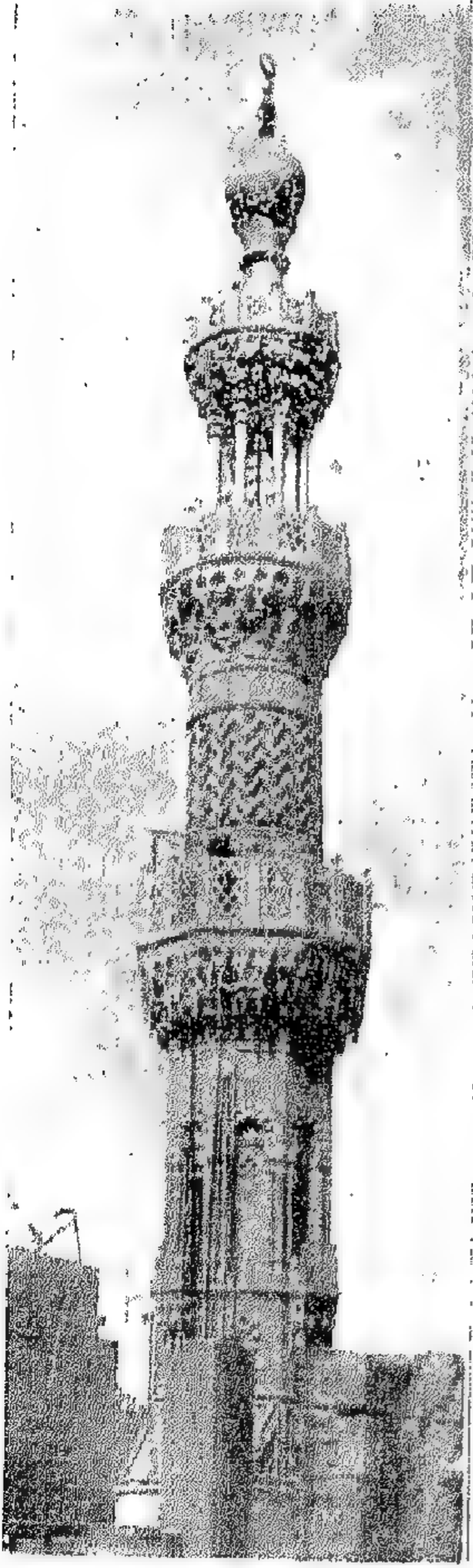
٦٢ - منارتا مسجد المؤيد شيخ فوق باب زويلة
(سنة ٨٢٣ هـ . ١٤٢٠ م)



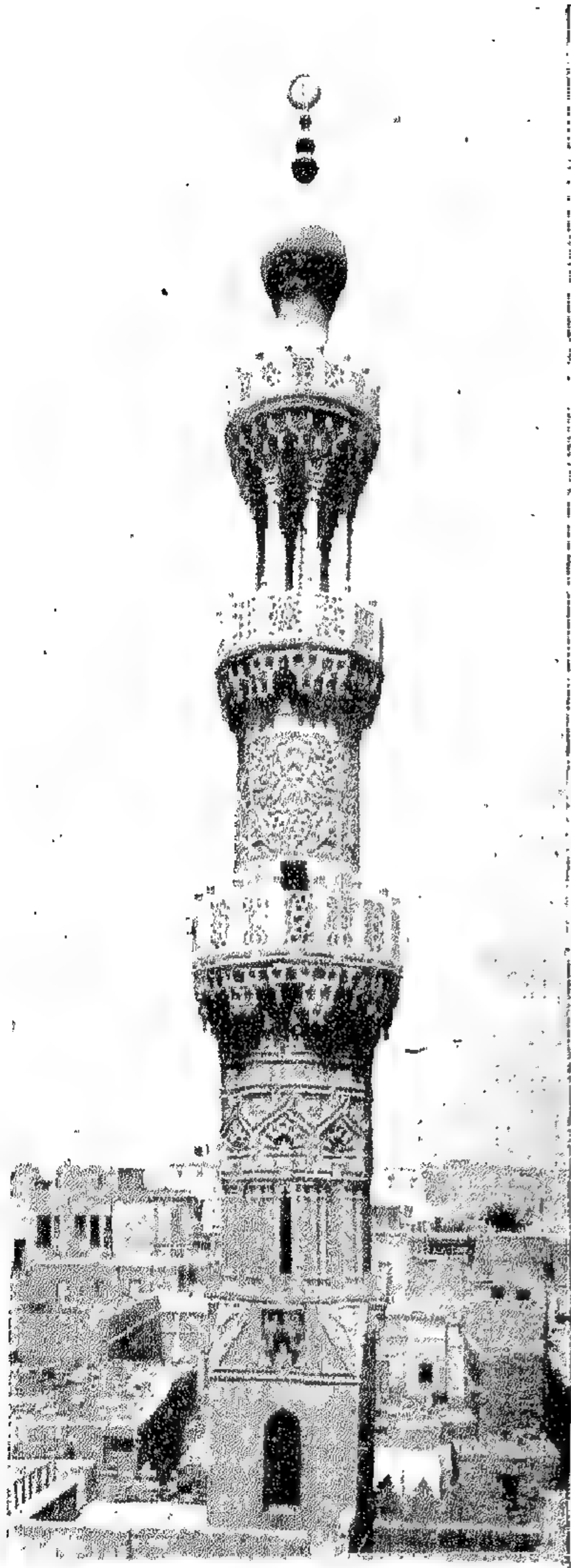
٦١ - منارة مسجد القاضي يحيى بشارع الأزهر
(سنة ٨٤٨ هـ . ١٤٤٤ م)



٦٣ - منارة السلطان قايتباي بالأزهر
(سنة ٨٧٣ هـ . ١٤٦٨ م)



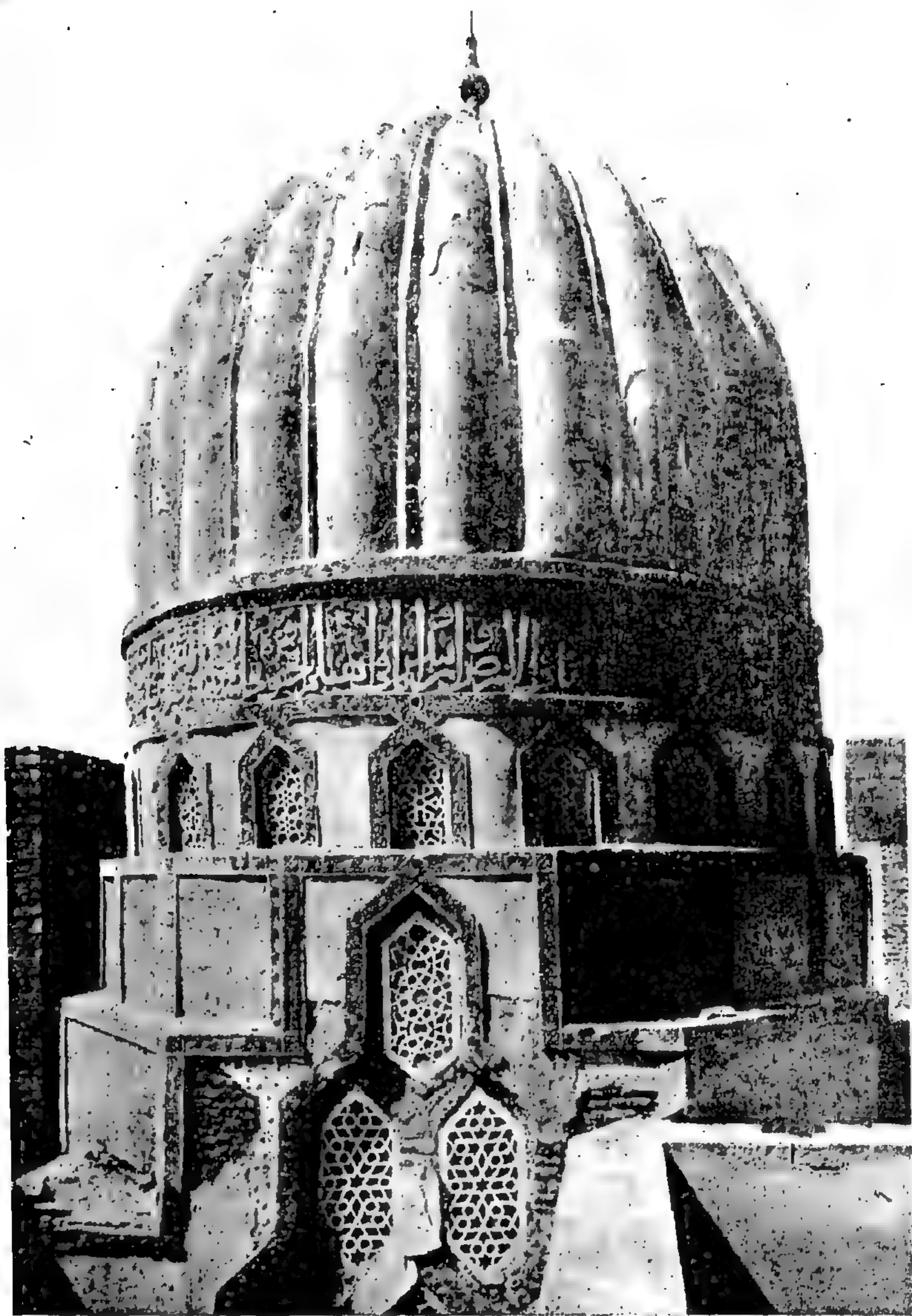
٦٤ - منارة مسجد تميم الرصافي
(تم رصاص) بحارة السيدة زينب
(قبل سنة ٨٧٦ هـ)



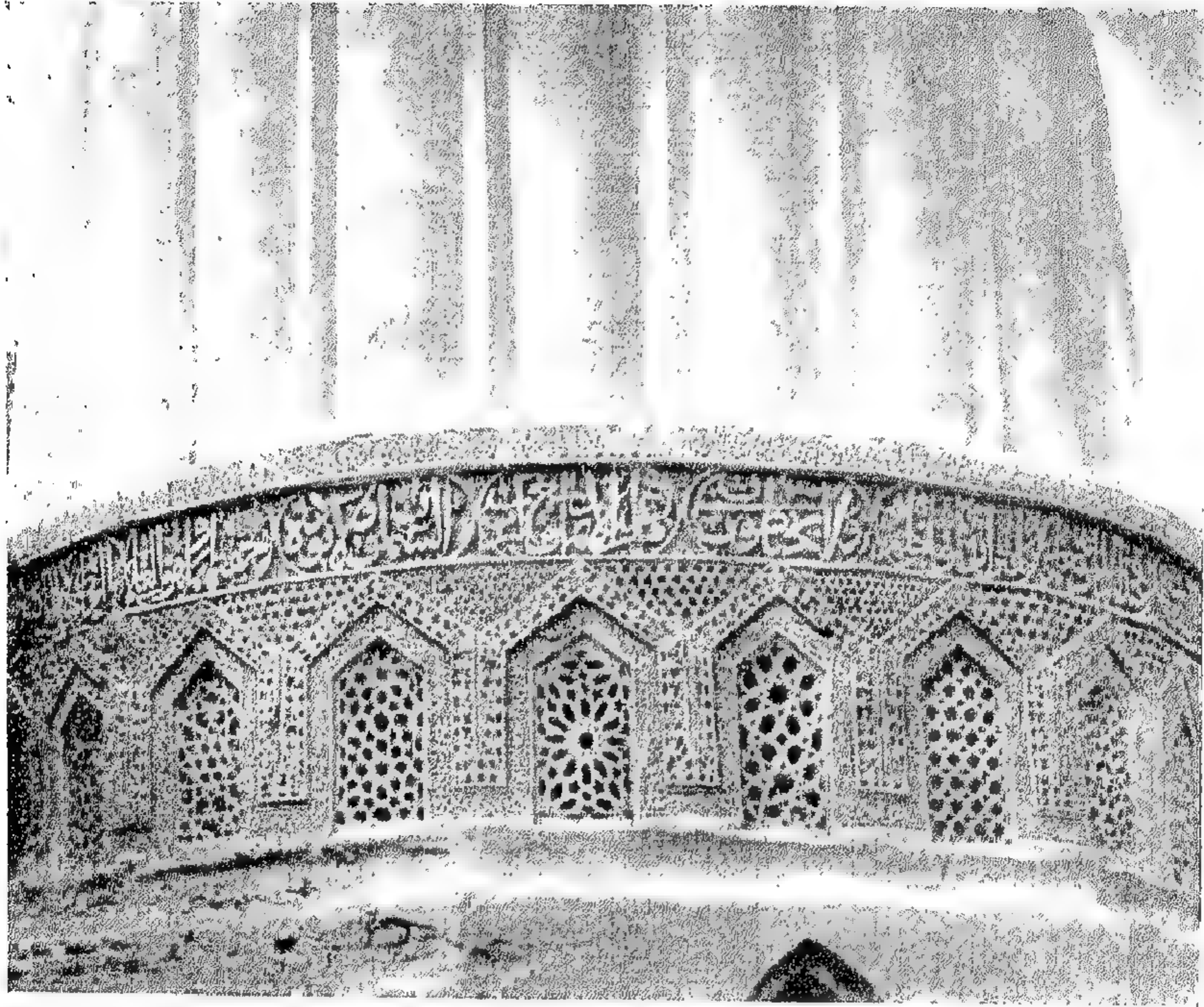
٦٦ - منارة مدرسة جاني البهلوان بالسروجيه
(سنة ٨٨٣ هـ . ١٤٧٨ م)



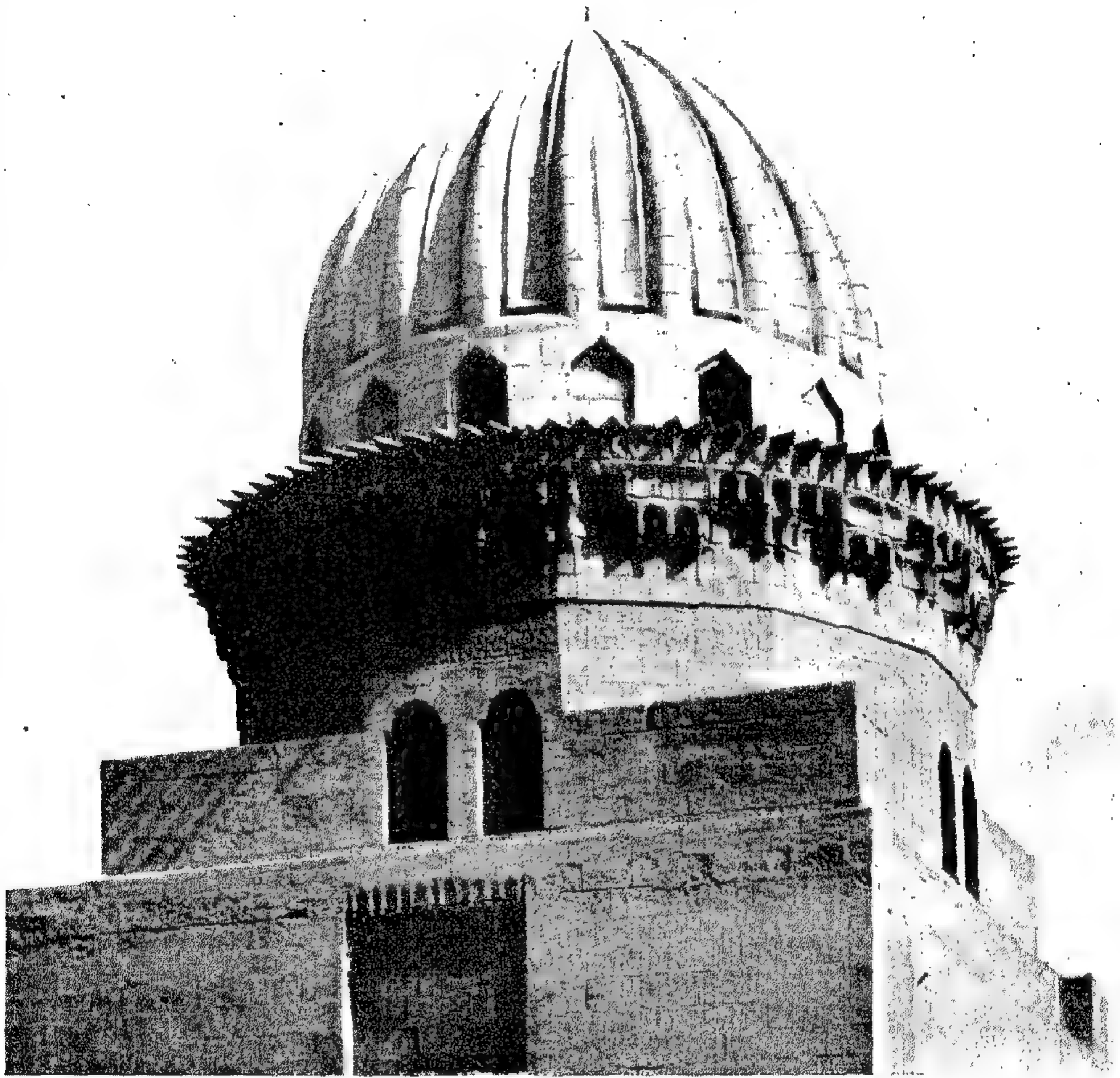
٦٥ - منارة مسجد قايتباي بقلعة الكيش
(سنة ٨٨٠ هـ . ١٤٧٥ م)



٦٧ - قبة زين الدين يوسف (سنة ٦٩٧ هـ . ١٢٩٨ م)



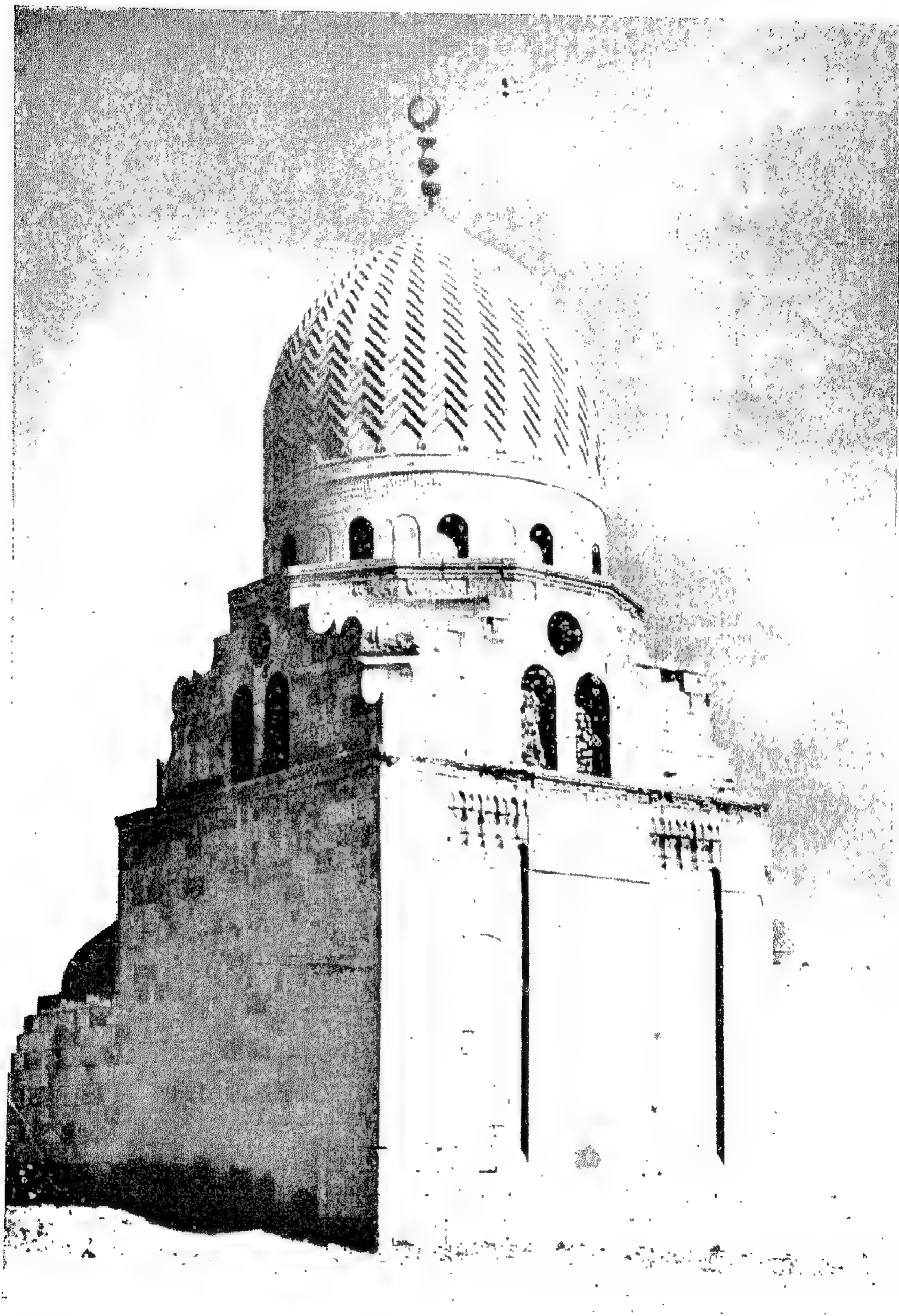
٦٨ - قبة الخانقاه البندقدارية (سنة ٦٨٢ هـ . ١٢٨٥ م)



٦٩ - قبة تنكزبغا بصحراء السيوطى (القرافة القبالية) (سنة ٧٦٤ هـ . ١٣٦٤ م)



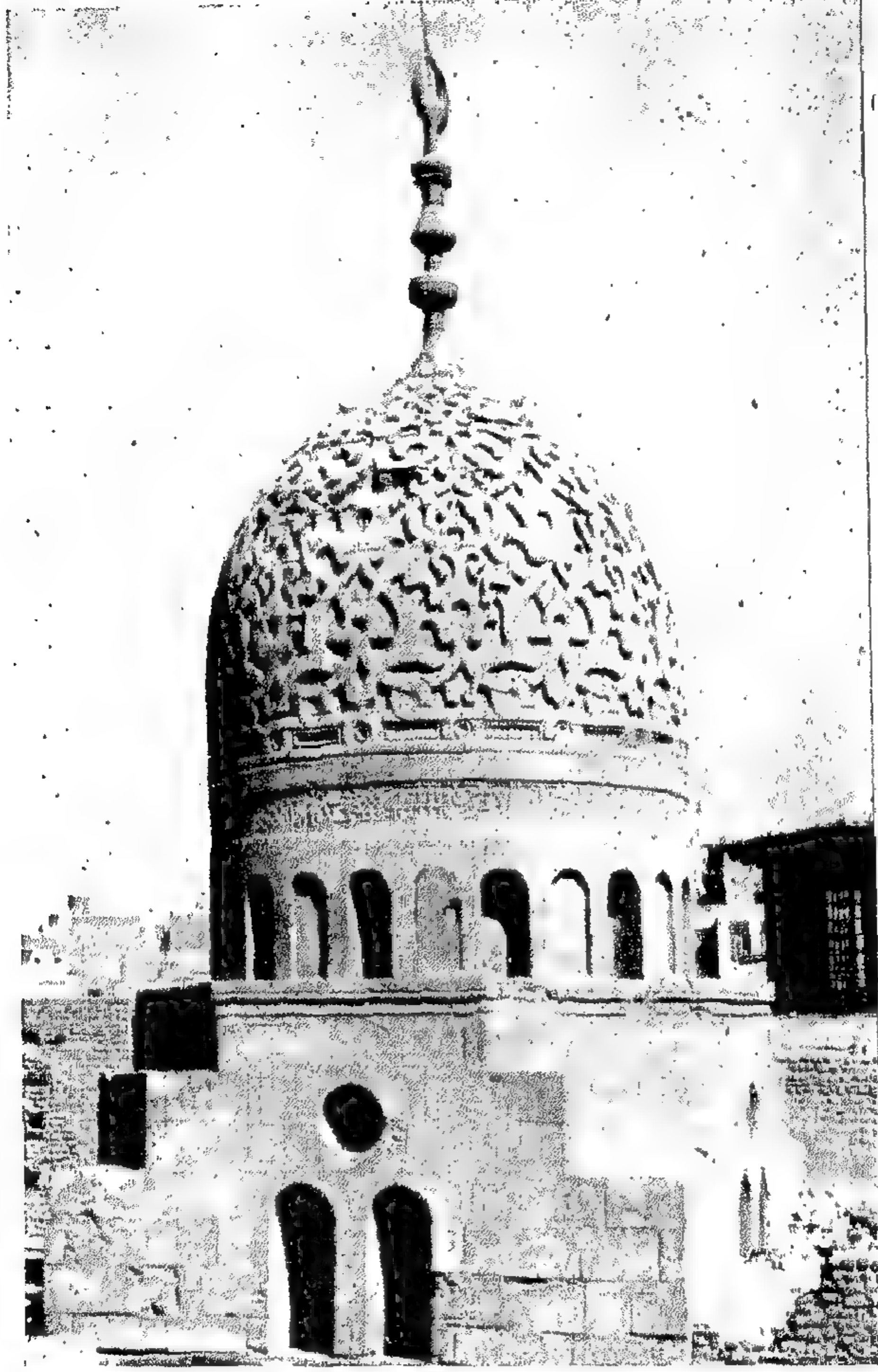
٧٠ - قبة الأشرف برسبای بالقرافة الشرقية (سنة ٨٣٥ هـ . ١٤٣١ م)



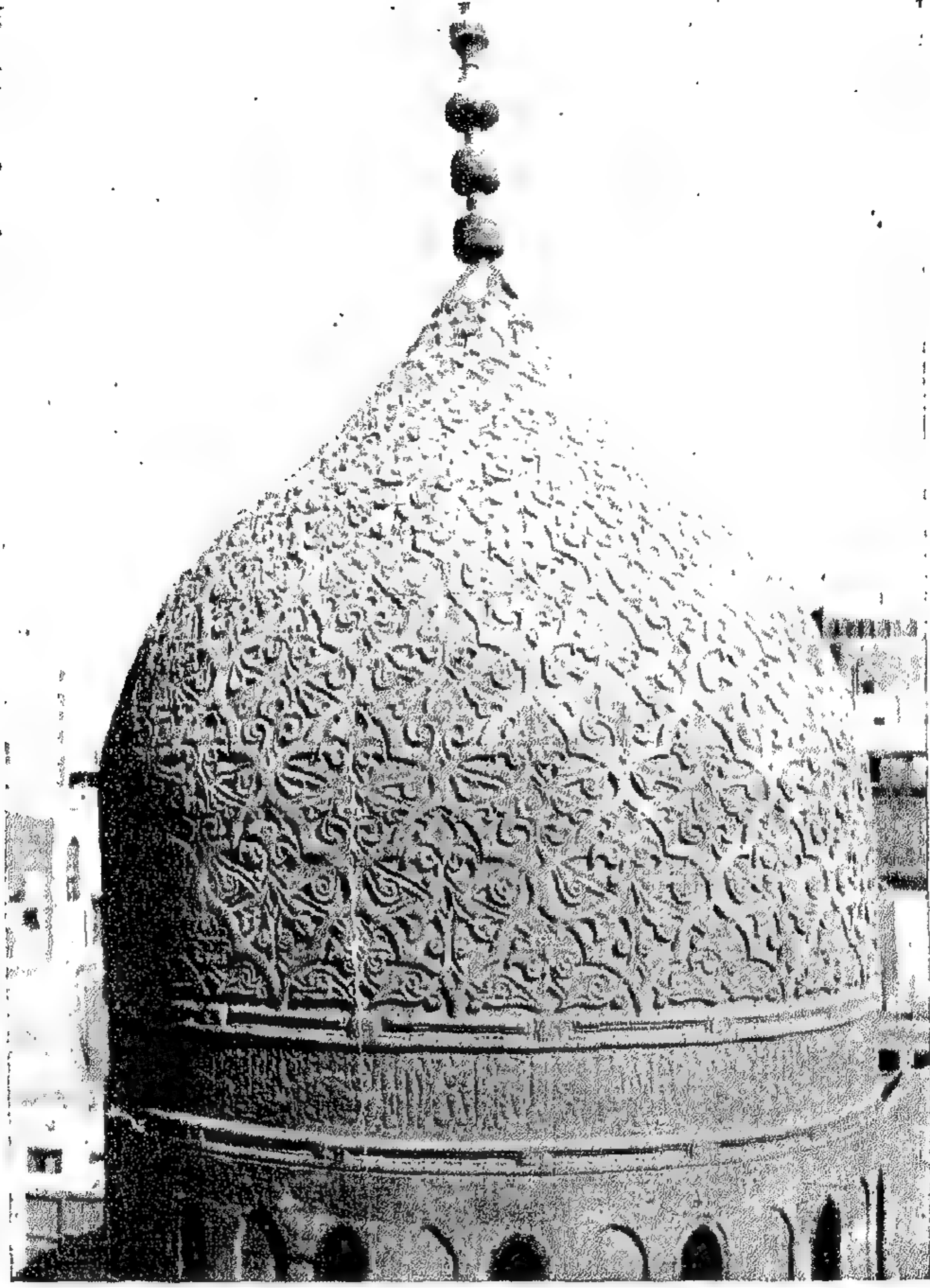
٧١ - قبة الأمير برسبای البجاسی بالقراقة الشرقية (سنة ٨٦١ هـ . ١٤٥٣ م)



٧٢ - قبة قانصوه أبو سعيد بالقرافة الشرقية
(سنة ٨٩٠٤ . ١٤٩٩ م)



٧٣ - قبة المدرسة الجوهريّة بالجامع الأزهر (قبل سنة ٨٤٤ هـ . ١٤٤٠ م)



۷۴ - قبة مسجد قانیبای امیراخور بمیدان صلاح الدین
(سنة ۹۰۸ هـ . ۱۵۰۳ م)

الجمهورية العربية المتحدة

مطبوعات

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

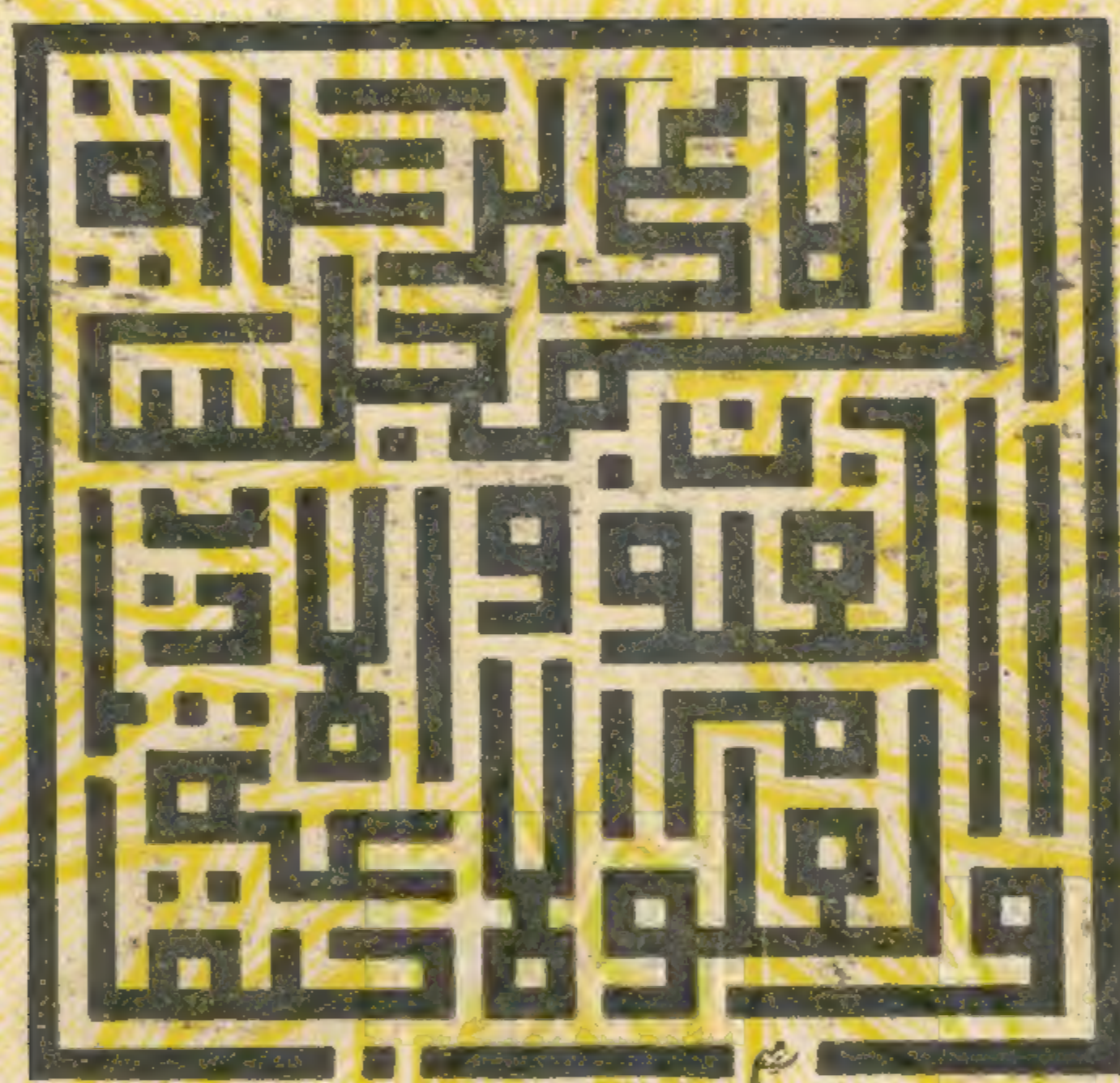
— ٣٢ —

الملفات الدراسية (٢)

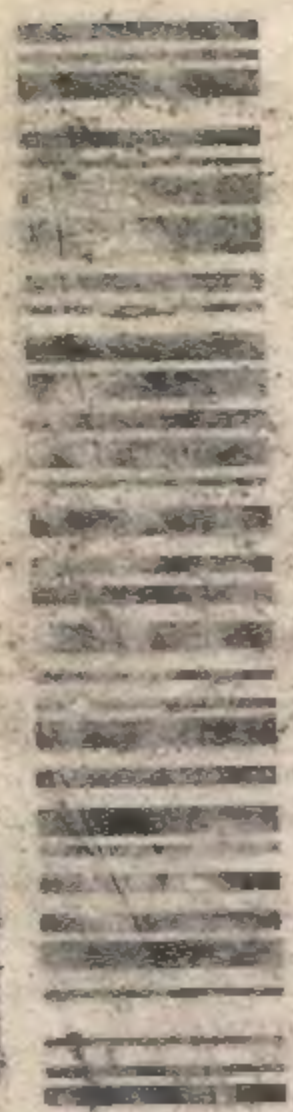
القاهرة

١٣٨١ هـ — ١٩٦٢ م

الجمهورية العربية المتحدة



Bibliotheca Alexandrina



0361279

القاهرة

مطابع كونستانتينوس وشركاه

٥ شارع وقف إبراهيم باشا - بولاق - ٤٤١١٨
١٣ شارع حسنين باشا - تلخار - ٥٢٦٣٩